اعتراضات ابن معصوم المدني البلاغية في كتابه "أنوار الربيع في أنواع البديع "

عرض ونقد

إعداد:

هاني عمر محمد غانم

مدرس البلاغة والنقد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

بنين بدمياط الجديدة

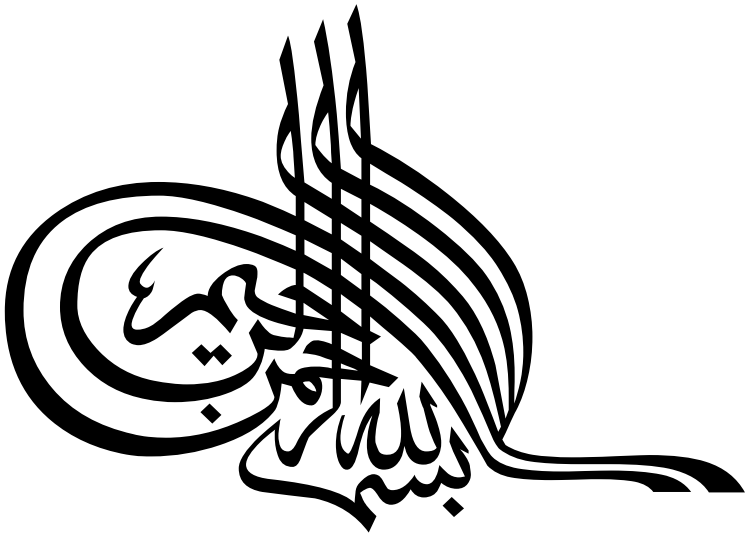

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين .

أما بعد...

فإن لعلماء البلاغة قديمًا وحديثًا دورهم البارز في إثراء الدرس البلاغي، وإرساء القواعد والأسس البلاغية المعينة على صحة الأسلوب، وإنشاء الأدب الجيد ، وبلاغة القول وسلامته، ودقته في التعبير عن المعنى المراد بأساليب مختلفة.

وقد تنوعت إسهامات البلاغيين قديمًا وحديثًا في النهوض بالبلاغة العربية ، وإرساء قواعدها، وتحديد علومها وأبوابها، ما بين مصنفات ، وشروح، وتلخيصات ، واعتراضات ، ومناقشات، وآراء وأفكار، ونظرات متناثرة هنا وهناك، كل يدلي بدلوه، ويؤدي دوره في الدرس البلاغي، وكل يضيف لبنة إلى صرح البلاغة العربية الشامخ، وكل يفيد من يأتي بعده ، ويقدم له موائد شتى عامرة بصنوف العلم والمعرفة التي تفيد القراء.

ومن علماء البلاغة البارزين ، الذين تعددت مظاهر نتاجهم البلاغي، وله جهد في مجالات البلاغة العربية ، ابن معصوم المدني ، الذي قدم العديد من المصنفات في مجالات مختلفة، ومن بينها البلاغة، كما كانت له اعتراضات على سابقيه في مجالات مختلفة، وأبواب متعددة من البلاغة العربية ، تدل على ذوق رهيف، وحس دقيق، وقدرة على التذوق، والتحليل والاستنباط، ومقدرة فائقة في الاعتراضات والمناقشات، مع دقة التعليل الداعم لفكرته.

ومن خلال قراءتي في نتاجه ، أثار فكري وحرك مشاعري تجاهه قدرته

الفائقة، ودقته الواضحة في مناقشة آراء السابقين ، وفهم نظراتهم ، والاعتراض عليهم أحيانًا، مع تنوع تلك الاعتراضات ، وشمولها لمجالات متعددة في مجال البلاغة العربية.

لذلك كله رأيت أن أقدم في اعتراضاته الدقيقة المفيدة هذا البحث المتواضع، راجيًا أن يكشف –في وضوح –عن فكره الدقيق ، ولمحاته الفنية البارعة ، وآرائه الصائبة، ويضع اعتراضاته في موضعها الصحيح، ويجلي رؤيته فيها.

– وقد اتبعت في هذا البحث المنهج التحليلي الذي يقوم وضع عناوين رئيسة لهذه الاعتراضات ومناقشتها ، وتخريج الفنون البلاغية التي اشتملت عليها ، مع تعريف الأعلام غير المشهورة ، وتخريج الأشعار ، والآيات القرآنية.

ومن أجل تبيان ذلك كله ، رأيت أن تقوم خطة البحث على العناصر الآتية:

المقدمة، والتمهيد، وأربعة مباحث، والخاتمة، يتلوها مجموعة من الفهارس.

أما المقدمة، فوضحت فيها أهمية الموضوع ، وسبب اختياره.

وأما التمهيد ، فيشتمل على نبذة مختصرة عن ابن معصوم المدني.

وأما المبحث الأول ، فهو بعنوان : اعتراضات تتعلق بتحليل الشواهد، ويشتمل على عدة مطالب: ***المطلب الأول: موقفه من ابن الأثير في باب التكرار***

المطلب الثاني: موقفه من ابن حجة في تفضيل بيتيه على بيتي ابن رشيق في مراعاة النظير

المطلب الثالث: موقفه من ابن حجة، والكفوي في التورية المهيئة.

المطلب الرابع : *موقفه من الخطيب وابن حجة في باب المبالغة(الغلو)*.

المطلب الخامس: *موقف ابن أبي الحديد، ومتابعة ابن معصوم له، من ابن الأثير في الإبهام.*

المطلب السادس: موقفه من صنيع الشيرازي،ومتابعة ابن حجة له في باب التلميح.

المطلب السابع: موقف ابن معصوم من صاحب الذخيرة في باب حسن الابتداء.

المطلب الثامن: موقف ابن معصوم ممن استحسن مطلع المتنبي في براعة الاستهلال.

وأما المبحث الثاني، فهو بعنوان: *اعتراضات تتعلق بمسمى المصطلح من حيث النشأة أو الخلط في دلالة المصطلح وفهمه*، *ويشتمل على عدة مطالب*:

المطلب الأول: موقفه من ابن أبي الإصبع ، وابن حجة في باب التكميل.

المطلب الثاني: موقفه من ابن أبي الإصبع والصفي وابن حجة) تابع التكميل.

المطلب الثالث: موقف ابن معصوم من ابن حجة في باب الرجوع.

المطلب الرابع : موقفه من ابن أبي الإصبع في باب السلب والإيجاب.

المطلب الخامس: موقفه من ابن حجة في باب الإيداع.

المطلب السادس : موقفه من الشيخ علاء القضامي، وابن حجة في باب الجناس المعنوي.

وأما المبحث الثالث، فهو بعنوان: *اعتراضات تتعلق بالتقعيد البلاغي*، *ويشتمل على عدة مطالب:* المطلب الأول : بين ابن معصوم وابن

حجة في باب الطباق.

المطلب الثاني: موقفه من ابن أبي الحديد في باب الاستطراد.

المطلب الثالث: موقفه من ابن حجة تابع الاستطراد.

المطلب الرابع: موقف ابن معصوم من ابن حجة في باب الإبهام.

المطلب الخامس: موقفه من ابن حجة في باب الجناس المركب.

وأما المبحث الرابع، فهو بعنوان :اعتراضات تتعلق بضابط المصطلح من حيث تقعيده وتطبيقه، ويشتمل على عدة مطالب:

المطلب الأول: موقفه من ابن أبي الإصبع المصري في باب التذييل.

المطلب الثاني: موقف ابن معصوم من الطيبي في باب التتميم.

المطلب الثالث: موقفه من أصحاب الشروح وغيرهم في باب التورية.

المطلب الرابع: موقفه من الصفي الحلي في باب الاستخدام.

المطلب الخامس: موقفه من ابن حجة في باب المبالغة(الغلو).

وسرت في ترتيب المباحث على حسب كثرتها؛ وذلك لأن كثرة الاعتراضات في هذه المباحث على حسب ترتيبها ، تدل على عقلية الرجل، وسمته العلمي في موقفه من غيره، ومن ثم كان هذا الترتيب.

– كل ما أرجوه –بعد ذلك– أن يكون ذلك البحث لبنة في بناء البحث البلاغي الشامخ ، وأن يكون لصاحبه جهد في الكشف عن عناصره المختلفة، وتجلية رؤية ابن معصوم في اعتراضاته، كما أرجو أن يكون البحث –في صورته التي جاء عليها– قد حقق الغاية ، وكشف عن الهدف، وأماط اللثام عن جانب من جوانب الفكر البلاغي لابن معصوم .

تمهيد البحث

نبذة مختصرة عن ابن معصوم المدني:

أولا: اسمه ونسبه:

هو صدر الدين السيد علي خان بن أحمد بن محمد بن نصير الدين بن إبراهيم بن سلام بن مسعود بن محمد بن غياث الدين بن منصور الحسيني الدستكي الشيرازي، المعروف بابن معصوم المدني، أديب، نحوي، بياني، لغوي، شاعر(١).

ثانيا: مولده ونشأته:

ولد ليلة السبت الخامس عشر من جمادي الأولى سنة ١٠٥٢هـ بالمدينة المنورة، ونشأ بها وكان ابن معصوم من بيت عرف بالعلم والشياخة، يصل نسبه إلى جعفر بن زيد بن علي بن الحسين السبط- عليه وعلى جده السلام- وكان من أسرة كريمة ، طنّب سرادقها بالعلم والشرف والسؤدد، ومن شجرة

---

(١) ينظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع- لمحمد بن علي الشوكاني اليمني (٤٢٨/١) دار المعرفة – بيروت ، والغدير في الكتاب والسنة والأدب- لعبدالحسين أحمد الأميني (٣٤٦/١١، ٣٤٧) دار الكتب الإسلامية-تهران- ١٤٠٨هـ، وهدية العارفين- للبغدادي (٧٦٣/١) بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، والإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر-لعبد الحي بن فخر الدين الطالبي (٧٦٤/٦) دار ابن حزم – بيروت، لبنان- ط١- ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، ومعجم المؤلفين: عمر رضا كحالة(٢٨/٧) دمشق، مطبعة الترقّى، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م.

طيبة... اعترقت شجونها في أقطار الدنيا[١].

ثالثا: شيوخه:

من المتعارف عليه أن كل عالم تنوعت معارفه في كثير من العلوم ، ينبغي أن يكون له شيوخ كُثر أخذ عنهم واستفاد من علمهم ومجالستهم، من هؤلاء:

- الشيخ محمد بن علي بن محمود بن يوسف الحشري العاملي الشامي، أخذ عنه النحو والبيان والحساب والفقه، وصحبه مدة من الزمان، وتخرج عليه في النظم والنثر[٢].

- الشيخ جعفر بن كمال الدين الشيعي البحراني المتوفى ١٠٩١هـ ، أخذ عنه الحديث لما وفد على والده بحيدر آباد[٣].

- وتتلمذ على يد والده نظام الدين أحمد، والعلامة المجلسي صاحب البحار بالإجازة، وروى عن الشيخ علي بن فخر الدين محمد بن الشيخ حسن صاحب المعالم، المتوفى سنة ١١٠٤هـ[٤].

رابعا: تلاميذه:

بعد البحث والاستقراء في كتب التراجم التي اطلعت عليها ، وجدت من ترجم له لم يذكروا غير عدد قليل من الذين يروون عنه، منهم: العلامة المجلسي صاحب البحار، والسيد الأمير محمد حسين بن الأمير محمد صالح الخاتون آبادي المتوفى سنة ١١٥١هـ، والشيخ باقر بن المولى محمد حسين

---

(١) ينظر: نزهة الخواطر (٧٦٤/٦)، وسبحة المرجان في آثار هندوستان-لغلام علي آزاد(٨٦) طبعة حجرية، والغدير (٣٤٨/١١).

(٢) ينظر: نزهة الخواطر (٧٦٤/٦).

(٣) السابق (٥١١/٥).

(٤) ينظر: الغدير (٣٤٩/١١)، ونزهة الخواطر (٧٦٤/٦)، وأنوار الربيع(٩/١).

المكي، ومع أنه استقر في موطن آبائه "شيراز"، وأقام بالمدينة المنصورية، وأتم ما بقي من عمره في إفادة طلبة العلم، وهذا يدل على أن له تلاميذ كثر، إلا أن كتب التراجم لم تزودنا بذلك[١].

خامسا: رحلاته:

كان ابن معصوم كثير الترحال ، فقد هاجر إلى الهند سنة ١٠٦٦هـ بطلب من والده الذي كان يشغل وظيفة نائب السلطنة في حيدر آباد ، ثم توجه مع عائلته إلى مكة المكرمة؛لتأدية مناسك الحج، ثم قصد المدينة المنورة ؛لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقبور أئمة البقيع، ثم واصل سفره إلى العراق ، وزار البصرة، والنجف، وكربلاء، وبغداد، ودرس الحالة عن كثب، فلم يجد في العراق آنذاك الجو الملائم للتأليف والتدريس، فقرر مواصلة السفر إلى إيران ، واستقر في شيراز ؛لأنه وجد فيها بغيته، وأقام بالمدرسة المنصورية التي بناها جده العلامة غياث الدين بن منصور، واتخذها مقرا لعمله في التدريس والتأليف[٢].

سادسا: مؤلفاته:

١- من مؤلفاته في الأدعية والأذكار:

- رسالة في المسلسلة بالآباء شرح فيها الأحاديث الخمسة المسلسلة

---

(١) ينظر: سبحة المرجان(٨٧)، وأنوار الربيع(١٠/١).

(٢) ينظر: سبحة المرجان(٨٨)، وأنوار الربيع(٨/١)، ورحلة ابن معصوم المدني أو سلوة الغريب- لابن معصوم (٥، ٦) تحقيق: شاكر هادي شكر- الدار العربية للموسوعات-ط١- ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.

بآبائه، فرغ منها سنة ١١٠٩هـ[١].

- الكلم الطيب والغيث الصيب في الأدعية المأثورة[٢].

- رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين[٣] .

٢- من مؤلفاته في التراجم :

- سلافة العصر في محاسن أهل العصر في تراجم الرجال[٤].

- الدرجات الرفيعة في طبقات الإمامية من الشيعة[٥].

٣- من مؤلفاته في الرحلات:

١- سلوة الغريب وأسوة الأريب[٦].

٤- من مؤلفاته في النحو:

٢- الحدائق الندية في شرح الصمدية العاملية للشيخ البهائي، وهو شرح

---

(١) ينظر: أنوار الربيع(١٣/١)، وسلوة الغريب(٧)..

(٢) ينظر: هدية العارفين(٧٦٣/١).

(٣) ينظر: هدية العارفين (٧٦٣/١)، مخطوط بمركز الملك فيصل رقم:ب٤٠٣٨٢،

(٤) ينظر: البدر الطالع(٩٨/١)، وهدية العارفين(٧٦٣/١)، وإيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون- لإسماعيل بن محمد أمين البغدادي تـ ١٣٩٩هـ(٢٠/٤)عنى بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف: محمد شرف الدين - ورفعت الكليسى- دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

(٥) ينظر: هدية العارفين (٧٦٣/١)، وإيضاح المكنون(٤٦٣/٣)، مخطوط ببرلين رقم:١٠٩٥٠.

(٦) ينظر: تاريخ آداب اللغة العربية (٣٠٦/٣) مخطوط ببرلين رقم:٦١٣٦.

لم يعمل مثله في النحو، نقل فيه أقوال جميع النحاة من كتب كثيرة[١].

٣- شرحان على الصمدية المتوسط والصغير ، والظاهر أنهما مفقودان[٢].

٤- شرح على الإرشاد في النحو، وقد سماه: موضح الرشاد من شرح الإرشاد في النحو[٣].

٥- الزهرة في النحو[٤].

٥- من مؤلفاته في الأدب والشعر:

٦- التذكرة في الفوائد النادرة، وهي على شاكلة كشكول البهائي[٥].

٧- نغمة الأغان في عشرة الإخوان ، وهي أرجوزة تقارب السبعمائة بيت ، وجدتها في بعض المخطوطات ملحقة بديوان شعره[٦].

٨- ديوان شعره ، وهو كبير يضم بين دفتيه حوالي خمسة آلاف بيت[٧] .

٩- ملحقات السلافة مشحونة بكل أدب وظرافة[٨].

٦- من مؤلفاته في البلاغة:

١٠-أنوار الربيع في أنواع البديع[٩] .

---

(١) ينظر: هدية العارفين (٧٦٣/١)، وإيضاح المكنون(٣٩/٣).

(٢) ينظر: الغدير (٣٤٩/١١), وأنوار الربيع(١٣/١).

(٣) ينظر: هدية العارفين (٧٦٣/١).

(٤) ينظر: سلوة الغريب (٧).

(٥) ينظر: هدية العارفين (٧٦٣/١)، وإيضاح المكنون(٢٧٦/٣)،

(٦) ينظر: سلوة الغريب(٧).

(٧) ينظر: هدية العارفين (٧٦٣/١)، والغدير (٣٤٩/١١).

(٨) ينظر: الغدير(٣٤٩/١١)، وسلوة الغريب(٧).

(٩) ينظر: نزهة الخواطر(٧٦٤/٦)،

٧- من مؤلفاته في اللغة:

١١-رسالة في أغلاط الفيروز آبادي في القاموس[١].

١٢-الطراز في اللغة[٢].

سابعا: وفاته:

لم تتفق كلمة أصحاب التراجم على تاريخ وفاته ، فقيل: إنه توفي سنة ١١١٧هـ [٣]، وقيل : سنة ١١١٩هـ[٤]، وقيل : دفن بحرم السيد أحمد بن الإمام موسى بن جعفر الملقب بشاة جراغ سنة ١١٢٠هـ ، وهو الرأي الراجح والمعول عليه؛ لأن ابن معصوم نص على قدومه إلى إصبهان سنة ١١١٧هـ، وقال الشيخ على الحزين:إني أدركته بها سنين[٥].

وأخيرا وليس آخرا **أن ابن معصوم بلاغي قدير ، ناقش البلاغيين في كثير من آرائهم ، ونظراتهم ، واعترض على بعض رؤاهم فيما يتعلق بالشواهد ، والمصطلحات، والقواعد، والضوابط، وله في كل ذلك بعض الآراء والنظرات الوجيهة ، وفي المباحث والمطالب الآتية في البحث سيتضح ذلك بشيء من التفصيل والتوضيح المدعوم بالتعليق والمناقشة، وبيان وجه الحق والصواب والتوفيق في الاعتراضات ، وعدم التوفيق ومجانبة الصواب فيها أحيانا.**

---

(١) ينظر: سلوة الغريب (٧).

(٢) ينظر: الغدير (٣٤٩/١١).

(٣) ينظر: هدية العارفين(٧٦٣/١)، ونزهة الخواطر(٧٦٤/٦)، وسبحة المرجان(٨٧) المرجان(٨٧) ، وتاريخ آداب اللغة العربية-لجرجي زيدان(٣٠٦/٣) راجعه وعلق عليه:د/ شوقي ضيف-دار الهلال.

(٤) ينظر: معجم المؤلفين (٢٨/٧).

(٥) ينظر: الغدير (٣٤٩/١١، ٣٥٠)، وأنوار الربيع(٢٢/١)، وسلوة الغريب (٦).

المبحث الأول: اعتراضات تتعلق بتحليل الشواهد ، ويشتمل على عدة مطالب:

المطلب الأول: موقفه من ابن الأثير في باب التكرار(١)

أشار ابن معصوم إلى هذا الاعتراض في أثناء حديثه عن التكرار ، حيث قال: وهو عبارة عن تكرير كلمة فأكثر باللفظ والمعنى لنكتة منها: التنويه بشأن المذكور، كقول أبي الطيب:[البسيط]

---

(١) ينظر التكرار في البيان والتبيين- لعمرو بن بحر الجاحظ تـ ٢٥٥هـ(١٠٤/١)تحقيق / عبد السلام محمد هارون- بيروت- دار الجيل، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، والعمدة – لابن رشيق تـ٤٦٣هـ (٧٣/٢) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد – ط٥- دار الجيل- ١٤٠١هـ- ١٩٨١م، وسر الفصاحة – لابن سنان الخفاجي عبد الله بن محمد تـ ٤٦٦هـ (١١٣) صححه وعلق عليه: عبد المتعال الصعيدي – القاهرة – ١٣٧٢هـ – ١٩٥٣م، ونهاية الإيجاز – لفخر الدين الرازي تـ٦٠٦هـ(٢٨٠) دراسة وتحقيق: أحمد السقا – القاهرة –المكتب الثقافي – ١٩٨٩م، وتحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن- لابن أبي الإصبع المصري تـ ٦٥٤هـ (٣٧٥) تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، وبديع القرآن –لابن أبي الإصبع (١٥١) تحقيق: د/ حفني شرف – القاهرة – نهضة مصر للطباعة – دار النشر- ١٣٧٧هـ – ١٩٥٧م، والمصباح- لبدر الدين بن مالك (٢٣٢) حققه ووضع فهارسه د/ حسني عبدالجليل يوسف- مكتبة بيروت – ط١- ١٤٢٣هـ ، والإيضاح في علوم البلاغة – لمحمد بن عبد الرحمن ، جلال الدين القزويني ، تـ٧٣٩هـ (١٣٦/٢) شرح وتعليق وتنقيح: د/ محمد عبد المنعم خفاجي – دار الجيل – بيروت – ط٣ .

العَارِضُ الهَتَنُ ابنِ العَارِضِ الهَتَنِ اب نِ العَارِضِ الهَتَنِ ابنِ العَارِضِ الهَتَنِ[1]

وقول ابن النبيه:

[البسيط]

الطَّاهِرُ النَّسَبُ ابنِ الطَّاهِرِ النَّسَب اب نِ الطَّاهِرِ النَّسَبِ ابنِ الطَّاهِرِ النَّسَبِ[2]

وقد عاب قوم علي أبي الطيب هذا التكرار ، وقالوا: انه من العي تكرار اللفظ[3].

قال العكبري في شرحه[4]**: سمعت شيخي أبا الفتح يقول: إن كان هذا من العي, فحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصله, فقد قال -عليه السلام-: الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم** [5].

---

(١) شرح ديوان المتنبي – وضعه عبد الرحمن البرقوقي (٣٤٨/٤) دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – لا ط – ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م ، وينظر: المنصف في إظهار سرقات أبي الطيب المتنبي – لابن وكيع تـ٣٩٣هـ(٦٩٤) تحقيق: د/ محمد يوسف نجم – بيروت – دار صادر – ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، والعمدة(٣٠٨/٢)، والتذكرة الحمدونية- لمحمد البغدادي تـ٥٦٢(٣١٣/٧) دار صادر- بيروت-ط١- ١٤١٧هـ.

(٢) ديوان ابن النبيه(٣٩) شرح/ عبدالله فكري- المطبعة العلمية-١٣١٣هـ.

(٣) وابن معصوم يعرض هنا بابن سنان الخفاجي في سر الفصاحة(١٠٢).

(٤) ينظر: شرح ديوان المتنبي- للعكبري(٢١٧/٤)، وشرح الديوان- للبرقوقي(٣٤٨/٤).

(٥) ينظر: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم ==

وأما ابن الأثير ، فإنه عاب ألفاظ البيت من حيث هي, واستثقل لفظ (العارض والهتن) ، وقال: لو قال بدل العارض, السحاب, لم يكن هجناً[١].

- وقد اعترض عليه ابن معصوم بقوله: **وليس كما زعم, فإن لفظ العارض والهتن فصيح عذب**[٢].

- وقال ابن وكيع: لولا انتهاء القافية لمضى في العارض الهتن إلى آدم - عليه السلام- وبانتهاء الغاية أعلمنا أن نهاية عدد آبائه المستحقين للمدح ثلاثة ، ثم يقف هناك[٣].

التعليق:

قبل تفصيل الكلام السالف ذكره ، نشير إلى أن هناك من وافق المتنبي، وهناك من خالفه.

أولا: من وافقه: ، نشير إلى أن من العلماء من أقر المتنبي على صنيعه هذا، كابن رشيق، حيث قال: وإنما أراد أنه معرق...إلخ[٤].

==

وسننه وأيامه = صحيح البخاري- لمحمد بن = =إسماعيل البخاري(١٥١/٤) تحقيق: محمد زهير بن ناصر- دار طوق النجاة-ط١-١٤٢٢هـ.

(١) ينظر: المثل السائر -لابن الأثير(١٥٨/٢) تحقيق: محمد محي الدين-المكتبة العصرية-بيروت-١٤٢٠هـ.

(٢) ينظر: أنوار الربيع(٣٤٨/٥).

(٣) ينظر: المنصف للسارق والمسروق- لابن وكيع(١٣٠/١).

(٤) ينظر: العمدة(٣٠٨/٢).

– والعلوي في الطراز، حيث قال:" فهذا من باب التكرير، ثم من الناس من صوبه في تكريره هذا، ومنهم من قال: إنه قد أساء فيما أورده من ذلك، والأقرب أنه مجيد في مطلق التكرير، كما حكيناه فيما أوردناه من آى التنزيل، فإن ما أورده من هذا التكرير دال على إغراق الممدوح في الكرم، لكن إنما عرض فيه ما عرض لمن أنكره، ورغم أنه غير محمود فيما جاء به من جهة أن لفظة (العارض)، ولفظة(الهتن)، ليستا واردتين على جهة البلاغة فيهما لقلة الاستعمال لهما، فمن أجل هذا ، كان ما قاله ليس بالغا في البلاغة مبلغا عظيما لا من جهة التكرير، فإنه محمود لا محالة ، كما أشرنا إليه[1].

ثانيا: من خالفه: ومنهم من اعترض عليه، وفي مقدمتهم ابن سنان الخفاجي، وغيره، وهذا ما يتم مناقشته في أثناء التعليق.

ثالثا: مما سبق يتضح أن ابن معصوم في هذا الاعتراض الموجه للمتنبي– بأن ألفاظ بيته فيها تكرار لا قيمة له– يعرّض بابن سنان الخفاجي؛ لأنه هو الذي قال ذلك، لكن ابن الأثير اعترض عليه، ورد عليه نقده للبيت بقوله: " لكن لفظه ليس بمرضي على هذا الوجه الذي قد استعمل فيه، فإن الألفاظ إذا كانت حسانًا في حال انفرادها، فإن استعمالها في حال التركيب يزيدها حسنًا على حسنها ... ولو تهيأ لأبي الطيب المتنبي أن يبدل لفظة: "العارض " بلفظة "السحاب"، أو ما يجري مجراها، لكان أحسن، وكذلك لفظة" الهتن"، فإنها ليس بمرضية في هذا الموضع على هذا الوجه...إلخ[2].

---

(١) ينظر: الطراز(٢/٩٦، وما بعدها).

(٢) ينظر: المثل السائر(٢/١٥٨)، ومناقدة ابن سنان للمتنبي بين التحليل البياني والعمود الشعري– أ.د/علي عيسى (٨٦، وما بعدها) مطبعة العدوي–١٤١٨هـ.

رابعا: لكن من المتفق عليه بين العلماء ، أن للتكرير مواطن يحسن فيها متى تعلق بإعادة ذكره رفع التباس ، أو تعظيم ، أو تبجيل، أو تحقير ، أو ترغيب ، أو تحذير ؛ ولذلك فهو يحسن في مواضع الشوق والهجاء والمدح[١]، أما إذا لم يتعلق به ذلك، استقبح التكرار[٢].

خامسا: وعلى هذا فمن الخطأ الحكم على أبيات المتنبي جملة واحدة ...بل لابد من معرفة سياق كل بيت ومقامه حتى يمكن إدراك حقيقة التكرار عند المتنبي... وذلك لأن التكرار في سياق المدح يخالف التكرار في سياق الفخر والهجاء ... بل إن نوعية الحرف المكرر تختلف عن الحرف الآخر تبعًا لحالة المتكلم النفسية[٣].

---

(١) وهذا ما أشار إليه أ.د/ عبدالله هنداوي، وأ.د علي عيسى في كتابيهما، ينظر: المعيار في نقد الأشعار- لأبي عبدالله الأندلسي(١١٩) تقديم وتحقيق د/ عبدالله هنداوي-ط١-١٤٠٨-١٩٨٧م، ومناقدة ابن سنان(٨٦).

(٢) ووجه ذلك : أنه يؤدى إلى غموض، فلا يستطيع القارئ بسهولة فهم دلالته ومعناه ؛ لافتقاره إلى القيم الأخلاقية والتباين بين الصفات؛ وذلك عن طريق إحلال سلسلة من الأصوات المتقاربة في المخرج المتشابهة في الصفات محل الأصوات التي يتألف منها ... وهو ما يخالف توقعات السامع وبالتالي لا يستطيع أن يستحضر في ذهنه معاني الكلمات التي تتألف منها هذه السلسلة من الأصوات ، ويطغى الجرس الصوتي على المعنى".

ينظر: العربية والغموض دراسة في دلالة المبنى على المعنى(١٥٦) د /حلمي خليل – دار المعارف الجامعية – ط ١- ١٩٨٨م، نقلا من مناقدة ابن سنان للمتنبي.

(٣) ينظر: مناقدة ابن سنان للمتنبي(٨٧).

سادسا: أن ابن معصوم اعترض على ابن الأثير ؛ لأنه وإن بيّن أن البيت فيه حسن تكرار في بعض ألفاظه، وأنه يجري على سنن الحديث الشريف، إلا أنه عابه من وجه آخر، وهو أنه استثقل لفظتي(العارض ، والهتن).

سابعا: إن المتأمل في السياق العام للقصيدة ، وربط البيت بالسابق واللاحق، يستكشف أن المقام يدور حول شرف الآباء وعلو منزلتهم، فقد قال في البيت السابق:

أفعَالُهُ نَسَبٌ لَو لَم يَقُل مَعَهَا جَدِّي الخَصِيبُ عَرَفنَا العِرقَ بِالغُصُنِ(١)

وقال في البيت اللاحق:

قَد صَيَّرَت أولَ الدُّنيَا وآخِرَهَا آبَاؤُه مِن مُغَارِ العِلمِ فِي قَرَنِ

فقوله :"عرفنا العرق بالغصن " فيه استدلال على شرف آبائه بأفعاله الكريمة، فكان قوله :"العارض

الهتن "تفسيرًا وبيانًا لشرف الآباء على سبيل الاستقصاء ، فكان التعديد في البيت لازمًا؛ ليستوفى جميع آبائه؛ وذلك لدلالة ما نص عليه منهم على غيرهم.

واتفق مع أ.د/ علي عيسى : أن في هذا التكرير صلة معنوية بنفسية المتنبي إذا قورن ذلك بهذا الاستفتاح الثائر لقصيدته... ؛ ذلك أنه استهل قصيدته بفناء نفسي يرتد على حاله في عيب الناس له وقدحهم في نسب...يقول:

---

(١) ينظر: شرح الديوان–للبرقوقي(٣٤٧/٤).

أَفَاضِلُ النَّاسِ أغرَاضٌ لِذَا الزَّمنِ يَخْلُو مِن الهَمّ أخلَاهُم مِن الفِطَنِ[١]

وعلى هذا يكون في تكرير الآباء لإرادة تشريف الممدوح ارتدادا على نفسه هو ؛ لأنا نعلم أن المتنبي قد خوصم في دعوى علويته، ونوزع في ذلك خصامًا جر عليه كثيرًا من العنت والمشقة واتهم في نسبه... فكان ذلك دلالة على ما في نفسه من شرف آبائه الموغل في القدم[٢].

ثامنا: **أما ما ذكره ابن الأثير من عيب البيت لعدم انتقاء ألفاظه** مستدلًا على ذلك بأنه لو أبدل " العارض "بلفظ السحاب أو ما يجرى مجراها لكان أحسن ، وكذلك لفظ "الهتن " فإنها ليست بمرضية في هذا الموضع، غير سديد ؛ ذلك أن "العارض "يفارق السحاب بأنه يعترض الأفق فيسده ؛ كما يراعى فيه حدوث المطر وعدم الخلف ، وهذا ما قيد به في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا ﴾[٣] أي :قالوا هذا الذي وعدنا به :سحاب فيه الغيث ، كمد يراعى فيه العظم والفخامة بحيث يسد المكان ، كما يراعى فيه البياض ، قال أبو زيد :العارض: السحابة تراها في ناحية من السماء، وهو مثل الجُلب إلا أن العارض يكون أبيض، والجُلب إلى السواد[٤]، بخلاف السحاب ، فهو وان كان ينتج عن مطر إلا أنه لا يراعى فيه ما روعي سابقًا ، بل تجد ما يدل على الوهن ، فالسحبة: فضلة ماء تبقى في الغدير ... وسميت السحابة بذلك ؛

---

(١) ينظر: شرح الديوان–للبرقوقي(٤/٣٤١).

(٢) ينظر: مناقدة ابن سنان للمتنبي(٩٦، وما بعدها).

(٣) بعض آية من سورة الأحقاف(رقم:٢٤).

(٤) ينظر: [تهذيب اللغة:١/٢٩٧–عرض] تحقيق: د/محمد عوض مرعب – لا ط – دار إحياء التراث العربي – ٢٠٠١م.، و[لسان العرب:٤/٢٨٨٩–عرض] تحقيق: عبدالله علي الكبير وآخرون– دار المعارف– القاهرة.

لانسحابها في الهواء[١] ... وهذا يدل على أن"العارض "أقوى في المعنى من السحاب ، وهذا هو اللائق بمقام المدح ؛ للدلالة على أن عطاءه قد سد الأفق ، وأغنى، وأنه قد بلغ في ذلك مبلغًا عظيمًا ... وهذا ما يتلاقى مع دعوى تعريف أفعاله بنسبته إلى الكرام من الناس.

تاسعا: وأما عيب "الهتن "، فإن ابن الأثير لم يبيِّن وجه عيبها ، ولكنه اكتفى بأنها ليست بمرضية في هذا الموضع ، وهذا وحده كاف في سقوط دعواه ، ثم ألا ترى أن "هتن "هنا أبلغ من "هطل "؛ لأنه من المطر فوق الهطل "ثم هو الدائم من المطر، وهذا أليق بالمدح من غيره [٢]، وهذا ما أشار إليه البرقوقي بقوله: وعيب لفظ (هتن) على المتنبي؛ لأنه يقال: سحاب هاتن ولا يقال: هتن، ولكن جاء به قياسًا على (هطل) وهو من النوادر[٣].

عاشرا: وعليه فما ذهب إليه ابن معصوم هو الصواب المناسب للسياق العام من القصيدة ، فالمقام مقام مدح، والألفاظ التي استخدمها المتنبي عريقة في المدح، ومثل هذا لا يخفي على المتنبي.

(١) ينظر: [تهذيب اللغة:١٩٥/٤-سحب]، و[لسان العرب:١٩٤٨/٣-سحب].

(٢) ينظر: مناقدة ابن سنان للمتنبي(٩٧، وما بعدها).

(٣) ينظر: شرح الديوان -للبرقوقي(٣٤٨/٤).

المطلب الثاني: موقفه من ابن حجة في تفضيل بيتيه على بيتي ابن رشيق في مراعاة النظير[١].

أشار ابن معصوم إلى هذا الاعتراض في أثناء حديثه عن شواهد مراعاة النظير ... ومنها قول ابن رشيق:

[الطويل]

أصَحُّ وأقوَى مَا رَوَينَاهُ فِي النَّدَى مِن الخَبَرِ المَأثُورِ مُنذُ قَدِيم

أحَادِيثُ تَروِيهَا السّيُول عَنِ الحَيَا عَنِ البَحرِ عَن كَفِّ الأميرِ تَمِيمِ[٢]

---

(١) وتسمى" التناسب والتوفيق ، والائتلاف ، والمؤاخاة ، والتلفيق "، وهو أن يجمع الناظم أو الناثر بين أمر وما يناسبه مع إلغاء ذكر التضاد لتخرج المطابقة ، وسواء كانت المناسبة لفظًا ومعنى، أو لفظًا للفظ، أو معنىً للمعنى؛ إذ القصد جمع شيء إلى ما يناسبه من نوعه، أو إلى ما يلائمه من أحد الوجوه.

ينظر: الإيضاح (٦/ ١٩) تحت اسم "التناسب والتوفيق"، والمصباح (٢٤٩) تحت اسم " الائتلاف "، ونهاية الأرب– للنويري تـ٧٣٣هـ (٧/ ١٠٦) تحت اسم " التشابه "، دار الكتب– القاهرة ط١ – ١٤٢٣هـ. والإيضاح (٦/ ١٩) ، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز – للعلوي تـ٧٤٥هـ (٢/ ٣٨٨) تحدث عن " المؤاخاة بين المعاني والألفاظ "، (٣/ ١٤٤) تحت اسم " الائتلاف " (٣/ ٣٦١) تحت اسم " الائتلاف والملائمة ". المكتبة العنصرية –بيروت – ط١– ١٤٢٣هـ

(٢) ديوانه (١٤٣) شرح د/ صلاح الدين الهوارى، وهدى عودة، بيروت، دار الجيل، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م،وينظر: تحرير التحبير(٣٦٦)، ونهاية الأرب(١٥٨/٧)، والطراز(٨١/٣)، ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص – للعباسي تـ٩٦٣هـ (٢٣٤/٢) تحقيق: د/ محي الدين – عالم الكتب – لا ط – ١٣٦٧هـ – ١٩٥٠م.

فأجاد ما شاء في المناسبة بين الصحة والقوة، والرواية والخبر المأثور، ثم بين: السيل والحياء، والبحر وكف تميم، لما شاع بين الشعراء من جعل كف الممدوح سحابًا وبحرًا ونحوهما، مع ما فيه من حسن الترتيب في العنعنة؛ إذ جعل الرواية لصاغر عن كابر ، كما يقع في سند الأحاديث، فإن السيول أصلها المطر، والمطر أصله البحر (على ما يقال) والبحر أصله كف الممدوح على ادعاء الشاعر، مع رعاية العنعنة المستعملة في الأسانيد[1].

قال ابن حجة في باب المناسبة - بعد ذكره هذين البيتين - أقول: ***إنني زاحمت ابن*** رشيق هنا

بالمناكب، وأبطلت موانع التعقيد لما دخلت معه إلى هذه المطالب، وما ذاك إلا أنني امتدحت شيخي علاء الدين القضامي بموشح ببيت ملخصه تحفة في هذا الباب، لأن مناسبته المعنوية رفعت عن وجه محاسنها الحجاب، وهو:[البسيط]

رَقمُ السَّوَالِف يَروِي لِي بِمُسنَدِهِ عَن رَقمَتي حَيهم يَا طَيب مورده

وثغرها قد روى لي قبل ما احتجبت عن برق ذاك النقا أيام معهده

والريق أمسى عن المبرد يروي حديث العذيب مسند

عن الصفا عن مذاق الشهد والعسل عن ذوق سيدنا قاضي القضاة علي

قال: وقد حبست عنان القلم عن الاستطراد إلى وصف محاسن هذا البيت، ومناسبته المعنوية، فإن برهانه غير محتاج إلى إقامة دليل. انتهى كلامه[2].

---

(١) ينظر: أنوار الربيع(١٢٥/٣)، وينظر: تحرير التحبير(٣٦٦).

(٢) ينظر: خزانة الأدب(٣٦٨/١).

فاعترض عليه ابن معصوم بقوله: قلت: هيهات، أين الثريا من الثرى،

وأين مطلع سهيل من موقع السيل؟ على أن هذه الرواية المعنعنة التي ذكرها في مخلصه هذا إنما كانت تحسن عن ذوق المحبوب، لا ذوق الممدوح، وهذا من الغلط بوضع الكلام في غير موضعه[١]، كما قالوا في قول المتنبي:

أغَارُ مِنَ الزُّجَاجَةِ وَهِي تَجرِي عَلَى شَفَةِ الأمِيرِ أبِي الحُسَينِ[٢] [الوافر]

قالوا: إن هذه الغيرة إنما تكون بين المحب والمحبوب، كما قال كشاجم[٣]: [الوافر]

---

(١) ينظر: أنوار الربيع(٣/١٢٥).

(٢) ديوان المتنبي بشرح البرقوقي(٤/٣٢٦)، وأبو الطيب المتنبي وما له وما عليه(٩٠)، الإبانة عن سرقات المتنبي لفظًا ومعنى – لمحمد بن أحمد العميدي تـ٤٣٣هـ(٣٩) تقديم وتحقيق وشرح: إبراهيم الدسوقي البساطي – دار المعارف – القاهرة – لا ط – ١٩٦١م ، ونشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان–للقنوجي تـ١٣٠٧هـ (٨٠) عني بنشره: محمد عطيه الكتبي– المطبعة الرحمانية–ط١–١٣٣٨هـ.

(٣) أبو الفتح محمود بن محمد بن الحسين بن السندي بن شاهك , المعروف بكشاجم؛ لأنه كان كاتبًا شاعرًا أديبًا جامعًا منجمًا، كان صادق الولاء لأهل البيت، وجد أبيه السندي هو الذي تولى اضطهاد الإمام موسى بن جعفر في سجن هارون الرشيد , رحل إلى " مصر" غير مرة، وأخيراً ألقى عصا الترحال في " حلب " توفي سنة ٣٥٠هـ، وقيل: ٣٦٠هـ. ينظر: فوات الوفيات– لمحمد بن شاكر تـ٧٦٤هـ (٤/ ٩٩) تحقيق: إحسان عباس–دار صادر–بيروت–ط١–١٩٧٣م، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب– لابن العماد تـ١٠٨٩هـ (٤/ ٣٢٠–٣٢٢) تحقيق: محمود الأرناؤوط– خرج أحاديثه: عبدالقادر الأرناؤوط– دار ابن كثير– دمشق– ط١– ==

أَغَارُ إِذَا دَنَت مِن فِيهِ كَاسٌ عَلَى دُرٍ يُقَبِّلُهُ زُجَاجُ[1]

فأما الأمراء والملوك ، فلا معنى للغيرة على شفاهها، اللهم إلا أن يكون بين ابن حجة وبين شيخه الممدوح أمر يقتضي هذه الرواية المعنعنة عن ذوقه، فهو أدرى به[2].

التعليق:

أولا: **مما سبق يتضح أن اعتراض ابن معصوم على قول ابن حجة وجيه؛ وذلك لأن وصفه لشيخه الممدوح- علاء الدين القضامي- وصفًا مجانبًا للصواب، بل إن مدحه لشيخه أولى به أن يكون وصفًا للمحبوب لا للممدوح؛ لأن وصف المحبوب بالصفاء، ولذة الريق الذي يشبه العسل من الأوصاف المألوفة الشائعة بين المحبين، ولا يليق وصف الممدوح بلذة الريق... وغيرها من الأوصاف التي يوصف بها المحبوب.**

ثانيا: **وجه الاعتراض هنا أن ابن حجة وضع الكلام في غير موضعه، فقوله: يليق في مقام غير هذا المقام، ويكون جيدًا في مقام الغزل ، ووصف العلاقة الخاصة بين المحبين، ولكن مقام المدح يقتضي أن يعدد الشاعر مناقب الممدوح التي ليس من بينها لذة الريق وحلاوته، بل يقوم مقامها حكمة**

==

١٩٨٦م.

(١) ملحق ديوان **كشاجم** محمود بن الحسين ت٣٦٠هـ (٦٨) دراسة وشرح وتحقيق: د/ النبوي عبدالواحد شعلان – الخانجي – ط١ – ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، وأبو الطيب المتنبي وما له وما عليه(٩٠) ، ونهاية الأرب (٢/٢١٥) ، ونشوة السكران(٨٠).

(٢) ينظر: أنوار الربيع(٣/١٢٦).

الممدوح التي تنسال على لسانه كالنهر في تدفقه واطراده لتهدى الحيارى ، وتدفع للأمل... إلى غير ذلك من الأوصاف التي تليق بالممدوح .

ثالثا: فضلا عن أن ابن معصوم دعم رأيه بالأدلة التي تعضده ، واستشهد بقول المتنبي ، وكشاجم، السالف ذكرهما، فقد قال الواحدي في تعليقه: "لقد أساء أبو الطيب؛ لأن الأمراء لا يغار على شفاههم ، ويقول: من يعذره – المتنبي– إنما يغار ؛ لأنه يرفع شفتيه عن رتبة الكأس والخمر؛ لأنهما –أي شفتيه–للأمر والنهي والألفاظ الحسنة والأمر بالصلة ...إلخ[١].

رابعا: أضف إلى ذلك الفرق الواضح بين الأبيات من خلال الموازنة بينهما(بيتي ابن رشيق، وأبيات ابن حجة)، سواء كان من جهة المعني أم اللفظ، أم الروي، فابن رشيق كان أوقع أثرا، وأعمق معنى، بخلاف ابن حجة ، فأبياته وإن كانت متناسبة في المعنى من حيث (السوالف، والثغر، والريق، والحديث العذب، ومذاق الشهد والعسل، إلا أن هذه المعاني لم تتناسب مع الحديث عن ذوق قاضي القضاة ، فالمتلقي يشعر بالافتعال والتكلف فيها، وكذلك الألفاظ ، فبيتا ابن رشيق على قلة ألفاظهما ، إلا أنهما عبرا عن المراد دونما جهد لذهن القارئ ، على خلاف أبيات ابن حجة التي اتسع في التعبير عن معانيه في ضعف البيتين ، فالتناسق اللفظي تابع للتناسب المعنوي في بيتا ابن رشيق على خلاف أبيات ابن حجة، وكذلك الوزن والروي، فبيتا ابن رشيق من بحر الطويل المعروف بكثرة حركاته التي أتاحت السهولة في النطق ،والتواصل الصوتي بينهما، على خلاف أبيات ابن حجة ، فهي من البسيط المعروف بكثرة سكناته، وكأنها أعاقت القارئ عن الاسترسال في

---

(١) ينظر: شرح ديوان المتنبي للبرقوقي(٤/٣٢٦).

المعنى بكثرة التقييد النابع منها.

خلاصة القول: وهي أن ابن معصوم حالفه الصواب فيما ذهب إليه ؛ بخلاف ابن حجة ، فقد جانبه الصواب لما سبق ذكره.

المطلب الثالث: موقفه من ابن حجة، والكفوي في التورية المهيأة:

أشار ابن معصوم إلى هذا الاعتراض في أثناء حديثه عن التورية المهيأة[1]، حيث قال في عرضه لأقسامها: وأما ما استشهد به ابن حجة وغيره على هذا القسم- أي: الأول وهو(ما تهيأت بلفظ قبلها)- من قول ابن سناء الملك يمدح الملك المظفر صاحب حماة[2]: [الطويل]

وَسَيرك فِينَا سِيرَة عُمرية فَرَوحت عَن قَلبٍ وَأفرجت عَن كَرب

وأظهرت فينا من سميّك سنة فأظهرت ذاك الفرض من ذلك الندب[3]

---

(١) وهي التي تفتقر إلى ذكر شيء قبلها أو بعدها يهيئها لاحتمال المعنيين، وإلا لم تتهيأ التورية، أو تكون التورية في لفظين أو أكثر، لولا كل منهما لَمَا تهيأت التورية في الآخر.أنوار الربيع(١١/٥)، وعلم البديع-لعتيق(١٣٠).

(٢) عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، تقى الدين صاحب حماة (ت ٥٨٧ هـ) استنابه عمه الناصر صلاح الدين بمصر ، وأقطعه حماة ، له مدرسة مشهورة بحماة وأخرى بدمشق ، مات مقتولا .

ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- لابن خلكان البرمكي الإربلي تـ٦٨١هـ(٤٥٦/٣) تحقيق: إحسان عباس- دار صادر – بيروت- ط١- ١٩٠٠م، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة – لابن تغري الأتابكي تـ٨٥٢هـ (١١٣/٦) سلسلة الذخائر- دار الكتب المصرية- لاط- من دون.

(٣) ديوان ابن سناء الملك :(١١/٢) ، وفيه : " من " محل " عن " ، و " وردك " محل ==

ثم اعترض عليه مفنداً كلامه بقوله: وقولهم: لولا ذكر السنة لما تهيأت التورية في الفرض والندب, ولا فهم منهما الحكمان الشرعيان اللذان صحت بهما التورية[١], **فليس بصحيح**، فإن كلا من الفرض والندب يهيئ الآخر للتورية ولو لم يذكر السنة -كما هو ظاهر- فهو القسم الثالث من أقسام التورية المهيأة, لا من هذا القسم[٢].

التعليق:

أولا: من خلال التتبع والاستقراء في كتب المتأخرين الذين تعرضوا لذكر هذين البيتين، نجد أن معظمهم اتفقت كلمتهم على أن التورية في البيت مهيأة بذكر شيء قبلها، وهو(السنة)، وهذا ما أشار إليه ابن حجة[٣]، والسيوطي[٤]،

==

" وأظهرت " ، وخزانة الأدب (٢٤٨/٢)، وبديعية "الفتح المبين في مدح الأمين" صلى الله عليه وسلم وشرحها للسيدة عائشة بنت يوسف بن أحمد، الباعونية – تحقيق ودراسة(١١٢، وما بعدها) رسالة ماجستير مقدمة من / عبد العزيز عبد السلام محمد مخلوف، القاهرة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر.

(١) ينظر: خزانة الأدب وغاية الأرَب – لابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي الحموي الأزراري تـ٨٣٧هـ (٢٤٨/٢) شرح: عصام شعيتو – مكتبة الهلال– بيروت – ط١ –١٩٨٧م.

(٢) ينظر: أنوار الربيع(١٢/٥).

(٣) ينظر: خزانة الأدب(٢٤٨/٢).

(٤) ينظر: شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان – للسيوطي تـ٩١١هـ (١١٤) البابي الحلبي – مصر– لا ط – ١٣٥٨هـ – ١٩٣٩م.

والباعونية في بديعيتها الصغرى والكبرى[١]، والكفوي[٢]، وغيرهم من المتأخرين[٣].

ثانيا: وأما ما ذهب إليه ابن معصوم ، فلم أقف على أحد من المتأخرين- على حد علمي- ذهب إلى ما ذهب إليه.

ثالثا: بعد التأمل في الكلام السالف ذكره يتبين أن ابن معصوم يعترض على ابن حجة الحموي في خزانة الأدب، وأبي البقاء الكفوي في الكليات ، وغيرهما ممن قال بأن التورية هنا مهيأة بلفظ قبلها ، ولولا هذا اللفظ لما صحت التورية...حيث يقول ابن حجة بعد ذكر البيتين: " الشاهد هنا: في (الفرض والندب)، وهما يحتملان أن يكونا من الأحكام الشرعية، وهذا هو المعنى القريب المورى به، ويحتمل أن يكون الفرض بمعنى: العطاء، والندب صفة الرجل السريع في قضاء الحوائج الماضي في الأمور، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه، ولولا ذكر السنة لما تهيأت التورية فيهما، ولا فهم من الفرض والندب الحكمان الشرعيان اللذان صحت بهما التورية."

---

(١) ينظر: شرح الباعونية الصغري(١١٢، وما بعدها)، وشرح عائشة الباعونية على بديعيتها= الفتح المبين في مدح الأمين(٥٩٠/١) تحقيق / السيد حمدان السيد سعد، رسالة ماجستير بكلية الآداب، جامعة طنطا، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

(٢)ينظر:الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية- لأيوب بن موسى الكفوي، ت١٠٩٤هـ (٢٧٨/١). تحقيق: عدنان درويش ، ومحمد المصري – مؤسسة الرسالة – بيروت – لاط – من دون.

(٣) ينظر: علم البديع دراسة تاريخية وفنية-لفيود(١٧٩) مؤسسة المختار-ط٢-١٤١٨هـ،وعلم البديع -لعتيق (١٣٠)، ودراسات منهجية في علم البديع-د/الشحات أبو ستيت(١٣٧)-كلية اللغة العربية ط١-١٤١٤هـ.

رابعا: فما ذكره ابن حجة ومن معه من أن التورية هنا مهيأة بلفظ قبلها ، هو ما سار عليه معظم علماء البلاغة ، والبيت يحتمله على تفسيره السابق.

خامسا: وأما ما ذهب إليه ابن معصوم من أن كلا من الفرض والندب يهيئ الآخر للتورية ، ولو لم يذكر السنة -كما هو ظاهر- فهو من القسم الثالث من أقسام التورية المهيأة, لا من هذا القسم...هو الأولى والأليق بنظم الكلام وبنائه؛ إذ لا فرق بين مجيء الفرض والندب هنا، وبين التعبير بسهيل والثريا في قول عمر بن أبى ربيعة[١] : [الخفيف]

أيّها المُنكِح الثّريّا سُهَيلًا عَمرك اللهُ كَيفَ يَلتَقِيَانِ

هي شاميّة إذا ما استقلّت وسهيل إذا استقلّ يماني[٢]

فالتورية في "الثريا"و"سهيل"؛ فإن "الثريا" تحتمل اسم المحبوبة ؛ وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه ، وتحتمل الثريا ذات النجوم ، وهذا هو المعنى القريب المورى به غير المقصود ، وكذلك "سهيل " يحتمل اسم المحب ، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه ، ويحتمل النجم المعروف بـ "سهيل " ، وهذا هو المعنى القريب المورى به ، فكل واحد منهما هيأ صاحبه للتورية.

---

(١) عمر بن أبي ربيعة المخزومي القرشي، أرق شعراء عصره من طبقة جرير والفرزدق، نقاه عمر بن عبد العزيز إلى دهلك بسبب تشبيبه وتعرضه للنساء في الحج، مات غرقًا في إحدى الغزوات البحرية.

ينظر: الأعلام – لخير الدين الزركلي تـ ١٣٩٦هـ(٥/٥٢) ط١٥ – دار العلم للملايين – ٢٠٠٢م.

(٢) ديوان عمر بن أبي ربيعة (٥٠٣) القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م.

خلاصة القول: **أن ابن معصوم وإن كان مصيبًا فيما ذهب إليه، إلا أنه تسرع في الحكم على ابن حجة بقوله:" فليس بصحيح"؛ وذلك لأن البيت يحتمل هذا وذاك، يحتمل أن يكون مهيأ بلفظ قبلها، وهي (السنة)، ويحتمل أن يكون من القسم الثالث، كما ذهب إليه ابن معصوم؛ ولذا فكان على ابن معصوم ألا يتسرع في الحكم على ابن حجة ومن تبعه، فكل له فكره وفهمه لما يشرح، وطالما أن البيت يحتمل هذا وذاك ، فلا داعي للتخطئة .**

المطلب الرابع: موقف ابن معصوم من الخطيب وابن حجة في باب المبالغة(الغلو)[1].

أشار ابن معصوم المدني إلى هذا الاعتراض في أثناء حديثه عن الغلو[2] ، ثم شرع في التمثيل له بأمثلة عديدة ، منها ما أشار إليه في هذا الاعتراض بقوله: ومن أحسن أنواع الغلو- أيضًا- ما تضمن نوعًا حسنًا من التخييل, وإن

---

(١) قال ابن الأثير الحلبى: الإغراق والغلو والمبالغة ثلاث تسميات متقاربة وردت في باب واحد لقرب بعضها من بعض، فأما الإغراق ، فهو الزيادة في المبالغة حتى يخرجها عن حدّها ، وأما الغلوّ ، فهو الزيادة فى الخروج عن الحدّ ... وأما المبالغة ،فهي بلوغ القصد من غير تجاوز الحدّ. ينظر:جوهر الكنز – لابن الأثير الحلبي تـ٧٣٧هـ (١٣٥) تحقيق: د/ محمد زغلول – الإسكندرية- منشأة المعارف. د.
ينظر تخريجه في كتاب الصناعتين: ٣٦٩ والعمدة(٦٠/٢)، والمثل السائر(١٩٤/٣) وتحرير التحبير(٣٢٣) والمصباح(٢٢٦) ، والمنزع البديع- للسجلماسي تـ٧٠٤هـ (٢٧٣) عده من الإغراق- تحقيق:علال الغازي- الرباط- مكتبة المعارف- ١٤٠١هـ-١٩٨٠م ، ونهاية الأرب(١٤٩/٧) ،والإيضاح: (٤١/٤)، والطراز(١٢٩/٣)، وشرح عقود الجمان(١٢٢) وشرح البديعية الصغرى(٢٥٧) .

(٢) وهو أن تدعي لشيء وصفًا بالغًا حد الاستحالة عقلًا وعادة.

لم يأت فيه بأداة التقريب, ومثل له الخطيب في الإيضاح والتلخيص بقول أبي الطيب: [الكامل]

عَقَدَت سَنَابِكُهَا عَلَيهَا عِثيَرا لَو تَبتَغِي عُنُقًا عَلَيهِ لأمكَنَا[١]

وتبعه على ذلك ابن حجة فقال: ومن الغلو المقبول بغير أداة التقريب قول أبي الطيب[٢] **– وأنشد البيت – واعترض ذلك بعض المتأخرين فقال: قد عدوا من أدوات التقريب (لو) وصرح بذلك ابن حجة في الإغراق، فقال: ولم يقع شيء من الإغراق والغلو في الكتاب العزيز, ولا في الكلام الفصيح إلا مقرونا بما يخرجه من باب الاستحالة, ويدخله في باب الإمكان مثل: (كاد) ،و (لو) وما يجري مجراهما, ثم قال: ومن شواهد تقريب نوع الإغراق (بلو) قول زهير: [البسيط]**

---

(١) ديوان المتنبي: ٤/ ٣٣٦ من قصيدة في مدح بدر بن عمّار، وينظر: الوساطة بين المتنبي وخصومه– للجرجاني(١٦٦، ٣٦٠) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلى البجاوي– المكتبة العصرية – صيدا – بيروت– ط١– ١٤٢٧هـ– ٢٠٠٦م، والمنصف(٦٦٠)، وشرح ديوان الحماسة لأبي تمام – لأبي علي المرزوقي تـ ٤٢١هـ (٢٤٦) تحيقق:غريد الشيخ – وضع فهارسه: إبراهيم شمس الدين – ط١ – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م. ،والمثل السائر(٣١٦/٢)، والطراز(١٦٥/٢)،وبغية الإيضاح(٦١٤/٤)، والمآخذ على= = شراح ديوان المتنبي–أحمد بن علي المهلبي تـ٦٤٤هـ(١١٩/٥) تحقيق: عبدالعزيز بن ناصر– مركز الملك فيصل–ط٢–١٤٢٤هـ، وعروس الأفراح – للسبكي تـ٧٧٣هـ (٢٦٢/٢) تحقيق: د/ خليل إبراهيم خليل – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

(٢) ينظر: خزانة الأدب(١٧/٢).

لَوَ كَانَ يَقعُدُ فَوقَ الشَّمسِ مِن كَرَمٍ قَومٌ لِأَوَّلِهِم أو مَجدِهِم قَعَدُوا[1]

قال: (لو تبتغي عنقا عليه لأمكنا) وهو محل الشاهد, فإن صدره لا غلو فيه البتة, فكيف يقال أنه من الغلو بغير أداة التقريب؟[2].

التعليق:

أولا: **من خلال البحث والاستقراء في كتب البلاغيين ، يتبين أن كلمتهم اتفقت-على حد علمي- على أن البيت فيه حسن تخييل، وأنهم صاروا على نهج الخطيب في ذلك، فالشيخ سعد الدين قال: ادعى أن الغبار المرتفع من سنابك الخيل قد اجتمع فوق رؤوسها متراكمًا متكاثفًا، بحيث صار أرضًا يمكن أن تسير عليها تلك الجياد، وهذا ممتنع عقلا وعادة ، لكنه تخييل حسن**[3]**، وهذا المعنى هو الذي أكد عليه الشراح كالسبكي**[4]**، والعصام**[5]

---

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى (٢١) اعتنى به وشرحه: أحمد طاوس – دار المعرفة – بيروت – لبنان – ط٢ – ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، وينظر: جمهرة أشعار العرب- لأبي زيد القرشي تـ١٧٠هـ(٦٩) حققه وضبطه: علي محمد البجاوي- نهضة مصر للطباعة ، وقواعد الشعر -لثعلب تـ٢٩١هـ (٤٣) تحقيق: د/ رمضان عبد التواب – ط٢ – مكتبة الخانجي – القاهرة – ١٩٩٥م، وعيار الشعر -للعلوي، أبو الحسن تـ٣٢٢هـ(٧٧) تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع – الخانجي – لا ط – من دون، والعقد الفريد- لابن عبد ربه تـ٣٢٨هـ(٢١٩/١) دار الكتب العلمية- بيروت- ط١- ١٤٠٤هـ, والعمدة(٦٤/٢)، ونهاية الأرب (١٨٧/٣).

(٢) ينظر: أنوار الربيع(٢٣٩/٤).

(٣) ينظر: المطول(٦٦٦).

(٤) ينظر: عروس الأفراح(٢٦٢/٢).

(٥) ينظر: الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم – لعصام الدين الإسفراييني ت٩٤٣هـ ==

والمغربي[١]،والخوارزمي[٢]، والدسوقي[٣]، والفسوي[٤]، وغيرهم.

ثانيا: وأما ما ذهب إليه ابن معصوم في اعتراضه على أن البيت فيه غلو بغير أداة التقريب ، فقد تابعه في ذلك د/ عبدالقادر حسين، حيث قال: والذي قربه إلى الصحة دخول (لو) عليه، وصدر البيت لا غلو فيه إطلاقًا.

ثالثا: الناظر في تعليق ابن معصوم ، يجد أن كلامه مبني على أن المبالغة(الغلو) في الشطر الثاني من البيت ، وهو(**لو تبتغي عنقا عليه لأمكنا**) وهذا متفق عليه، فهو محل هذا الغلو، ولكنه مرتبط بالشطر الأول ، وهو(عقدت سنابكها عليها عثيرا) ، فالشاعر بالغ في وصفه وادعائه أن حوافر الخيل من شدة سيرها وحركتها أثارت غبارًا كثيفا في الهواء، لو أرادت السير عليه لأمكنا ، وهذا الادعاء محال ؛ لضعف مقاومته ثقل الخيل، ولكنه يخيل إلى الوهم تخييلًا حسنا من ادعاء كثرته، وكونه كالجبال في الهواء صحته، ومن

==

(٤٢٦/٢) حققه وعلق عليه د/ عبد الحميد هنداوي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

(١) ينظر: مواهب الفتاح– لابن يعقوب المغربي تـ١١٢٨هـ(٥٥٢/٢) تحقيق:د/ خليل إبراهيم خليل– دار الكتب العلمية – بيروت– ط١– ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م.

(٢) ينظر: شرح شواهد الإيضاح– لفخر الدين الخوارزمي تـ٧٩٤هـ(١١٤و) نسخ/ يوسف بن شاه– كتابخانة مجلس شوراي– تاريخ النسخ:٨٩٠هـ.

(٣) ينظر: حاشية الدسوقي على المختصر – لابن عرفة تـ١٢٣٢هـ(٩٨/٤) تحقيق: د/ عبدالحميد هنداوي– المكتبة العصرية– بيروت– ط١– ١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م.

(٤) ينظر: شرح شواهد المطول – لكمال الدين بن محمد الشهير : بمعين الدين الفارسي الفسوى(١٦٢ظ) مخطوط بكتابخانة مجلس شوراي– إيران–تحت رقم: ١٣٢/٣٢٦٣.

هنا يتضح الترابط الوثيق بين أول البيت وآخره، فالبيت وحدة متماسكة ، وبناء متكامل.

رابعا: أن ابن معصوم تعجل في الحكم على الخطيب ، وابن حجة، حين قال: (**لو تبتغي عنقا عليه لأمكنا**) وهو محل الشاهد, فإن صدره لا غلو فيه البتة, فكيف يقال أنه من الغلو بغير أداة التقريب؟ وذلك لأننا لو نظرنا إلى البيت بدون(لو) التي اتكأ عليها ابن معصوم في اعتراضه ، لاستقام البيت، وأصبح التخييل في البيت حسنا، وأن (لو) في البيت عنصرًا مساعدًا زادت هذا الغلو المقبول حسنًا وتوكيدًا، وقربته بوظيفتها من الصحة ، وأكدت على أن الكلام تحوّل من غلو مذموم إلى مقبول، وعليه فلا وجه لما ذهب إليه ابن معصوم؛ لأن الغلو قائم بالأساس على حسن التخييل ، بدليل أننا لو استغنينا عن (لو) ووضعنا مكانها أي عبارة مثلا، كقوله: (إن أحببت أو أردت أن تبتغي عنقا عليه لأمكنا) لظل التخييل الحسن في البيت كما هو.

خامسا: إننا لو تأملنا ما ذهب إليه البلاغيون من أن الغلو غير المقبول يتحول إلى مقبول بأمور منها: أن يتضمن ما يقربه من الصحة ، مثل: (يكاد، ولولا، ولو) سنجد أن هذه الأمثلة الأداة فيها هي التي يعتمد عليها، ولو نزعت لتحول الكلام من مقبول إلى غير مقبول،وذلك من مثل:[الكامل]

وَيَكَادُ يَخرُجُ سُرعَةَ مِن ظِلّه لَو كَانَ يَرغَبُ فِى فرَاقِ رَفِيقِ(١)

أراد أنه يقرب أن يفارق ظله عند جريه، وما يمنعه عن المفارقة إلا أن ظله رفيق له، ومن شيمه أن لا يفارق حميمه ورفيقه.وقول الشاعر : [الوافر]

---

(١) البيت لابن حمديس في ديوانه(٣٢٩)صححه وقدم له:د/إحسان عباس–دار صادر ، والطراز (٣/٧٠).

فلولا الريحُ أُسمعُ من بحُجر صليلَ البيض تُقرع بالذكور [١]

وكان بين حجر ومكان الوقعة مسيرة عشرة أيام.

فلولا وجود ما يقربه من الصحة، لأصبح الغلو في البيت مذموما، فالأداة هي التي يعتمد عليها، وهذا هو الفارق الدقيق بينهما.

سادسا: **وأما ما جعل ابن حجة يقول: بغير أداة التقريب، فلعله بنى رأيه على أن التخييل في البيت هو الأساس، وأن (لو) عامل مساعد يمكن الاستغناء عنه، ولكن جزمه بغير أداة التقريب، هو الذي جعله محل طعن، فالبيت يحتمل التخييل الحسن، ولو.**

خلاصة القول **: وعليه فاعتراض ابن معصوم يحتمل وجهين، الأول: يحمد له، والآخر: يؤخذ عليه، فأما الذي يحمد له، فهو إن كان يقصد أن الغلو هنا في البيت قد جمع بين الأمرين: (حسن التخييل، وأداة التقريب) وكان من المفترض على الخطيب ومن تبعه أن يصرح بذلك، وأنه يعتذر لمن ذكر أن البيت من الغلو الذي بني على تخيل حسن ، وليس فيه ما يقربه من الصحة ، فله مندوحة في ذلك.**

والآخر الذي يؤخذ عليه:فهو إن كان يعتقد أن أداة التقريب (لو) هي الأساس،والمعول عليه فيتحويل الغلو من مقبول إلى غير مقبول، فلانوافقه في ذلك؛لأننا لو استغنينا عنها لظل التخييل بحسنه قائم في البيت؛لأنهو الأصل.

---

(١) البيت للمهلهل في ديوانه(٤٤) شرح وتقديم : طلال حرب–الدار العالمية، وينظر: الأغاني – لأبي الفرج الأصفهاني (٤٦/٥) تحقيق: سمير جابر – ط٢ – دار الفكر – بيروت . ، والطراز(٧٠/٣).

المطلب الخامس: موقف ابن أبي الحديد،ومتابعة ابن معصوم له،من ابن الأثير في الإبهام.

وقد نبه ابن معصوم المدني إلى هذا الاعتراض في أثناء تفنيده واعتراضه على بعض الشواهد المعدودة من الإبهام ، وليست منه ، حيث قال : وعد ابن الأثير في "المثل السائر" من الإبهام قول أبي الطيب المتنبي في كافور:[الطويل]

فَمَالَكَ تُعنَى بِالأَسِنَّةِ وَالقَنَا وَجَدُّكَ طَعَّانٌ بِغَيرِ سِنَانِ.

وَمَالَكَ تَختَارُ القَسِيَّ وَإِنَّمَا عَنِ السَّعدِ يَرمِي دُونَكَ المَلوَانِ(١).

قال: فإن هذا لا يحتمل المدح والذم، بل هو بالذم أشبه؛ لأنه يقول: إنك لم تبلغ ما بلغته بسعيك واهتمامك، بل بجد وسعادة، وهذا لا فضل فيه؛ لأن السعادة ينالها الخامل والجاهل ، ومن لا يستحقها، قال: وأكثر ما كان المتنبي يستعمل هذا الفن في القصائد الكافوريات(٢).

ثم تعقبه ابن أبي الحديد في الفلك الدائر ، فقال: إن الناس واقع لهم واقع ظريف مع المتنبي، وكان أصله الشيخ أبو الفتح عثمان بن جني، فإنه نبه المتنبي على شيء من هذا الباب لم يكن قصده ولا خطر بباله، فضحك المتنبي ولم يكن ذلك لبغضه لكافور وحقده عليه، فصار فيه حديث طويل ، وزعم أن من جاء بعده أن المتنبي كان يقصد ذلك، ويمدحه بالشعر الموجه الذي يحتمل المدح والذم، ومنهم من يزعم أن كافورًا كان يتفطن لذلك ويغضي عنه،

---

(١) يُنظر: شرح ديوان المتنبي- للبرقوقي(٣٧٨/٤)، وفيه: البيت الثاني هو الأول، وقوله: "ومالك"بدلًا من"فمالك"، و"الثقلان"بدلًا من "الملوان".

(٢) يُنظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر(٦٥/١) تحقيق:د/ بدوي طبانة.

وينقلون هذا عن المتنبي، وما كان ذلك قط ولا وقع شيء منه ، ولا قصد أبو الطيب نحو ذلك أصلًا.

ثم دعم ابن أبي الحديد اعتراضه بأمثلة تؤيده حيث قال(١): فأما هذان البيتان ، فقد قال في سيف الدولة مثلهما كثيرًا، نحو قوله له: [الخفيف]

وَلَقَد رُمتَ بِالسَّعَادَةِ بَعضًا مِن نُفُوسِ العِدَا فَأدرَكتَ كُلَّا(٢)

ونحو قوله له: [الرجز]

لَو لَم تَكُن تَجرِي عَلَى أسيَافِهِ مُهجَاتُهُم لَجَرَت عَلَى إِقبَالِهِ(٣).

ثم أفصح ابن معصوم عن رأيه بقوله : **والحق ما قاله ابن أبي الحديد:** أن المتنبي لم يكن يقصد شيئًا من ذلك قط ولا خطر له أصلا، كيف؟ ولو كان كذلك لناقض كلامه بعضه بعضا، لأن له في كافور من المدح ما لا يشوبه شيء من هذه التأويلات الباردة، والله أعلم بحقائق الأمور(٤).

---

(١) يُنظر: الفلك الدائر على المثل السائر(٥٦-٦٠) قدم له وحققه وعلق عليه:د/أحمد الحوفي، ود/ بدوي طبانه-دار الرفاعي-ط٢-١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، وذكر في آخر تعليقه: أن سيف الدولة لما اشتهر إخلاص أبي الطيب في ولائه ، عدل الناس عن هذا الشعر الذي يتضمن ذكر الجد والحظ، فلم يذكروه ، ولم يجعلوه موجها متوسطا بين المدح والذم، وقالوا ذلك في كافور؛ لما حدث تغيره مع أبي الطيب، وانحراف كل واحد منهما عن صاحبه، ومجاهرة أبي الطيب له بعد مفارقته بالهجاء، ولو تأملت الأشعار كلها وأردت أن تستنبط منها ما يمكن أن يكون هجاء لقدرت.

(٢) يُنظر: شرح ديوان المتنبي- للبرقوقي(٣/٢٤٧).

(٣) يُنظر: شرح ديوان المتنبي- للبرقوقي(٣/١٨٦).

(٤) يُنظر: أنوار الربيع(٢/ ١٥-٢٧).

التعليق:

أولا: **مما سبق يتبين أن ابن معصوم المدني أظهر اعتراضه لابن الأثير فيما ذهب إليه، ومال إلى رأي ابن أبي الحديد، مدعمًا ذلك بذكر بعض الأبيات التي تعضد وجهته، وأشار إلى أن المتنبي لم يقصد ذلك ؛ بحجة أنه لو قصد لناقض كلامه؛ بسبب ما له من القصائد الكثيرة في مدح كافور.**

ثانيا: **من يمعن النظر في مطالع قصائد المتنبي لكافور ، يدرك أن الجانب النفسي، أو الحالة النفسية لها أثر كبير في حياته، وما يترتب على هذه الحالة من تغيير في نظم الكلام الذي يلائمها، فالبلاغة قائمة على مراعاة الحال أو المقام ، وهذا يتسع ليشمل الحالة النفسية للشاعر، ومدى إخلاصه في قوله... وهذا من أساس النظم عند الإمام عبدالقاهر؛ لأنه قائم على ترتيب الكلام على وفق ما في النفس(١).**

ثالثا: **إن في وضع قواعد صارمة لا تتزحزح بعوامل نفسية، أو خارجية لأغراض الفن المختلفة، فيه خطر على الأدب، وأصالة الشاعر؛ إذ يصبح الأدب عبارات تقال لا تنم عن حقيقة الموقف الذي هو فيه ؛ وذلك لأنه لا معنى لأن يصور الشاعر مالا يحس به؛ لأن هذا يمس صدق الشاعر، وأصالته الفنية(٢).**

رابعا: **المتأمل يدرك أن المقام مقام مدح، والمدح لا ينبغي أن يكون الكلام**

---

(١) يُنظر:دلائل الإعجاز-لعبدالقاهر الجرجاني(٨٧)تحقيق: محمود شاكر- دار المدني-ط٣-١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

(٢) يُنظر: النقد الأدبي الحديث(٢٣٨) نقلا من مناقدة ابن سنان للمتنبي بين التحليل البياني والعمود الشعري-د/ علي عيسى(١٥١-١٥٣) مطبعة العدوي-ط١-١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

فيه محتملًا للضدين...لكن إذا كان المادح يمدح لرغبة ، أو رهبة، وهو يمقت الممدوح ويكرهه ويبغضه ، فإن مقام المدح الكاذب حينئذ يتسع لمثل هذا الفن(١)، ومطلع هذه القصيدة ينبئ عن صحة ما ذهب إليه ابن الأثير، فالمتنبي يقول في مطلعها:

عَدُوّكَ مَذمُومٌ بِكُل لِسَانِ وَلَو كَانَ مِن أعدَائِكَ القَمَرَانِ

قال الجرجاني: فإنه يحتمل المدح ، ويحتمل الهجاء بأن يكون معناه: أنت ساقط دني، والساقط لا يعاديه إلا مثله، فإذا كان معاديك مثلك فهو مذموم بكل لسان ، كما أنك كذلك، ولو عاداك الشمس والقمر لسقطا بمساجلتهما إياك، يدل عليه قوله بعده:

وَلِله سِر فِي عُلَاكَ وَإِنَّمَا كَلَامُ العِدَا ضَربٌ مِنَ الهَذَيَانِ

فإنه في الهجاء أظهر، بأن يكون مراده في بلوغك هذه المنزلة التي لا تستحقها ولا تستوجبها سر الله –تعالى– غير مطلع عليه أحدا، وله وجه في المدح، بأن يكون مراده أن الله –تعالى– ما بلغك هذه المنزلة إلا وأنت تستحقها فيما بينك وبينه(٢).

(١) يُنظر: دراسات في علم البديع–د/ أحمد علي(٢٧٤ ، وما بعدها) مطبعة الأمانة– ط١–١٤٠٦هـ.

(٢) يُنظر: المنتخب من كنايات الأدباء وإرشادات البلغاء– لأبي العباس أحمد بن محمد الجرحاني الثقفي تـ٤٨٢هـ (٧١) مطبعة السعادة– مصر– ط١– ١٣٢٦هـ– ١٩٠٨م.

خامساً: أما بالنسبة لابن أبي الحديد ، فقد جانبه الصواب في اعتراضه على ابن الأثير لأمور منها:

١- أنه أنكر أن يكون المتنبي قد قصد ذلك ، ونرد عليه بأن المتنبي نفسه صدّق على كلام ابن جني في قصيدته التي منها: [الطويل]

وَما طَرَبِي لَمَّا رَأَيْتُكَ بِدْعَةً لَقَدْ كنْتُ أَرْجُو أنْ أَرَاك فأطرَبُ[١].

قال الواحدي وغيره: هذا البيت يشبه الاستهزاء به؛ لأنه يقول: طربت على رؤيتك كما يطرب الإنسان على رؤية القرد، وكل ما يستملح ويضحك منه! قال ابن جني: لما قرأت على أبي الطيب هذا البيت قلت له: أجعلت الرجل أبا زنة؟-وهي كنية القرد- فضحك لذلك![٢].

وهذا ما أشار إليه د/ إحسان بقوله: "وفهم ابن جني من هذا الضحك أن الشاعر كان يرمي إلى ما وراء المدح من معنى، ولهذا خرج بهذا الاستنتاج: " وهذا مذهبه في أكثر شعره؛ لأنه يطوي المديح على هجاء ؛ حذقًا منه بصنعة الشعر وتداهيًا في القول"[٣].

٢- أما بالنسبة للأبيات التي استشهد بها لتعضيد رأيه في سيف الدولة ، وأن حظه ساعده، هذه الأبيات قطعها عن سياقها، فالسياق سياق جهاد ،

---

(١) يُنظر: شرح ديوان المتنبي-للعكبري(٢٩٦/٤)تحقيق:مصطفى السقا، وآخرون-دار المعرفة -بيروت.

(٢) ينظر: شرح ديوان المتنبي – للبرقوقي(٣١٣/١).

(٣) تاريخ النقد الأدبي عند العرب- د/ إحسان عباس(٢٨٢)دار الثقافة- ط٤- ١٩٨٣م.

وحرب، ومغالبة الأعداء، كما هو سياق تعب ، ونصب، فكان في معرض تضافر أسباب النصر، بمعنى : أن نصرك أمر بدهي ويقيني.

٣- أن المتنبي وهو في مصر مدح فاتكا، وكان يبغض كافور، وكان في مدحه لفاتك يتعمد مضادة المعاني التي قالها في كافور، وهذا دليل على تعمد المتنبي هذا المدح الموجه، وأشار د/ لاشين إلى أن من يوازن بين مدحه لفاتك، ومدائحه لكافور في العام نفسه ، وجد فرقًا بين المدحين، واختلافًا بين حالتي النفس التي جادت بهما، فمدائحه لكافور في الجملة مدائح نفس منقسمة، وقلب غير طيع، ومدحه لفاتك مدح نفس مشايعة، وقلب جميع...إلخ[١].

سادسا: **أما ابن معصوم المدني، فقد قال:** أنه لو قصد ذلك لناقض نفسه....، نرد عليه ونقول: إن هذا ليس فيه تناقض؛ لأن ابن معصوم وغيره قاسوا الشعر كله بأدب الدرس، لكن الشاعر الماهر الحصيف كالمتنبي، من يزاوج بين أدب الدرس ، وأدب النفس، وليست هذه تأويلات باردة، كما قال ابن معصوم.

خلاصة القول: **وعليه فابن الأثير كان مصيبًا في تعليقه**، وإن كان الهجاء أو الذم أظهر ، فإنه أظهر للناقد وليس للممدوح، ولو كان ظاهرًا للممدوح؛ لدفع المتنبي حياته ثمنًا لذلك،كما أشار لذلك أد/ أحمد محمد على[٢]،

---

(١) ينظر:المتنبي في مصر أ.د/ كمال لاشين(١٠٠)مطبعة الحسين - ط١- ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

(٢) يُنظر: دراسات في علم البديع-د/ أحمد محمد علي(٢٧٥) مطبعة الأمانة- ط١- ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

والسبب أنه أظهر للناقد ، وليس للممدوح أن كافور لم يكن عربيًا خالصًا بل أعجميًا ، فلا يفهم هذا المستوى من اللغة؛ ولذا فكان المتنبي يتلاعب بالألفاظ معه .

المطلب السادس: موقفه من صنيع الشيرازي،ومتابعة ابن حجة له في باب التلميح[1]

أشار ابن معصوم إلى هذا الاعتراض في أثناء شرحه لبيت بديعيته[2] ، حيث قال : التلميح – قال العلامة التفتازاني في شرح التلخيص: صح بتقديم اللام على الميم, من لمحه, إذا أبصره ونظر إليه، وكثيرا ما تسمعهم يقولون في تفسير الأبيات: في هذا البيت تلميح إلى قول فلان, وقد لمح هذا البيت فلان إلى غير ذلك من العبارات، وأما التمليح – بتقديم الميم – فهو مصدر ملح الشاعر: إذا أتى بشيء مليح, وهو ههنا خطأ محض, نشأ من قبل

---

(١) وهو أن يشير الناظم أو الناثر في فحوى كلامه إلى قصة معلومة، أو نكتة مشهورة، أو بيت شعر حفظ لتواتره، أو إلى مثل سائر يجريه في كلامه على جهة التمثيل، من غير أن يذكر من ذلك شيئًا.

ينظر في مواد البيان (٣٠٨ الإشارة)، ونهاية الأرب(٧/ ١٢٧، ١٨٥) ، والإيضاح(١٢٦/٤) ،والطراز(٣/ ١٧٠، ٣٦٤) ، وشرح عقود الجمان(١٧١) ،والبديعية الصغرى وشرحها(٢٧٢) والبديعية الكبرى وشرحها(٢/ ٤١٠) وأنوار الربيع: ٤/ ٢٦٦، ونفحات الأزهار(١٨٤)، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها – لأحمد مطلوب (٣٤٤/٢) مطبعة المجمع العلمي العراقي – لا ط – ١٤٩٧هـ – ١٩٨٧م.

(٢) وهو: **تلميحه كم شفى في الخلق من علل وما لعيسى يد فيها فلا تهم**

الشارح العلامة, حيث سوى بين التمليح والتلميح, وفسرهما: بأن يشار إلى قصة أو شعر[١]، ثم صار الغلط مستمرا, وأخذ مذهبًا لعدم التمييز. انتهى[٢].

لكن ابن معصوم المدني لم يرقه ما ذهب إليه ابن حجة، فاعترض عليه بقوله: فلا عبرة بقول ابن حجة: وسماه قوم التمليح – بتقديم الميم – كأن الناظم أتى في بيته بنكتة زادته ملاحة.

التعليق:

أولا: **من خلال الالتباس الذي نشأ بين شراح تلخيص المفتاح حول (التلميح) يتضح أن الشيخ الشيرازي في شرحه للمفتاح سماه(التمليح)، وتبعه في ذلك من شراح المفتاح الخلخالي في شرحه، حيث قال: والتمليح أن يشار إلى قصة أو شعر.... [٣]، لكن هذا الأمر لم يرق شراح تلخيص المفتاح، كالسعد**

---

(١) فالشارح العلامة هو الشيخ الشيرازي في شرحه للمفتاح، فقد خلط بين التلميح والمليح في أثناء حديثه عن انتزاع وجه الشبه من التضاد... وهو– أي: التمليح – أن يشار في فحوى الكلام إلى مثل سائر، أو قصة مشهورة...إلخ. ينظر: مفتاح المفتاح للعلامة الشيرازي تحقيقا ودراسة ونقدا– د/ نزيه عبدالحميد(٩١٣/٢، ١١٩٠) إشراف أ.د/ كامل الخولي–رسالة دكتورة– اللغة العربية بالقاهرة– ١٣٩٧هـ–١٩٧٧م.

(٢) ينظر: المطول(٧٣٠)، ومواهب الفتاح(٦٩٨/٢)، وحاشية الدسوقي على المختصر(٢٧٧/٤، وما بعدها)، وفيض الفتاح على حواشي شرح تلخيص المفتاح– لعبدالرحمن الشربيني(٣٣٥/٤) ومعه حاشية عبدالحكيم السيالكوتي– مطبعة مدرسة والدة عباس الأول– ط١– ١٣٢٤هـ– ١٩٠٦م.

(٣) ينظر: مفتاح تلخيص المفتاح – لشمس الدين محمد بن مظفر الخلخالي تـ ٧٤٥ هـ (٧٥٩) تحقيق وتعليق : أ.د / هاشم محمد هاشم محمود – ط١ – المكتبة ==

، فقد علق على تسويته بين (التلميح، والتمليح) بأنه خطأ محض، وتبعه في ذلك الشيخ المغربي ، حيث قال: ولما كان التلميح بتقديم اللام في هذا المعنى مما يستملح ويستحسن ، فهو من الإتيان بشيء مليح، توهم بعضهم أنه بتقديم الميم، وأنه من ملّح الشاعر بتشديد اللام إذا أتي بشيء مليح ، ثم وضح المغربي السبب الذي جعل الشارح العلامة يقول ذلك، بقوله: وهو سهو نشأ من توهم اتحاد الأعم بالأخص؛ لأن الإتيان بالشيء المليح أعم من التلميح الذي هو النظر إلى شعر أو قصة أو مثل ، فيشار إليه بفحوى الكلام، فمن جزم بأنه بتقديم الميم ، وتمذهب بذلك تبعًا لغيره ، فهو غالط، والسبب ما ذكر(١)، وهذا ما أشار إليه الدسوقي في حاشيته(٢).

ثانيا: أما العصام ، فقد رجح ما ذهب إليه السعد ، وفسر ما ذهب إليه... لكنه لم يرقه تخطئة الشارح العلامة، وكأنه يلتمس له مندوحة فيما ذهب إليه، فرد على السعد بقوله: وقد جعل الشارح العلامة (التلميح) –أيضا– اسمًا له، وهو في اللغة: الإتيان بشيء مليح وهو غير مشهور، بل لم يعثر الشارح عليه، حتى أنكره وخطأ العلامة، والاحتياط التوقف ، فإن العلامة يبعد أن يسوي بينهما من غير أن رآه في كتاب أو سمعه من ثقة.

ثالثا: أما ابن حجة ، فقد سوي بينهما ؛ لذا تابع من سبقه في ذلك، وعليه فقد حالف ابن معصوم الصواب في متابعته للسعد في اعتراضه على بعض شراح المفتاح، وتخطئته لابن حجة.

==

الأزهرية– ٢٠٠٧م.

(١) ينظر: مواهب الفتاح(٢/٦٩٨).

(٢) ينظر: حاشية الدسوقي على مختصر السعد(٤/٢٧٧، وما بعدها).

المطلب السابع: موقف ابن معصوم من صاحب الذخيرة في باب حسن الابتداء[1].

(١) ينظر "حسن الابتداء" في: البديع – لابن المعتز ت ٢٩٦هـ (٧٥) , وحلية المحاضرة في صناعة الشعر– للحاتمي محمد بن الحسن ت ٣٨٨هـ (٤١) تحقيق: د/ جعفر الكناني – العراق– دار الرشيد – ١٩٧٩م، ومواد البيان – لعلي بن خلف الكاتب ت٤٤٠هـ (٢٥٨) تحقيق: د/ حسين عبد اللطيف – طرابلس – منشورات جامعة الفاتح – ١٩٨٢م , وسر الفصاحة – لابن سنان الخفاجي عبد الله بن محمد ت ٤٦٦هـ (٢١٥) صححه وعلق عليه: عبد المتعال الصعيدي – القاهرة – ١٣٧٢هـ – ١٩٥٣م، وتحرير التحبير (١٦٨) , وبديع القرآن (٦٤)، والمصباح (٢٤٩) ،وحسن التوسل إلى صناعة الترسل– للشهاب محمود ت ٧٢٥هـ (٢٥٠) تحقيق: د/ أكرم عثمان يوسف – بغداد– دار الحرية – ١٤٠٠هـ– ١٩٨٠م، ونهاية الأرب (٧/ ١١٠ – ١١٣) , والإيضاح (٦/ ١٤٩) وشرح عقود الجمان(١٧٢), ومعاهد التنصيص (٤/ ٢٢٤)، وأنوار الربيع (١/ ٣٤) .

– وينظر باسم " المبادئ والمقاطع" في: كتاب الصناعتين (٤٨٧) .

– وينظر: باسم " المباديء والمطالع" في: البديع في نقد الشعر – لأسامة بن منقذ (٢٨٥) تحقيق: د/ أحمد أحمد البدوي , د/ حامد عبدالمجيد , ومراجعة: إبراهيم مصطفى – طبعة البابي الحلبي وشركاه – مصر.

– وينظر: باسم " جودة الابتداء" في: العمدة (١/ ٣٥٠)

– وينظر باسم " المبادئ والافتتاحات" في: المثل السائر (٣/ ٩٦) قدمه وحققه وعلق عليه: د/ أحمد الحوفي، و د/ بدوي طبانة – القاهرة – دار نهضة مصر– ط:٢ – ١٩٧٣م.

– وينظر باسم " براعة المطلع" في: روضة الفصاحة – للرازي زين الدين محمد أبي بكر ت ٦٦٦هـ (٢٨٥) دراسة وتحقيق: د/ أحمد النادي – القاهرة – دار الطباعة ==

أشار ابن معصوم المدني إلى هذا الاعتراض في أثناء شرحه وتوضيحه لحسن الابتداء، وقد تحدث عن مفهوم حسن الابتداء كما أشار إليه أهل البيان[1]، وساق أمثلة عديدة من محاسن الابتداء، ثم عقد موازنة -بينت لنا سعة الأفق ، وقوة الفهم في التعامل مع النصوص الشعرية – بين مطلعين اثنين لشاعرين هما:أبو الطيب المتنبي، وأبو العلاء المعري.

قال ابن معصوم المدني: ومما استحسنه صاحب اليتيمة من مطالع أبي الطيب: [الطويل]

فدَيْناكَ مِن رَبْعٍ وَإِنْ زِدْتَنَا كَرْبًا فَإِنَّك كُنْتَ الشَّرْقَ للشَّمْسِ وَالغَرْبَا

وما أحسن قوله بعده: [الطويل]

وَكَيفَ عَرَفنَا رَسمَ مَن لَم يَدعْ لَنَا فُؤَادًا لِعِرفَانِ الرُّسُومِ ولالبا

==

المحمدية – ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م، ومنهاج البلغاء وسراج الأدباء – لحازم القرطاجني ت ٦٨٤هـ (٢٨٢) تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة – بيروت – دار المغرب الإسلامي – ط: ٣ – ١٩٨٦م , والطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (٣/ ٣٦٤) ، وشرح الكافية البديعية في علوم البلاغة– للصفي الحلي تـ٧٥٠هـ(٥٧) تحقيق: د/ نسيب نشاوي – دار صادر – بيروت – ط١ – ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

(١) قال أهل البيان، من البلاغة حسن الابتداء، ويسمى براعة المطلع. وهو أن يتألق المتكلم في أول كلامه، ويأتي بأعذب الألفاظ، وأجزلها وأرقها وأسلسها وأحسنها، نظماً وسبكاً، وأصحتها مبنيٌ، وأوضحها معنىً وأخلاها من الحشو، والركة والتعقيد، والتقديم والتأخير الملبس والذي لا يناسب. ينظر: أنوار الربيع (١/٣٤).

نَزَلْنَا عَنِ الأَكْوَارِ نَمْشِي كَرَامَةً لِمَنْ بَانَ عَنْهُ أَنْ نُلِمَّ بِهِ رَكْبَا[١]

ثم عقب ابن بسام[٢] **، وكأنه لم يقنع بمطلع أبي الطيب ، فقال في الذخيرة**: **أول من بكى الربع واستبكى، ووقف واستوقف: الملك الضليل**[٣] **حيث يقول:**

قِفَا نَبكِ مِن ذِكرَى حَبِيبٍ وَمَنزِلِ[٤]

ثم جاء أبو الطيب، فنزل وترجل، ومشى في آثار الديار، حيث يقول:"نزلنا على الأكوار" البيت وما قبله.

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي (١/ ٥٦)، وينظر: العمدة ١٢٠/٢، والربع: المنزل في كل أوان، والمربع: المنزل في الربيع خاصة. [لسان العرب: ٣/ ١٥٦٣ – ربع] , والأكوار: جمع كور، وهو رحل الناقة. [لسان العرب: ٥/ ٣٩٥٢ – كور].

(٢) علي بن بسام الشنتريني الأندلسي، أبو الحسن: أديب، من الكتّاب الوزراء. نسبته إلى شنترين ، اشتهر بكتابه " الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، توفى سنة٥٤٢هـ. ينظر: الأعلام– للزركلي (٢٦٦/٤).

(٣) الملك الضليل – واسمه– سليمان، وقيل: حندج بن حجر الكندي، والغالب عليه لقبه امرؤ القيس، أمه فاطمة بنت ربيعة، ، كان قد طرده أبوه لتشبيبه بالنساء ، ودفن بـ " أنقره " فيما بين سنتي ٥٣٠، ٥٤٠هـ، وله ديوان مطبوع. الشعر والشعراء (١/ ١٠٧)، والأعلام– للزركلي (٢/ ١١).

(٤) ديوان امرئ القيس(٨) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم – القاهرة – دار المعارف – ط:٣ – ١٩٦٩م،شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري تـ ٣٢٨هـ(١٥)،تحقيق / عبد السلام هارون، القاهرة، دار المعارف، ط٥، ١٩٩٣م. والسَّقط: منقطع الرمل. [اللسان: سَقَطَ]، واللّوى: حيث يلتوى الرمل ويرقّ. [اللسان: لَوَى].

ثم جاء أبو العلاء المعري ، فلم يقنع بهذه الكرامة، حتى خشع ومجد،حيث يقول: [الطويل]

تَحِيّة كِسرَى فِي السّنَاء وَتُبّعٍ لربعك لَا أرضَى تَحية أربعِ[1]

وهذه البيت من محاسن الابتداء أيضا[2].

ثم عقب ابن معصوم على ذلك بقوله: قلت: كأن ابن بسام غفل عن مطلع المتنبي، فإن كرامته فيه للربع أعظم من كرامة أبي العلاء، لأن أبا الطيب فداه بنفسه حيث قال: "**فديناك من ربع وإن زدتنا كربا**" ، ولا شك أن التفدية أعظم من الخشوع والسجود في التحية[3].

التعليق:

من خلال العرض السابق لهذا الاعتراض، القائم على موازنة بين مطلعين لشاعرين يشهد لهما بالعمق ، وهما أبو الطيب المتنبي، وأبو العلاء المعري، يتضح الآتي:

---

(١) ينظر: شروح سِقْط الزَّند: أبو زكريا التبريزي، يحيي بن علي بن محمد تـ ٥٠٢ هـ، والبطليوسي. والخوارزمي قاسم بن حسين تـ ٦١٧ هـ(القسم الثالث: ١٤٨٧من قصيدة يخاطب بها أبا أحمد عبدالسلام البصري) تحقيق أ/ مصطفى السقا، وآخرين وبإشراف د/ طه حسين. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

(٢) ينظر: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة–لابن بسام تـ٥٤٢هـ(٥٥٠/٤) تحقيق:د/ إحسان عباس– الدار العربية للكتاب–ليبيا – تونس–ط١، ط٢– ١٩٨١م، ونشوة السكران (٨٤)

(٣) ينظر: أنوار الربيع في أنواع البديع (٤٤/١).

أولا: إن ابن معصوم المدني في تفضيله وترجيحه لمطلع أبي الطيب المتنبي، ومدحه للربع ،أصاب وأجاد في رده واعتراضه على ابن بسام في كتابه الذخيره ، الذي قال فيه : إن أبا العلاء لم يقنع بهذه الكرامة، حتى خشع ومجد ؛ وذلك لأن المتنبي في مدحه للربع أجاد وأصاب ، وكان أشد تعظيما في النفس، فالنزول عن الأكوار، والمشي كرامة للمحبوب الذي بان عنه، كان في غاية التقديس لمن بان ، أي: لم يعلم ، فهو أدل على الصدق والإخلاص؛ إذ لا يشاهد فعله، ولا يرى تعظيمه، فدل على محبة غيب، وتقديس غائب، وهذا أعمق في المعنى.

ثانيا: الدور الذي يقوم به الضمير في قولنا: (نزلنا) ، فإذا كان هذا فعل الجماعة على الظاهر من الضمير، فهو معظم في عرفهم، وكأن هذا المكان قد عرف له موضعه ومنزلته بين هذه الجماعة من غير مراء، وإذا كان ضمير المعظم نفسه مع ما فيه من العظمة والجاه ، قد نزل يمشي إكرامًا للربع، ولا يكون هذا إلا إذا كانت قداسته قد بلغت المحل الأعلى ، والمنزلة العليا.

ثالثا: المتأمل في آخر البيت ، يجد أن العلة المذكورة في قوله: (أن نلم به ركبا)، فالشاعر آثر لفظة"نلم"، ولم يقل"(أن نسير به ركبًا) بل جعل كل هذا حذر الإلمام به ركبا، وكأنه قد صانه من بعيد ، ومن قبل أن يدخله، فكيف حين الدخول إليه؟

رابعا: ثناء العلماء على مطلع المتنبي، فقد قال الدمشقي في أثناء إشارته إلى مطلعه، وهذه نبذة من محاسنه وروائعه وغرائبه وقلائده وفرائده التي زاد

فيها على من تقدم وسبق بها جميع من تأخر[1] ، وقال النابلسي عنه: وهو غاية في هذا الباب[2]، يقصد: حسن الابتداء .

***خامسا*: ابن بسام والمعري**:

أما المعري في مطلعه لقصيدته التي مدح بها أبا أحمد بن عبدالسلام البصري، فإن العدول من تحية العرب للربع بـ"أنعم صباحا"، وأنعم مساءا، إلى تحية كسرى وقيصر من الأعاجم ، فهي أقرب إلى الذم منه إلى المدح ، والتقليل منه إلى التكثير، والتحقير منه إلى التعظيم؛ لأن العرب تعتد بتحيتها وتراها الأحسن ، وبعتاداتها وتراها الأفضل، فالعدول إلى هذا عدول إلى الأدنى، فلا يعد بيت المعري من محاسن الابتداء ، كما قال ابن بسام.

– وعليه فقد أصاب وأجاد ابن معصوم في موازنته لمطلع المتنبي وأبي العلاء ، وتفضيله لمطلع المتنبي، ورده على ابن بسام في كلامه .

---

(١) ينظر: الصبح المنبي عن حيثية المتنبي (مطبوع بهامش شرح العكبري) ليوسف الدمشقي تـ ١٠٧٣هـ (١٧٦/٢)المطبعة العامرة الشرفية – ط١ – ١٣٠٨هـ.

(٢) ينظر: نفحات الأزهار –للنابلسي(٢٤٠/١) تحقيق: هاني عمر غانم.

المطلب الثامن: موقف ابن معصوم ممن استحسن مطلع المتنبي في براعة الاستهلال[١].

ذكر ابن معصوم المدني هذا الاعتراض في أثناء شرحه ما يجب على الناظم والناثر من مراعاة المقام ، فقال: واعلم أنه يجب على الناظم والناثر النظر في أحوال المخاطبين والممدوحين ،والتجنب لما يكرهون سماعه، ويتطيرون منه خصوصًا الملوك؛ ومن يتصل بهم، فإنهم أشد الناس تطيرًا من المكروهات؛ وعثرة الناظم في ذلك لا تقال[٢].

ثم عقب قوله بمجموعة من المطالع المعيبة التي وقع فيها الشعراء، ومنها الاعتراض الذي بين أيدينا ، وهو : حكي الصاحب[٣] قال: ذكر

---

(١) ينظر: براعة الاستهلال" في: لمع صناعة الشعر– للأردستاني محمد بن أحمد ت ٤٢٤هـ (٩٩) تحقيق: د/ حسن عباس – مصر – بسيون – البربري للطباعة والنشر– ١٩٩٨م، والوافي في العروض والقوافي – للتبريزي – ت٥٠٢هـ (٢٥١) تحقيق: فخر الدين قباوة – دمشق – دار الفكر– ط:٤ – ١٤٠٧هـ– ١٩٨٦م، ، والإيضاح (٦/ ١٤٩)، وعروس الأفراح (٤/ ٤٢٧) ، ، وخزانة الأدب وغاية الأرب (١/ ١٩)، ومعاهد التنصيص (٤/ ٢٣١)، ومواهب الفتاح (٢/ ٧٦) ، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها (١/ ٣٨٨) .

(٢) ينظر النص – مع بعض التغيير– في: كتاب الصناعتين (٤٨٩)، والبديع في نقد الشعر (٢٨٥)، ونهاية الأرب (٧/ ١١٠)، وشرح عقود الجمان (١٧٢)، وأنوار الربيع في أنواع البديع (٧٤/١).

(٣) إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الصاحب، كافي الكفاه الطالقاني ت ٣٨٥هـ، الشاعر، الناثر المشهور، تولى الوزارة لمؤيد الدولة بن ركن الدولة بن بويه، وأخيه فخر الدين. .

==

الأستاذ الرئيس[١] يومًا الشعر ، فقال: إن أول ما يحتاج فيه إلى التأنق حسن المطلع، فإن ابن أبي الثياب[٢] أنشدني في يوم نيروز[٣] قصيدة ابتداؤها: أقبرونيا طلت ثراك يد الطل[٤]، فتطيرت من افتتاحه بالقبر ، وتنغصت باليوم والشعر، انتهى كلامه[٥].

==

ينظر: وفيات الأعيان (١/ ٢٢٨)، والنجوم الزاهرة (٤/ ١٦٩)، وتاريخ الأدب العربي – لبروكلمان (٢/ ٢٦٨).

(١) الجاحظ الثاني، أبو الفضل محمد بن الحسين المعروف بابن العميد، فيلسوف ، كاتب , شاعر، كان وزيرًا لركن الدولة البويهي، جليل القدر , حسن السياسة، خبير بتدبير الملك. قال الثعالبي: بدأت الكتابة بعبد الحميد , وختمت بابن العميد ، توفى٣٦٠هـ بعد أن عاش نيفًا وستين سنة.

ينظر: وفيات الأعيان (٥/ ١٠٣)، والنجوم الزاهرة (٤/ ٦٠)، ومعاهد التنصيص (٢/ ١١٥).

(٢) أبو محمد بن أبي الثياب– واسمه– عبد الرزاق بن الحسين اللغوي المنطقي من ندماء ابن العميد، وله فيه شعر كثير، قال الثعالبي: كان فسيحَ مجالِ الفضل، وافرَ الحظِ من الظرفِ، ولما فارق ابن العميد وورد" بُخَارى" نجحت شهرته وحظي بالقبول , ونادم فضلاء الصدور، وهاجى أبا جعفر محمد بن العباس.

ينظر: يتيمة الدهر (٤/ ١٤٤)، ووفيات الأعيان (٥/ ١٠٨) في ترجمة ابن العميد.

(٣) هو أول يوم من السنة الشمسية.

(٤) أقبرونيا: موضع: قال ياقوت في معجم البلدان: أظنه من نواحي الجبل، وعجز البيت من الطويل ، كما في المعجم:" وَحَيا الحَيَا المَشْكُورُ تَالِك مِنْ تَل" [معجم البلدان: ٤/ ٣٠٤]، وفي يتيمة الدهر: " أقبورنا" (١٤٤/٤).

(٥) ينظر: أنوار الربيع في أنواع البديع (٧٩/١).

قلت: والناس يستحسنون قول أبي الطيب في مفتتح قصيدته اللامية التي مدح بها كافور[١] وهو: [البسيط]

لاَ خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلاَ مَالُ فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ[٢]

ويعدونه من براعة الاستهلال، لما كان بناؤه على الاعتذار عن حمل تقدمه، والذي أراه أن هذه المواجهة، مما يستثقلها السامع، فعدها في هذا السلك أولى[٣] من ذكرها في براعة الاستهلال[٤].

---

(١) كافور بن عبد الله الإخشيدي ت ٣٥٧هـ، كان عبدًا أسودَ، فاشتراه محمد بن طغج الإخشيد، فنسب إليه وأعتقه، فترقى عنده حتى ملك " مصر " بعده، وكان ذكيًا حسن السياسة مدحه المتنبي , ثم هجاه بعد ذلك، وهرب من "مصر" ليلًا. ينظر: وفيات الأعيان (٤/ ٩٩)، والنجوم الزاهرة (٤/ ١).

والقصيدة في مدح فاتك ، وهو: فاتك الرومي، الملقب بالمجنون لشجاعته، ويقال له: فاتك الكبير، ممدوح المتنبي. أخذ من بلاد الروم صغيرا، وتعلم الخط في فلسطين، وكان في خدمة الإخشيد ،فأعتقه ، وأقطعه " الفيوم " وأعمالها، فأقام بها، وتعرّف بالمتنبي الشاعر، فأرسل إليه هدية قيمتها ألف دينار ، وأتبعها بهدايا أخرى، فاتصلت المودة بينهما، ومدحه المتنبي بقصيدته التي مطلعها: " **لا خيل عندك تهديها ولا مال** "، ثم لما مات فاتك رثاه المتنبي بقصيدة أولها: **الحزن يقلق والتجمل يردع** " ، وهي من المراثي الفائقة، توفي بمصر سنة ٣٥٠هـ.

(٢) ديوان المتنبي بشرح البرقوقي ٣٩٤/٣، وينظر: الوساطة بين المتنبي وخصومه(٣٣٧)، وشرح معاني شعر المتنبي-لابن الإفليلي(١٧٠/١)، وشرح ديوان المتنبي-للعكبري(٢٧٧/٣)، والمثل الثائر-لابن الأثير-تحقيق:د/ محي(٤٠٧/١)، ونهاية الأرب(١٥٧/٧)، وعروس الأفراح(٢٥٨/٢).

(٣) أي: عدها من المطالع المعيبة.

(٤) ينظر: أنوار الربيع في أنواع البديع (٧٩/١).

التعليق:

من خلال النظر فيما سبق يتضح الآتي:

أولا: **المتأمل في اعتراض ابن معصوم على من قال: إن بيت المتنبي فيه براعة استهلال[1] ، يدرك أنه صار على نهج من سبقه في مراعاة المقام في ابتداء القصيدة، حتى لا يأتي الشاعر بألفاظ لا تتناسب مع هذا الابتداء، وهذا ما أكده ابن سنان حيث قال:** "فإنه يحتاج إلى تحرز فيه، حتى لا تستقبح بلفظ محتمل، أو كلام يتطير منه"[2].

وقال ابن الأثير:" ومن أدب هذا النوع ، ألّا يذكر الشاعر في افتتاح قصيدة المديح ما يتطير منه، وهذا يرجع إلى أدب النفس، لا إلى أدب الدرس؛ فينبغي أن يحترز منه في مواضعه، كوصف الديار بالدّثور ، والمنازل بالعفاء، وغير ذلك من تشتت الآلاف ، وذم الزمان، لاسيما إذا كان في التهاني؛ فإنه يكون أشد قبحا، وإنما يستعمل ذلك في الخطوب النازلة ، والنوائب الحادثة، ومتى كان الكلام في المديح مفتتحا بشيء من ذلك تطيّر منه سامعه"[3].

---

(١) كابن الأثير في المثل الثائر (٤٠٧/١)، ويوسف الدمشقي في الصبح المنبي (١٣١/١)، ورزق الله بن يعقوب في مجاني الأدب(٢٦٥/٦)، وأحمد الهاشمي في جواهر الأدب(٢٥٦/٢)، وغيرهم.

(٢) ينظر: سر الفصاحة–لابن سنان (١٨٣).

(٣) ينظر: المثل السائر (٢٢٤/٢).

ثانيا: موافقة بعض العلماء لما ذهب إليه ابن معصوم، ومنهم : محمد بن هلال الصابئ: حيث ذكر: أن أحد الرؤساء قضى حاجة لأحد شـــعراء زمانـــه ، فجاء ليشكره على صنيعه ، فقال:

لا خيلَ عندكَ تعطيها ولا مالُ فليحسنِ القولُ إنْ لم تحسنِ الحالُ

فقال له حاجب الرجل: يا هذا ، ليس ما قلت بمدح ، ولا خارج مخرج شكر! فقال: سهوت وغلطت، فانصرف خزيان[١].

– والعكبري في شرحه، حيث قال: وَهَذَا من الابتداء الَّذِي يكرهه السَّـــامع بِأَن يَقُول للممدوح:

لَا خيل عنْدك تهديها وَلَا مَال ، وَهُوَ أول مَا يَقُول لَهُ[٢].

ثالثا: إن هذا الابتداء لا يتناسب مع مخاطبة الملوك في ظاهره ؛ لذا يجب علينا أن نفرق بين أمرين في نقد الشعر لهما صلة وثيقة بما نحن فيه، وهمـــا من الدقة بحيث يلتبس أمرهما على غير الحصيف ، ويشتبها عليه ، وهما:

أ– معاني الشعر ب– معاني النفس[٣]

فالأول: يتأتي عليه ما ذكره النقاد والبلاغيون من مراعاة جوانب مختلفة ، سواء في المدح، أو التهنئة ، وغيرهما من قواعد تتعلق بأدب الخطاب.

---

(١) ينظر: الهفوات النادرة من المغفلين الملحوظين والسقطات البادرة من المغفلين المحظوظين–لمحمد بن هلال بن إبراهيم الصابئ، أبو الحسن تـــ ٤٨٠هـــ(١٤) تحقيق:صالح الأشتر– منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق.

(٢) ينظر: شرح ديوان المتنبي–للعكبري (٣٧٧/٣).

(٣) ينظر: المتنبي في مصر (٦٠).

والثاني: يتعلق بنفس الشاعر ، وقلبه وحالته عند فوران عاطفته بأحاسيس مختلفة من حزن طاغ ، وألم دفين ، أو استبشار وأمل يحلق بهما مما تجده بارزا في شعره، وكاسبا له ثوبا قد يلائم نفسه لا لسانه[1].

رابعا: إذا نظرنا إلى مطلع المتنبي في مدحه لفاتك-الذي هو بين أيدينا- وقسناه بمعاني الشعر، أو إن شئت فقل : بما يسمى بأدب الدرس، أو أدب الخطاب، أي: أن الشاعر يلتزم بالمعايير والأسس التي يسير عليها في مطالعه من مدح، أو غزل، أو غير ذلك، فإننا نوافق ابن معصوم فيما ذهب إليه؛ لأن الشاعر لم يلتزم بالمعاني التي يبتدأ بها في المدح، فضلا عن أن يستقبل بها ممدوحه لأول مرة.

خامسا: من يمعن النظر في مطالع المتنبي ، يجد أنها تندرج تحت ما يسمى بأدب النفس، أو معاني النفس ، وهذا أقرب إلى المدح الموجه في ظاهره، فهو مدح لفاتك في ظاهره يحوي في باطنه ذما لكافور؛ وذلك بسبب العداوة الموجودة بينهما مما جعل المتنبي يتعمد أن يجعل صفات فاتك مضادة لصفات كافور، وهذا يتناسب مع نفسية المتنبي، فالمتنبي في ذهابه لكافور ، ومدحه إياه، كان يطمع في شغل منصب ما[2]، لكن كافور لم يشبع رغبته، وساءت العلاقة بينهما، فهجاه ، وسخر منه، وهذا ما ألجأ المتنبي إلى أن يمدح فاتك ، وأن يستغل المطلع في التعريض بكافور، ومما يؤكد ذلك ما قاله في أثناء قصيدته:

---

(١) ينظر: مناقدة ابن سنان للمتنبي بين التحليل البياني والعمود الشعري-أ.د/على عيسى(١٧٣، ١٧٤).

(٢) وهذا ما أشار إليه الشيخ شاكر في كتابه المتنبي (٣٦٣).

وقد أطال ثنائي طول لابسة إن الثناء على التنبال تنبال.

قال الشيخ شاكر: يشير بالتنبال، إلى كافور.

خلاصة القول: ومن هنا فالمطلع قيم جدا ليس فيه كراهة ولا ثقل، كما ذكر ابن معصوم ؛ لأنه مبني على الحالة النفسية التي عاشها المتنبي، وليس على الحالة النفسية عند الممدوح؛ ولذا قال ابن طباطبا العلوي: "...فَإِذا وَافَقَتْ هَذِه المَعَاني هَذِه الحَالات ، تَضَاعَفَ حُسْنُ مَوْقِعها عِنْد مُسْتَمعها، وَلَاسِيَّما إِذا أُيِّدَتْ بِمَا يَجْلبُ القُلوبَ من الصِّدق عَن ذَات النَّفس بِكَشْفِ المَعَاني المُخْتَلِجَةِ فِيهَا، والتَّصْرِيحِ بِمَا كَانَ يُكْتَمُ مِنْهَا، والاعترافِ بالحَقِّ فِي جَميعها"[1].

(١) ينظر: عيار الشعر (٢٤) ومناقدة ابن سنان للمتنبي بين التحليل البياني والعمود الشعري(١٧٥).

المبحث الثاني: اعتراضات تتعلق بمسمى المصطلح من حيث النشأة أو الخلط في دلالة المصطلح وفهمه، ويشتمل على عدة مطالب:

المطلب الأول: (موقفه من ابن أبي الإصبع ، وابن حجة في باب التكميل[1]

أشار ابن معصوم المدني إلى هذا الاعتراض في أثناء حديثه عن شواهد التكميل ، حيث قال : قال ابن حجة : وقد غلط غالب المؤلفين في هذا الباب, وخلطوا التتميم بالتكميل, وساقوا في باب التتميم شواهد التكميل, فمن ذلك قول عوف الخزاعي:[السريع]

---

(١) ينظر: كتاب الصناعتين (٤٠٤) تحت اسم " التكميل والتتميم ", ومواد البيان (٢٩٣) , وسر الفصاحة (١١٣) تحت اسم " التحرز مما يوجب الطعن ", والبديع في نقد الشعر (١٩١) , والمثل السائر (٢/ ١٢٩, ١٥٧) , وتحرير التحبير (٣٥٧) , وبديع القرآن (١٤٣) , والمصباح (٢١٦) , وحسن التوسل (٢٨٧) , ونهاية الأرب (٧/ ١٣١) , وجوهر الكنز (٢٣٤) , والإيضاح (٣/ ٢٠٨) , والطراز (٣/ ١٠٨) تحت اسم " الإكمال " , وشرح الكافية (١٤٢), والخزانة (١/ ٣٧٤) , والإتقان في علوم القرآن–للسيوطي تـ٩١١هـ(٣/ ١٨٨) تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم– الهيئة المصرية العامة للكتاب– لاط– ١٣٩٤هـ– ١٩٧٤م , وشرح عقود الجمان (٧٤) , وشرح البديعية الكبرى – للباعونية (٣٣٢/٢) , وشرح البديعية الصغرى – للباعونية (٢٠٤) , ومعاهد التنصيص (١/ ٣٦٢) , وأنوار الربيع (٥/ ١٨٥) , ومعجم مطلوب (٢/ ٣٤٠).

إنَّ الثَّمَانِينَ -وَبلِّغتُها - قَد أحوَجَت سَمعِي إِلَى تَرجُمَانِ[١]

هذا البيت ساقوه من شواهد التتميم, وهو أبلغ شواهد التكميل, فإن معنى البيت تام بدون لفظة (وبلغتها) وإذا لم يكن المعنى ناقصًا ،فكيف يسمى هذا تتميما؟ وإنما هو تكميل حسن. انتهى كلامه[٢].

ثم علق ابن معصوم على الكلام السابق بقوله: "قلت: لئن غلط من خلط التتميم بالتكميل, فقد غلط ابن حجة فخلط التكميل بالاعتراض[٣]، والبيت المذكور أبلغ شواهد الاعتراض, وقد أنشده هو أيضًا شاهدا عليه، وليس كل

---

(١) البيت لعوف بن محلم، أبو المنهال الخزاعى الشيبانى من قصيدة له فى مدح عبد الله بن طاهر مطلعها:

يا ابن الذى دان له المشرقان طرا وقد دان له المغربان

ينظر فى شرح ديوان الحماسة للمرزوقى(٣٨٧/١) ، وكتاب الصناعتين(٥٥، ٤١٠)، والعمدة: ٢/ ٤٥ ، وتحرير التحبير (٢٩٢، ٣٦٠) ، والحماسة البصرية(١٨٨/٢) ، ، ونهاية الأرب(١٤٧/٧)، والإيضاح(١٤٨/٢) ، وشرح الكافية(٣٢١) وشرح عقود الجمان(٧٥)، وشرح البديعية الصغرى(٢١٥) ،ومعاهد التنصيص(٣٦٩/١) ، **ولأبي الشيص** في نفحات الأزهار (٤٠٨)، وفى ص: (٤٨١) فى الحديث عن الطاعة والعصيان منسوبا لعوف بن محلم، والبيت الثانى هو:

وبدلتنى بالشطاط الحنا ... وكنت كالصعدة تحت السنان،

(٢) ينظر: خزانة الأدب(٣٧٥/١).

(٣) ينظر الاعتراض في كتاب الصناعتين(٤١٠) ، ومواد البيان(٢٩٠)، والبديع لأسامة(١٣٠) ، والمثل السائر(٤٠/٣)، والمصباح(٢١٩)، والمنزع البديع(٤٤٩)، ونهاية الأرب(١١٨/٧)،وجوهر الكنز(١٢٨) ، والإيضاح(١٤٧/٢) ، والطراز(١٦٧/٢) ، وشرح الكافية(٣٢٠) ، وشرح عقود الجمان(٧٥).

زيادة جيء بها مع تمام المعنى تسمى تكميلا وإلا لم يبق بين الاعتراض والتكميل فرق، بل التكميل الزيادة التي جيء بها تكميلا للمعنى الأول الذي ذكره المتكلم, والاعتراض هو الزيادة التي جيء بها لنكتة ليس الغرض بها تكميل المعنى السابق. وكذلك قوله في البيت (وبلغتها) فإنها زيادة جاء بها الشاعر للدعاء لا لتكميل غرضه من الاعتذار الذي قصده على ما يحكى: أن عوف بن محلم الخزاعي صاحب البيت سلم عليه عبد الله بن طاهر, فلم يسمع, فأعلم بذلك, فدنا منه وأنشده قصيدة منها البيت المذكور. وبذلك يتضح الفرق بين الاعتراض والتكميل والتتميم.

وأما الفرق بين التكميل والتتميم, فهو أن التتميم يرد على المعنى الناقص فيتم, والتكميل -كما علمت- يرد على المعنى التام فيكمله؛ إذ الكمال أمر زائد على التمام(١).

- وأنشد ابن حجة ممثلا للتكميل قول الشيخ جمال الدين بن نباته: [البسيط]

نَفسُ عَنِ الحُبِّ مَا حَادَت وَلَا غَفَلَت بِأي ذَنبٍ وَقَاك اللهُ قَد قَتَلَت(٢)

قال: معنى البيت تام بدون قوله (وقاك الله) ولكن التكميل بوقاك الله قبل قوله (قد قتلت) لا يصدر إلا من مثل الشيخ جمال الدين. انتهى(٣).

---

(١) ينظر: أنوار الربيع(١٨٨/٥، وما بعدها).

(٢) ديوان ابن نباته المصرى(٣٧٥)مطلع قصيدة له- الهيئة العامة المصرية للكتاب، والخزانة(٣٧٦/١)، ولعزّ الدين الموصلى فى المستطرف في كل فن مستظرف- للأبشيهي تـ٨٥٢هـ(٤١٧) عالم الكتب-بيروت-ط١-١٤١٩هـ، وفيه: " ما أغفت وما غفلت ".

(٣) ينظر: خزانة الأدب(٣٧٥/١).

وقد علمت أن هذا من باب الاعتراض لا التكميل، وأنشد أيضًا لنفسه أبياتًا أكثرها من هذا القبيل(١).

التعليق:

أولا: توطئة: **قبل أن نناقش هذا الاعتراض، ونعلق عليه، ينبغي أن نشير إلى أن من ذكر هذا الكلام هو ابن أبي الإصبع المصري، فقد جعل هذا البيت من التكميل ، واعترض على من جعله من التتميم(٢)، وهذا ما أشار إليه ابن رشيق بقوله: قوله: (بلغتها) التفات، وقد عده جماعة من الناس تتميما...إلخ(٣).**

وصار الشهاب محمود في حسن التوسل على منوال من سبق، فقال: فإنه أراد أن يقول: " إن الثمانين قد أحوجت سمعي إلى ترجمان "، فعصاه الوزن، وأطاعه لفظة من البديع، وهى " التتميم"، فزادته حسنًا، وكملت مراده، وكل التتميم من هذا النوع. انتهى(٤)، وتابع النويري من سبقه في ذلك، ونقل كلام

---

(١) ينظر: أنوار الربيع(١٨٩/٥).

(٢) ونص كلامه: وما وهم فيه المؤلفون في الموضع أنهم خلطوا التكميل بالتتميم؛ إذ ساقوا في باب التتميم شواهد التكميل؛ لأن كلا منهم ذكر قول عوف بن محلم السعدي: **إن الثمانين وبلغتها** ، من شواهد التتميم، ومعنى البيت تام بدون لفظة (وبلغتها) وإذا لم يكن المعنى ناقصًا ، فكيف يسمى هذا تتميماً!!، وإنما هو تكميل، وما غلطهم إلا من كونهم لم يفرقوا بين تتميم الألفاظ ، وتتميم المعاني، فلو سموا مثل هذا تتميمًا للوزن لكان قريبًا، وإنما ساقوه على أنه من تتميم المعاني البديعة...إلخ. تحرير التحبير(٣٦٠).

(٣) ينظر: العمدة –لابن رشيق(٤٥/٢).

(٤) ينظر: حسن التوسل (٢٧٢).

ابن أبي الإصبع ، والشهاب محمود[١].

ثانيا: **ومنهم من جعله من باب التكميل ، وهو ابن أبي الإصبع، وابن حجة الحموي، وكلامهما قد سبق ذكره[٢].**

ثالثا: **ومنهم من جعله من باب الحشو، وهو ابن سنان الخفاجي، حيث قال: فمثال الكلمة التي تقع حشوا وتفيد معني حسناً ....قول أبي محلم:إن الثمانين وبلغتها ؛ لأن (وبلغتها) تجرى مجرى وحاشاك[٣] في الفائدة، ولو ألغيت من البيت لصح المعنى دونها على حد ما قلناه في البيت الأول ، وليس يخفى على المتأمل حسن المقصود بـ(حاشاك وبلغتها) في هذين الموضعين[٤].**

رابعا: **ومنهم من جعله من باب الاعتراض، وهذا هو رأي الجمهور من البلاغيين، ومنهم: أبو هلال العسكري[٥]، وعلي الكاتب[٦]، ومحمد بن أبي بكر**

---

(١) ينظر: نهاية الأرب(١٤٧/٧).

(٢) ينظر: تحرير التحبير(٣٦٠)، وخزانة الأدب(٣٧٥/١).

(٣) أي بيت المتنبي وهو:[الطويل]

وتحتقر الدنيا احتقار مجرب يرى كل ما فيها وحاشاك فانيا

لأن (حاشاك) هاهنا لفظة لم تدخل إلا لكمال الوزن ؛ لأنك إذا قلت: (احتقار مجرب يرى كل ما فيها فانيًا) كان كلامًا صحيحًا مستقيمًا ، فقد أفادت مع إصلاح الوزن دعاءً حسنا للممدوح في موضعه. ينظر ديوانه: ٤/ ٢٩٠ من قصيدة في مدح كافور الإخشيدى.

(٤) ينظر: سر الفصاحة(١٤٧).

(٥) ينظر : كتاب الصناعتين(٤٩، ٣٩٤).

(٦) ينظر: مواد البيان(٢٩٢).

الرازي[١]، وابن الأثير الحلبي[٢]، والقزويني[٣]، والسعد[٤]، والسبكي[٥]، والطيبي[٦]، والمغربي[٧]،والدسوقي[٨]، وغيرهم.

خامسا: من خلال البحث والاستقراء حول هذا الاعتراض الذي ساقه ابن معصوم على ابن حجة، أو بتعبير أدق على ابن أبي الإصبع المصري؛ لأنه هو الذي قال ذلك، وتابعه ابن حجة، يتضح أن ابن معصوم يخطئ من خلط بين التتميم والتكميل في جعلهم قوله: (وبلغتها) من التكميل الحسن ، وليست من التتميم، وهذا من وجهة نظره هو.

سادسا: المتأمل في كلام ابن أبي الإصبع ، يجد أنه برر ما ذهب إليه بقوله: "وما غلطهم إلا من كونهم لم يفرقوا بين تتميم الألفاظ ، وتتميم المعاني، فلو سموا مثل هذا تتميمًا للوزن لكان قريبًا، وإنما ساقوه على أنه من تتميم المعاني البديعة"[٩].

---

(١) ينظر: روضة الفصاحة(٢٦٢).

(٢) ينظر: جوهر الكنز(١٣٠).

(٣) ينظر: الإيضاح ضمن البغية(٢/٣٦٠).

(٤) ينظر: المطول(٤٩٩، وما بعدها).

(٥) ينظر: عروس الأفراح(١/٦١٦).

(٦) ينظر: التبيان في البيان – للطيبي تـ٧٤٣هـ (٣٨٣) تحقيق ودراسة: د/ زموط– إشراف: كامل إمام الخولي– ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م.

(٧) ينظر: مواهب الفتاح(١/٦٧٦).

(٨) ينظر: حاشية الدسوقي على المختصر(٢/٧٢٣).

(٩) ينظر: تحرير التحبير(٣٦٠).

سابعا: فابن معصوم وإن كان مصيبًا في أن هناك فرقًا بين التتميم والتكميل، إلا أن ابن أبي الإصبع له مندوحة في شرحه للبيت، أو فيما قاله، فهو أشار بدقة وفهم إلى أن المراد هو تتميم الوزن، وليس تتميم المعاني ، وهذا يدل على أنه لم يلتبس عليه الأمر كما زعم ابن معصوم ، هذا من ناحية.

ثامنا: وأما قوله، فقد غلط ابن حجة ، فخلط التكميل بالاعتراض...إلخ ، فيحتاج إلى مناقشة وبحث يقتضي أن نخوض غمار البحث في خزانة الأدب ، لكي نؤكد كلام ابن معصوم، أو ننفيه، وعليه فابن حجة في باب (التكميل) قد اضطرب وترجرج ، وظهر ذلك أولا في بيت بديعيته الذي بني عليه الباب ، وهو: آدابه تممت لا نقص يدخلها والوجه تكميله في غاية العظم

فقد ذكر أن قوله:(لا نقص يدخلها) تكميل، وبالنظر في هذا البيت يتضح خلاف ذلك؛ لأن هذه الجملة هي عين المعنى الأول، وقد أشار إلى ذلك أبو بكر العلوي حيث قال: إنه لا تكميل في بيت الناظم كما ادعاه... وأما قوله: (لا نقص يدخلها) فهو عين المعنى الأول، فلا يكون تكميلا، بل هو من باب الإطناب؛ إذ هو كما ذكروا تأدية المعنى بأكثر من عبارة العارف لفائدة، وهي في البيت توكيد المعنى الأول، ولك أن تقول: (لا نقص يدخلها) صالح لأن يكون احتراسًا بالنظر إلى المتداول من قولهم: إذا تم شيء بدا نقصه...إلخ[1].

- **وثانيا** في شواهده ، ومنها قول الشيخ جمال الدين بن نباته: **[البسيط]**

نَفسُ عَنِ الحُبِّ مَا حَادَت وَلَا غَفَلَت بِأي ذَنبٍ وَقَاك اللهُ قَد قَتَلَت

(١) ينظر: إقامة الحجة(٣٣).

فليس من باب التكميل ، وهذا يدل على مدى الاضطراب الذي وقع فيه ابن حجة؛ لأن الاعتراض في البيت ظاهر وواضح[١].

تاسعا: ويظهر الاضطراب في بيت بديعيته الذي بني عليه باب (الاعتراض)، وهو :

فَلَا اعتِرَاض عَلينَا فِي مَحبَتِه وَهوَ الشّفِيعُ وَمَن يَرجُوهُ يَعتَصِمُ

فقد ذكر أن قوله: (وهو الشفيع) اعتراض، وبالتأمل يظهر خلاف ذلك؛ لأن الجمل في البيت متناسقة العطف ولا اعتراض فيها ، وهذا ما أكده أبو بكر العلوي [٢].

عاشرا: مما سبق يتضح أن ابن معصوم بمناقشته وفهمه يتضح أن المصطلحات قد استقرت وثبتت في ذهنه، مما جعله يتعامل بفهم ثاقب مع كلام العلماء، ومن هنا فابن معصوم حالفه الصواب في أن البيت من الاعتراض وليس من التتميم ، وهذا ما اتفق عليه جمهور البلاغيين ، لكن بشرط أن تكون(وبلغتها) بتاء الخطاب؛ أي: مفتوحة التاء، فهو يخبر بتقدم سنه ، وضعف سمعه، حتى صار يحتاج إلى من يسمعه القول، فجملة(وبلغتها) خبرية لفظا إنشائية معنى، والغرض منها الدعاء للمخاطب بطول العمر.

حادي عشر: لكن في اعتراضه على أن يكون من التكميل **فيه نظر**، وهو أن لابن أبي الإصبع وابن حجة مندوحة تشفع لهما في جعل هذا البيت من التكميل، وهي أن قوله: (وبلغتها) تكون بضم التاء ؛ أي: للمتكلم، أي: قد بلغت

---

(١) ينظر: خزانة الأدب(١/٣٧٦).

(٢) ينظر: إقامة الحجة(٥٠).

إليها أو وصلت إليها ، فهي خبرية لفظا ومعنى، وعليه فتكون من باب التكميل وليست من الاعتراض.

خلاصة القول: ومن هنا فكلا الوجهين جائزان ، بالفتح له توجيهه ، وبالضم له توجيهه، فابن حجة وإن كان له وجه أو مندوحة في أن قوله:(وبلغتها) تكميل حسن، إلا أنه اضطراب في شواهد البابين، وهذا ما جعل ابن معصوم يقول: إنه اضطرب في التفرقة بين الفنيين.

– وأما ما استشهد به ابن حجة على تعضيد رأيه –ببيت ابن نباته– فهو مجانب للصواب، كما قال ابن معصوم، فالبيت من الاعتراض ، وليس من التكميل؛ لأن جملة(وقاك الله) معترضة بين الفعل(قتلت) ومتعلقه المقدم عليه(بأي ذنب) والغرض هو الدعاء.

المطلب الثاني: (موقفه من ابن أبي الإصبع والصفي وابن حجة)

تابع التكميل

أشار ابن معصوم إلى هذا الاعتراض في أثناء تناوله للتكميل، وشرحه لشواهده ، حيث قال: التكميل عبارة عن أن يأتي المتكلم بمعنى تام في فن من الفنون, فيرى الاقتصار عليه ناقصًا ، فيكمله بمعنى آخر في غير ذلك الفصل الذي أتى به أولا, كمن مدح إنساناً بالحلم، فيرى الاقتصار

عليه بدون مدحه بالبأس ناقصًا، فيكمله بذكره، كقول كعب بن سعد الغنوي[١]:[الطويل]

حَلِيمٌ إِذَا مَا الحِلمُ زَيّنَ أهلَهُ مَعَ الحِلمِ فِي عَينِ العَدو مهيبُ[٢]

فان المدح بالحلم تم في المصراع الأول, ولكن أراد تكميله بالهيبة, فانه إذا لم يعرف منه إلا الحلم لم يهبه العدو, فقال: (مع الحلم في عين العدو مهيب) ، ثم اعترض على من قال بأنه احتراس بقوله: وتكلف من جعله احتراسا، نعم قوله: إذا ما الحلم زين أهله, احتراس[٣].

---

(١) كعب بن سعد بن عمر بن عقبة الغنوى، شاعر جاهلى، جعله ابن سلام في طبقة أصحاب المراثي، ويتميز شعره بكثرة ما فيه من أمثال. ينظر: معجم الشعراء – لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني تـ٣٨٤هـ (٣٤١) بتصحيح وتعليق: أ. د/ كرنكو. – مكتبة القدس – دار الكتب العلمية – بيروت – ط٢ – ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

(٢) البيت في الأصمعيات– للأصمعي عبد الملك بن قريب (١٠٠) من قصيدة منسوبة لغريقة بن مسافع العبسى إلا أن محققيْها نسباها لكعب الغنوى– تحقيق: أحمد شاكر, وعبد السلام هارون– دار المعارف بمصر– ط٥– من دون ، وجمهرة أشعار العرب: ٥٦ من قصيدة لمحمد بن كعب الغنوى يرثى أخاه أبا المغوار، وينظر البيان والتبيين(٣/ ٣٣٢)، وسمط اللآلي – لمحمد البكري تـ٥٩٩هـ (٢٧٢/٢) نسخه وصححه ونقحه عبد العزيز اليمني – سلسلة الذخائر – دار الكتب المصرية – لا ط – من دون. وتحرير التحبير(٣٥٧، وما بعدها) والمصباح(٢١٦، وما بعدها) ، ونهاية الأرب(١٥٧/٧) ،والإيضاح(١٤٤/٢) والتبيان(٣٧٣).

(٣) ينظر: تحرير التحبير (٣٥٨).

واعلم أن أكثر علماء المعاني جعلوا التكميل والاحتراس شيئا واحدا, والمحققون من المتأخرين وأصحاب البديعيات على أن كلا منهما نوع برأسه، فإن التكميل يرد على المعنى التام ، فيكمل أوصافه, والاحتراس يرد على المعنى الموهم خلاف المقصود, فيدفع ذلك الوهم, كما ستعرفه في بابه إن شاء الله تعالى.

ثم تعجب من صنيع ابن حجة بقوله: ومن العجيب أن ابن حجة فرق بين الاحتراس والتكميل تبعا للصفي, ثم قال في البيت المذكور: قوله (إذا ما الحلم زين أهله) احتراس لولاه لكان المعنى في المدح مدخولا؛ إذ بعض التغاضي قد يكون عن عجز يوهم أنه حلم, فإن التجاوز لا يكون حلما محققا إلا عن قدرة, وهو الذي قصده الشاعر بقوله: (إذا ما الحلم زين أهله) ، فإن الحلم ما يزين أهله إلا إذا كان عن قدرة, وهذا القدر غاية في باب التكميل. انتهى[1].

وهل هذا إلا تهافت؟

وعضد رأيه بأنهما لم يفرقا بين الفنيين: وقد أورد الصفي وابن حجة لنوع التكميل أمثلة هي بنوع الاحتراس أولى, منها قوله تعالى﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[2] ،قال الصفي ، وتبعه ابن حجة: إنه لو اقتصر -سبحانه -على قوله :(أذلة على المؤمنين) كان مدحًا تامًا بالرياضة والانقياد لإخوانهم, فوصفهم- أيضًا- بالعزة والمنعة والغلبة بقوله (أعزة على

(١) ينظر: خزانة الأدب (٣٧٤/١).

(٢) بعض آية من سورة المائدة (رقم: ٥٤).

الكافرين) انتهى[١].

والحق أن قوله (أعزة على الكافرين) احتراس؛لأنه لو اقتصر على قوله (أذلة على المؤمنين) لأوهم أن الذلة لضعفهم ، فدفعه بقوله (أعزة على الكافرين) تنبيها على أن ذلك تواضع منهم للمؤمنين؛ولهذا عدى الذل (بعلى) لتضمنه معنى العطف، قال التفتازاني: ويجوز أن يقصد بالتعدية (بعلى) الدلالة على أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضين لهم أجنحتهم. انتهى[٢].

ومنها قول السموأل[٣]:

وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّد حَتفَ أنفِهِ وَلَا طَل مِنَّا حَيثُ كَانَ قَتِيل[٤][الطويل]

قال الصفي: فانه لما وصف قومه بأنهم لا يموتون موت الأذلاء والجبناء كمل مدحهم بأنهم مع ذلك لا يضيع لهم دم. انتهى، والصحيح انه من

(١) ينظر: شرح الكافية البديعية(١٤٢، ١٤٣)، وخزانة الأدب(٣٧٤/١).

(٢) ينظر: أنوار الربيع(١٨٧/٥).

(٣) السموأل بن غريض بن عادياء الأزدي، شاعر جاهلي حكيم، من سكان خيبر (شمال المدينة) كان ينتقل بينه وبين حصن له سمَّاه (الأبلق) وإليه تنسب قصةُ الوفاء مع امرئ القيس، تُوفِّيَ نحو(٦٥ ق. هـ)، ينظر: الأعلام(٣/ ١٤٠).

(٤) ديوان السموأل بن عادياء، وعروة بن الورد(٩١) دار صادر – بيروت – لا ط – من دون، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى: ١/ ١١٧ وديوان الحماسة (برواية الجواليقى): ١/ ٤٣.

الاحتراس- أيضًا-, فانه لو اقتصر على وصف قومه بشمول القتل إياهم, لأوهم أن ذلك لضعفهم وقلتهم, فأزل الوهم بوصفهم بالانتصار(١).

التعليق:

أولا: الذي يمعن النظر في كلام ابن معصوم ، يجد أنه يعترض على من جعل الشطر الثاني من قول كعب بن سعد **الغنوي**: [الطويل]

حليم إذا ما الحلم زين أهله مع الحلم في عين العدو مهيب

من باب الاحتراس ووصفه بالتكلف وبين أنه من باب التكميل ؛ وذلك بناء على رأيه من أن التكميل يكون بعد تمام المعنى الأول، ولكن المتكلم يرى أنه يحتاج إلى ما يكمله بذكر معنى آخر جديد ،ولكنه مرتبط بالمعنى المذكور أولا...؛ ولذا ذكر أن المدح بالحلم تم في الشطر الأول, ولكن الشاعر أراد ما يكمل المديح ، فذكر المهابة في الشطر الثاني.

ثانيا: أن ابن معصوم بناء على رأيه في أن الشطر الثاني من باب التكميل وليس الاحتراس ، يرى أن من يجعله من باب الاحتراس متكلف , وربما يكون وجه التكلف عنده أن المعنى الأول وهو الوصف بالحلم تم بنهاية الشطر الأول من البيت, وأنه لا يوهم خلاف المراد حتى يحتاج إلى احتراس... ومن يجعل الشطر الثاني احتراسًا يتكلف ما لا داعي له أصلا.

ثالثا: مع أن ابن معصوم جعل الشطر الثاني من باب التكميل وليس من باب الاحتراس ، إلا أنه لم ينف وجود الاحتراس في البيت, ولكنه جعل الاحتراس في الشطر الأول في قوله: " **إذا ما الحلم زين أهله**" ؛ لأن وصفه

(١) ينظر: أنوار الربيع(٥ /١٨٥-١٨٧).

بالحلم مطلقا ربما يوهم أن ذلك لضعف في الممدوح ، فيوهم عكس ما يريده الشاعر ، فاحترس لذلك بقوله: إذا ما الحلم زين أهله" فالحلم يكون زينة إذا كان عن قوة وقدرة وليس عن ضعف أو وهن.

ومع أن ابن معصوم خالف بعض البلاغيين في موضع الاحتراس في البيت, إلا أن ما ذكره في جعل الاحتراس في جملة" **إذا ما الحلم زين أهله**" لفتة طيبة ، وفهم عميق لمراد الشاعر ومقصده.. مما يدل على ذوقه ودقته ، وحسه المرهف في التذوق لفصيح الكلام، وهذا مما يستحق أن يشاد به في صنيع ابن معصوم، وإن كان قد سبق بما يدل على ذلك، كما هو عند الخطيب وغيره من البلاغيين كابن أبي الإصبع ، والنويري وغيرهما.

رابعا: مما يحسب –أيضا– لابن معصوم أنه فرق بين التكميل والاحتراس بقوله: " واعلم أن أكثر علماء المعاني جعلوا التكميل والاحتراس شيئا واحدا, والمحققون من المتأخرين وأصحاب البديعيات على أن كلا منهما نوع برأسه، فإن التكميل يرد على المعنى التام فيكمل أوصافه, والاحتراس يرد على المعنى الموهم خلاف المقصود, فيدفع ذلك الوهم," وهذا يدل على أن ابن أبي الإصبع يختار هذا الرأي ويرجحه ويرفض أن يكون التكميل والاحتراس شيئا واحدا، و لكنه أخذ على من فرق بين التكميل والاحتراس أنه خلط بين أمثلتهما فذكر في باب التكميل ما يدخل في الاحتراس والعكس .

المطلب الثالث: (موقف ابن معصوم من ابن حجة في باب الرجوع[1]

تحدث ابن معصوم عن هذا الاعتراض في أثناء حديثه عن الرجوع ، وأن التفرقة بين الفنون أمر يحتاج إلى دقة فهم وروية، مما دفع ابن معصوم إلى أن يوجه ما التبس فيه ابن حجة، حينما سوى بين (الرجوع، والسلب والإيجاب)، حيث قال (ابن حجة): " إن هذا النوع لا فرق بينه ، وبين السلب والإيجاب[2]، فإن **السلب والإيجاب** هو أن يبني المتكلم كلامه على نفي شيء من جهة, وإثبات من جهة أخرى, **والرجوع** هو العود على الكلام السابق بالنقض, وكل من التقريرين لائق بالنوعين. انتهى"[3].

وهذه التسوية من ابن حجة جعلت ابن معصوم يتعجب من

---

(١) وهو: العود على الكلام السابق بنقضه وإبطاله لنكتة, وليس المراد أن المتكلم غلط ثم عاد؛ لأن ذلك يكون غلطا لا بديع فيه, بل المراد أنه أوهم الغلط ، وإن كان قاله عن عند، إشارة إلى تأكد الإخبار بالثاني؛ لأن الشيء المرجوع إليه يكون تحققه أشد. ينظر :كتاب الصناعتين(٤١١) ، ومواد البيان(٣٤١) ،وتحرير التحبير(٣٣١) ، وبديع القرآن(١١٧)، ونهاية الأرب(١٤٤/٧) ، والإيضاح(٢٤/٤) والتبيان(٣٩٢)، وشرح الكافية(٣٣١) ، وخزانة الأدب (٢٨٢/٢)، وشرح عقود الجمان(١١١) وشرح البديعية الصغرى(٤٤)ومعاهد التنصيص(٢/ ٢٥٧).

(٢) ينظر :كتاب الصناعتين(٤٢١)، وتحرير التحبير (٥٩٣) وبديع القرآن (١١٦) ، والمنزع البديع (٢٩٩)، ونهاية الأرب (١٥٤/٧) وشرح الكافية(٢٤٠) ، وخزانة الأدب (٢٦٨/٢)، وشرح عقود الجمان (١١٢)، وشرح البديعية الصغرى (٢٨٧) .

(٣) خزانة الأدب(٢٨٢/٢).

صنيعه، ويعترض عليه بقوله:" قلت: إني لأعجب من غباوة ابن حجة في هذا المقال, فإنه جعل ما هو حجة عليه حجة له, والفرق بين النوعين ظاهر من الحدين المذكورين للنوعين ظهور فلق الصباح, وأين نفي شيء من جهة ، وإثباته من أخرى من العود على الكلام السابق بالنقض؟ فإن مفاد حد الرجوع: أن النفي والإيجاب يتواردان على معنى واحد, وحد السلب والإيجاب: أن النفي يكون باعتبار, والإيجاب باعتبار آخر, وبين الحالتين بون بائن فاعلم[١].

التعليق:

أولا: **قبل مناقشة هذا الاعتراض نشير إلى أن ابن حجة صار على نهجه بعض متأخري أصحاب البديعيات من عدم التفرقة بين : (السلب والإيجاب، والرجوع)، فنهجوا منهجه، وصاروا على منواله ، منهم : الباعونية في شرح بديعيتها الكبري، حيث وافقت ابن حجة في ذلك[٢]، والبكره جي في بديعيته[٣]، وغيرهما.**

ثانيا: **لم يقف الأمر على الموافقة، بل اعترض عليه بولس عواد في بديعيته، حيث قال:" وأما بيت الشيخ الحموي، فليس فيه شيء من الرجوع، وإنما هو من باب السلب والإيجاب؛ لأنه نفى الرجوع عن حي الممدوح، وأثبت الرجوع عن الأوطان والحشم، وهذا هو السلب والإيجاب بعينه... والذي يظهر لي أن الفرق بينهما مثل الصبح ظاهر...فتأمل"[٤].**

---

(١) ينظر: أنوار الربيع(٣٧٢/٤).

(٢) ينظر: الفتح المبين = شرح البديعية الكبرى – للباعونية(٤٧٨/١).

(٣) ينظر: حلية العقد البديع(٢٧٨).

(٤) العقد البديع(٩٩، وما بعدها).

ثالثا: **المتمعن والناظر في اعتراض ابن معصوم على ابن حجة ، يدرك أنه لا يعترض لأجل الاعتراض، بل كان يعمل فكره وعقله في كلام من يعترض عليه ، حتى يزيل الالتباس الذي وقع فيه ، وهذا يظهر في أثناء مناقشته لابن حجة ، حينما سوى بين: الرجوع، والإيجاب والسلب، وجعلهما مترادفين ، مما جعله ينظم بيت بديعيته على هذه التسوية ، فأصبح البيت من السلب والإيجاب ، وليس من الرجوع(١)، وهذا ما تعجب منه ابن معصوم ؛ لأن الفرق بينهما قد خفي على ابن حجة مع ظهوره ووضوحه.**

رابعا: **يدعم ما ذهب إليه ابن معصوم ما أشار إليه أبو بكر الحضرمي عند عقد مقارنة بين شواهد البابين، فقال:" ويدل على صحة هذا التفريق ما أوردوه من الشواهد على النوعيين، فمن شواهدهم على السلب والإيجاب قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (٢)، وقول امرئ القيس: [الطويل]**

---

(١) وهو:

وما لنا من رجوع عن حماه ، بلى لنا رجوع عن الأوطان والحشم

قال ابن معصوم:" لا يخفى أنه قد تقدم في حد هذا النوع أنه العود على الكلام السابق بنقضه وإبطاله, وابن حجة لم يبطل ما تقدم, بل نفى رجوعه عن حماه, وأثبت رجوعا آخر, وهذا من نوع السلب والإيجاب, لا من = =هذا النوع، لكن قد علمت أنه لم يفرق بين هذين النوعين ،فبنى بيته على حسب اعتقاده.أنوار الربيع(٤/ ٣٧٣).

(٢) بعض آية من سورة الإسراء(رقم:٢٣).

هضيم الحشا لا يملأ الكف خصرها ويملأ منها كل حجل ودملج[١]

ومن شواهد الرجوع قول زهير: [البسيط]

قف بالديار التي لم يعفها القدم بلى، وغيرها الأرواح والديم[٢]

وقول الحماسي: [الطويل]

أليسَ قليلاً نظرةٌ إن نظرتُها إليك؟! وكلا ، ليسِ منكِ قليل[٣]

ومثلهما بيت بديعية الشيخ صفي الدين: [البسيط]

أطلتها ضمن تقصيرى فقام بها عذرى ، وهيهات إن العذر لم يقم[٤]

فإن المنفي في شواهد السلب والإيجاب مثبت فيها من جهة أخرى، والمحكي في شواهد الرجوع نفيا كان أو إثباتا منقوض برجوع المتكلم عنه من تلك الجهة بعينها، فبيت الناظم في نوع الرجوع لا شاهد فيه؛ لأنه كما ترى نفي الرجوع فيه من جهة ، وأثبته من أخرى، فلم يكن فيه إلا السلب

---

(١) البيت للشمّاخ فى ديوانه (٧٥)، وشرح البديعية الصغرى (٢٨٨)، وليس لامرئ القيس ، والحِجْل: القيْد والخلخال[لسان العرب: ٧٨٨/٢- حجل] ، والدملج : المعضد من الحلى[لسان العرب :١٤٢٥/٢- دملج] .

(٢) ديوان زهير(١٤٥).

(٣) البيت ليزيد بن الطثريّة ، فى شعره (٨٨)صنعة: حاتم صالح الضامن – مطبعة أسعد– بغداد –لاط– من دون، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى (١٣٤١/٣) .

(٤) ديوان الصفي الحلي (٧٠٢)، وشرح الكافية (٣٣١)، وخزانة الأدب (٢٨٢/٢)،ونفحات الأزهار (١٦٤) .

والإيجاب...إلخ"[1].

خامسا: وعليه فابن حجة قد التبس عليه الأمر حين سوى بين:(الرجوع، والسلب والإيجاب)مع أنه قد أفرد كل واحد منهما تحت باب من أبواب كتابه، ومثل له بأمثلة من يتمعنها يستخرج الفرق منها، لكن تصريحه بذلك هو الذي جعله محل الاعتراض.

خلاصة القول: مما سبق يتبين أن ابن معصوم مصيب في هذا الاعتراض، حيث إن الفرق بين الفنين واضح وظاهر، لكن أخذ عليه أنه أغلظ القول في رده على ابن حجة، حين وصفه بالغباوة.

المطلب الرابع: :(موقفه من ابن أبي الإصبع في باب السلب والإيجاب[2]

أشار ابن معصوم إلى هذا الاعتراض في أثناء شرحه لهذا الباب، حيث قال: هذا النوع زعم ابن أبي الأصبع أنه من مستخرجاته, وهو موجود في كتب القدماء الذين نقل عنهم ، ككتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري[3], وسر

(١) إقامة الحجة على التقي ابن حجة- لأبي بكر بن عبدالرحمن الحضرمي(٥٠، وما بعدها) مطبعة نخبة الأخبار-١٣٠٥هـ.

(٢) ينظر تخريج الفن فى كتاب الصناعتين(٤٢١) ، وتحرير التحبير(٥٩٣)،وبديع القرآن(١١٦)، والمنزع البديع(٢٩٩ ، ٤٣٤)، ونهاية الأرب (١٥٤/٧)، وشرح الكافية (٢٤٠) ، وشرح عقود الجمان (١١٢)، وشرح البديعية الصغرى (٢٨٧)، ونفحات الأزهار(٣٠٥) .

(٣) ينظر: كتاب الصناعتين(٤٠٥).

الفصاحة لابن سنان الخفاجي[١], وبديع[٢] شرف الدين التيفاشي [٣], وذكره عز الدين الزنجاني[٤] في معيار النظار[٥].

قال العسكري: هو أن يبنى الكلام على نفي الشيء من جهة, وإثباته من جهة أخرى, أو الأمر به من جهة, والنهي من جهة أخرى[٦], وما أشبه ذلك[٧],

---

(١) ينظر: سر الفصاحة (٢٠٥).

(٢) هو كتاب" البديع "، بلغ فيه بفنون البديع إلى السبعين.ينظر: كشف الظنون(٢٣٣)،ومعجم المؤلفين(١/ ٢٠٨).

(٣) أحمد بن يوسف بن أحمد بن أبى بكر، شرف الدين التيفاشىّ (٥٨٠ – ٦٥١هـ) برع فى الأدب، وكان عالمًا بالأحجار الكريمة، وُلِدَ بتيفاش من قرى قفصة بإفريقية، وتعلم بمصر، وولى القضاء فى بلده، ثم عاد إلى القاهرة وتوفى بها، من آثاره: "البديع"- وهو غالبًا مفقود-"وأزهار الأفكار في جواهر الأحجار"، "وخواص الأحجار ومنافعها "، وغير ذلك. ينظر: تاريخ الأدب العربي لبروكلمان:ق٥/٢٩٨.

(٤) عبد الوهاب بن إبراهيم بن عبد الوهاب، أبو الفضائل، عز الدين الخزرجى الزنجانى (ت ٦٦٠ هـ) أديب، عالم بالنحو واللغة والصرف والمعانى والبيان والعروض والعلوم النقلية والعقلية، واستوطن تبريز وأقام بالموصل، وتوفى ببغداد. ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة- للسيوطي تـ٩١١هـ(١٢٢/٢) تحقيق: د/ محمد أبو الفضل إبراهيم – المكتبة العصرية – صيدا – لبنان- لا ط- من دون، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان(١٧٩/٥)

(٥) ينظر: معيار النظار في علوم الأشعار: عبد الوهاب بن إبراهيم الزنجاني ت ٦٦٠ هـ() تحقيق د/ محمد علي رزق الخفاجي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩١م.

(٦) ينظر: كتاب الصناعتين(٤٠٥).

(٧) ينظر: أنوار الربيع(٢٨٠/٥).

كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾[1] .

ومن النظم قول امرئ القيس: [الطويل]

هَضِيمُ الحَشَا لَا يَمْلَأُ الكَفّ خَصرُهَا وَتَملأُ مِنهَا كُل حِجلٍ وَدَمْلَجِ[2]

وقوله: [الطويل]

وَنُنكِر إِنْ شِئنَا عَلَى النَّاسِ قَولَهم وَلَا يُنكِرُونَ القَولَ حَيثُ نَقُولُ[3]

وقال ابن أبي الإصبع في تقرير هذا النوع: هو أن يقصد المادح أفراد ممدوحه بصفة لا يشركه فيها غيره, فينفيها في أول كلامه عن جميع الناس, ويثبتها لممدوحه بعد ذلك[4]، كقول الخنساء:

وما بَلَغَتْ كَفُّ امرئٍ مُتَناوِلٍ من المَجْدِ إِلاَّ والذي نِلْتَ أَطْوَلُ

---

(١) بعض آية من سورة المائدة(رقم:٤٤).

(٢) البيت بعد البحث والاستقراء لم أقف عليه في ديوان امرئ القيس : تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ط٣، ١٩٦٩م.، وهو للشمّاخ بن ضرار الذبيانى في ديوانه(٧٥)حققه وشرحه: صلاح الدين الهادى، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧م، وسر الفصاحة(٢٠٥)، وشرح البديعية الصغرى (٢٨٨) ، وقد نسبه العسكري في كتاب الصناعتين (٤٠٥)لامرئ القيس ، والشاهد:لا يملأ،ويملأ، والحِجْل : القيْد والخلخال . [اللسان :٢/٧٧٨- حجل] ، والدملج : المعضد من الحلى . [اللسان :٢/١٤٢٥- دملج] .

(٣) البيت للسموءل بن عادياء اليهودى فى ديوانه (٩١) بيروت، دار صادر، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م. وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى(١/١٢٠)، وشرح البديعية الصغرى(٢٨٩).

(٤) ينظر: تحرير التحبير(٥٩٣).

وَلَا بَلَغَ المَهدُونَ للناسِ مَدحَةً وَإِن أطنَبُوا إِلَّا الّذِي فِيكَ أفضَلُ[١]

ثم قال ابن معصوم : وهذا التقرير داخل في حد العسكري لهذا النوع[٢].

التعليق:

أولا: **في بداية الحديث عن مناقشة هذا الاعتراض ، ينبغي أن نشير إلى أن أغلب أصحاب البديعيات، صاروا على نهج أبي هلال العسكري في تعريفه ، كالشيخ الصفي الحلي**[٣]**، وعز الدين الموصلي**[٤]**، وابن حجة**[٥]**، والباعونية**[٦]**، وغيرهم.**

ثانيا: **أما من استقل عنهم وخالف مذهبهم في بديعيته، فهو الشيخ عبدالغني النابلسي، وبرر لما ذهب إليه بقوله: وقد علمت أن هذا النوع بهذا التعريف –يقصد تعريف العسكري– يتحد مع نوع الرجوع المتقدم ذكره؛ لأنهم**

---

(١) ديوان الخنساء بشرح الثعلبى (٣٢٠) تحقيق: د/أنور أبو سويلم، الأردن، عمَّان، دار عمّار،١٤٠٩هـ– ١٩٨٨م، وفيه : " فما " محل " وما " ، و " متناول بها " محل ، متناولا من " ، و " حيثما " محل " والذى " ، و "وما " محل " ولا " ، و " في القول " محل " للناس " ، و " ولا صفة " محل " وإن أطنبوا " ، والشاهد هنا: أنها نفت الأطولية في المجد، والأفضلية في المدح عن جميع الناس، وإثباتهما له.

(٢) ينظر: أنوار الربيع(٢٨١/٥).

(٣) ينظر: شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع(٢٤٠).

(٤) ينظر: التوصل بالبديع(٣٠٦).

(٥) ينظر: خزانة الأدب(٢٦٨/٢).

(٦) ينظر: شرح الباعونية الكبرى(٤٣٩/١).

عرفوا الرجوع بالعود على الكلام السابق بالنقض[١]، وهذا هو نفي الشيء من جهة، وإثباته من أخرى بعينه، كما صرح بهذا الاتحاد ابن حجة في نوع الرجوع[٢]، فتعين حينئذ العدول إلى تعريف الشيخ زكي الدين ابن أبي الإصبع؛ لأجل الفرق بين النوعين، وهو ما قررته ، وبنيت عليه بيت بديعيتي ، كما عرفت لاسيما ، والشيخ زكي الدين إمام هذه الصناعة، ورئيس هذه الجماعة، ومن العجائب أن عائشة الباعونية قررت تعريف الشيخ زكي الدين في أول كلامها، ثم قالت: وهذا الحد عندي فيه نظر، والصواب ما ذكره العلامة الشهاب محمود[٣]، وذكرت تعريف العسكري...إلخ[٤].

ثالثا: **من خلال التأمل في الكلام السالف ذكره ، يتضح أن ابن أبي الإصبع مسبوق بغيره، كالعسكري، وابن سنان ، وغيرهما؛ وذلك لأن تعريفه يدخل في تعريف العسكري، فتعريف أبو هلال عام في الشيء غير مقيد، وهو شامل للمعاني كلها، سواء كانت مدحا أو غيره.**

رابعا: **أما ما أشار إليه الشيخ عبدالغني النابلسي بأنه صار على نهج ابن**

---

(١) ينظر تعريفه وتخريجه في كتاب الصناعتين(٤١١) ، ومواد البيان(٣٤١) ، وتحرير التحبير(٣٣١) وبديع القرآن(١١٧)، ونهاية الأرب(١٤٤/٧) ، والإيضاح(٢٤/٤) والتبيان(٣٩٢)، وشرح الكافية(٣٣١) ، وشرح عقود الجمان(١١١) .

(٢) ينظر: خزانة الأدب(٢٨٢/٢).

(٣) ينظر: حسن التوسل(٢٨٣).

(٤) ينظر: نفحات الأزهار (٣٠٥)، وطالع السعد الرفيع في شرح نور الربيع(١٧٦، وما بعدها).

أبي الإصبع، لكي يتفادى عدم الاختلاط واللبس بين: الرجوع، والسلب والإيجاب، كما قال ابن حجة [١]، فهذا حجة عليه ، أو دليل بني على غير صواب؛ لأن هناك فرق واضح بين الفنين، فابن حجة في كلامه فاته أن الرجوع يختلف عن السلب والإيجاب ، وصار على نهجه النابلسي، وكلاهما مجانب للصواب، فالسلب والإيجاب ليس نقضا للكلام السابق، بل تقرير للاحق بمعونة السابق، كما يقول ابن حجة , والشيخ النابلسي.

خامسا: **وأما ما ذهب إليه ابن أبي الإصبع المصري بأن هذا الفن من مستخرجاته ، فلا دليل عليه ، ولا حجة له فيما قاله، وهذا ما أكده د/ حفني شرف حيث قال: لم يسلم هذا النوع للمؤلف، وقد استدرك على نفسه بحاشية في الأصل وردت قبل هذا الهامش[٢] ظن أنه بها سبق غيره، ولكن من استدراكه استطعنا أن نبين الحقيقة؛ إذ إن السلب والإيجاب ، أو نفي الشيء بإيجابه، هو بعينه في المعنى إثبات الشيء للشيء بنفيه عن غير ذلك الشيء، إذا فعنوان اللون البديعي بتسميته عند القدماء ، أو عند المؤلف واحد، وأما ادعاؤه بأنه**

---

(١) قال ابن حجة: أما مَنْ سمَى هذا النوع استدراكا واعتراضا ، فتسميته غير صحيحة، والذي أقوله: إن هذا النوع لا فرق بينه وبين " السلب والإيجاب "، وهو أن يبنى المتكلم كلامه على نفى شئ من جهة وإثباته من جهة أخرى. وقال القاضي جلال الدين: " الرجوع: هو العود على الكلام السابق بالنقض "، فكل من التقريرين لائق بالنوعين، وللمتأمل أن ينظر إلى ذلك بحسن ذوقه وفطنته. انتهى. ينظر:الإيضاح(٢٤/٤) وخزانة الأدب(٢٨٢/٢).

(٢) قال مؤلفه: قد عثرت على أن هذا الباب لمن تقدمني من جهة تسميته لا من جهة شواهده، فسميته إثبات الشيء للشيء بنفيه عن غير ذلك الشيء...إلخ. ينظر: تحرير التحبير(٥٩٢).

خالف الأقدمين في الشواهد، فما أتى به منها يصلح للسلب والإيجاب، كما يصلح لإثبات الشيء للشيء، وبذلك يكون قد سبق إلى هذا النوع.

خلاصة القول: **وعليه فابن معصوم كان مصيبا فيما قاله، وأن ما استشهد به داخل في مفهوم أبي هلال العسكري، وأما ابن أبي الإصبع ، فلا دليل على ما ادعاه.**

المطلب الخامس: (موقفه من ابن حجة في باب الإيداع[1]).

---

(١) الإيداع هو التضمين عند كثيرين , والتضمين يطلق على عدة أنواع؛ **الأول:** إيقاع لفظ موقع غيره لتضمنه معناه , وهو نوع من المجاز ويسمى " **التضمين اللغوي** " , **والثاني:** حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم هو عبارة عنه , وهذا نوع من الإيجاز يسمى " التضمين البلاغي " , **والثالث:** تعلق ما بعد الفاصلة بها , أو تعلق البيت بما بعده , وهذا هو " التضمين العروضي" , **والرابع:** إدراج كلام الغير في أثناء الكلام لقصد تأكيد المعنى، أو ترتيب النظم , وهذا هو النوع البديعي , أو ما يطلق عليه الإيداع.

ينظر: شرح عقود الجمان (١٦٩) , وشرح البديعية الكبرى – للباعونية (٢٤٠) .

وينظر الإيداع أو التضمين في: بديع ابن المعتز (٦٤) , ومواد البيان (٣٥٣) , والعمدة (٢/ ٨٤) , والبديع في نقد الشعر (٢٤٩) , والمثل السائر (٣/ ٢٠٠) , وتحرير التحبير (١٤٠) " التضمين"، (٣٨٠) " والإيداع" , والمنزع البديع (٦/ ١٣٧) , ونهاية الأرب (٧/ ١٢٦ , ٧/ ١٦٤) , وجوهر الكنز (٢٦٢) , والإيضاح (٦٩٣) " التضمين "، وشرح الكافية (٢٦٦) , وتحدث الصفدي في: فض الختام عن نوع من التضمين يجري مجرى المثل (١٨٧) , وعروس الأفراح (٢/ ٤٢٣) , والمطول (٧٢٥) " التضمين "، والخزانة (٢/ ٣١١) , وشرح عقود الجمان (١٧٠) , وشرح البديعية الكبرى – للباعونية (٣٤٠), ومواهب الفتاح (٢/ ٦٨٧) .

وقد أشار ابن معصوم المدني إلى هذا الاعتراض في أثناء شرحه لبيت بديعيته[١]، وتوضيحه لمفهوم الإيداع ، أو التضمين[٢]، ثم اعترض في أثناء شرحه على ابن حجة بقوله: ومن قال: إن التضمين معدود من العيوب، وهو أن لا يقوم معنى البيت بنفسه حتى يؤتى بما بعده.

كقول الشاعر: [السريع]

لاَ صُلْحَ بَيْني فاعْلَمُوهُ ولا بَيْنَكُمُ ما حَمَلَتْ عَاتِقي

سَيْفي وما أنّ مريض وَمَا غرد قُمْري الوادِ بالشَّاهِق[٣]

---

(١) وهو : إيداع قلبي هواهم شاد لي بهم ... من العناية ركنا غير منهدم.

(٢) الإيداع في اللغة: مصدر أودعته مالا، إذا دفعته إليه ليكون عنده وديعة، وأودعته –أيضًا– إذا أخذت منه وديعة، فيكون من الأضداد، لكنه بالمعنى الأول أشهر، والثاني بالمعنى الاصطلاحي أنسب.

وفي الاصطلاح: وهو أن يُودع الناظم شعره بيتًا أو أكثر , أو مصراعًا وما دونَه من شعر آخر، سواءَ كان من شعره , أو من شعر غيره، مع التنبيه أنه من شعر الغير إن لم يكن ذلك مشهورًا عند البلغاء , وإن كان مشهورًا فلا احتياج إلي التنبيه بعد أن يوطىء له توطئة تناسبه بروابط متلائمة، بحيث يظن السامع أن الكلام بأجمعه له , وأحسنه ما زاد على الأصل بنكتة, كالتورية , والتشبيه , ولا يضره التغيير اليسير , وربما يسمى تضمين البيت فما زاد على البيت " استعانة " , وتضمين المصراع فما دونه إيداع. ينظر: شرح الكافية (٢٦٦) , وشرح البديعية الكبرى – للباعونية (٣٤١) ، وأنوار الربيع (٦/ ٧٣).

(٣) البيتان مختلف في نسبتهما ، فهما **لأبي عامر جدّ العباس بن مرداس** في ذيل سمط اللآلي (٣٧/٢)؛ وشرح شواهد المغني–للسيوطي تـ٩١١هـ(٢/ ٦٠١) وقف على طبعه وعلق حواشيه: أحمد ظافر– لجنة التراث العربي–١٣٨٦هـ، وشرح ==

فقد أخطأ، كابن حجة، لأن التضمين بهذا المعنى اصطلاح العروضيين، لا البديعيين، والخلط بين الاصطلاحين خطأ محض،ألا ترى أن العروضيين يسمون التضمين بهذا المعنى، التتميم أيضَا، والتتميم عند البديعيين بمعنى آخر- كما عرفته- ويسمون كون بعض الكلمة في آخر البيت إدماجا، وهو من عيوب القوافي أيضا.

ومثل ابن معصوم لذلك بقوله: كقول بشر بن أبي خازم: [الرمل]

فسعدًا فَسائلهُمُ وَالرَّبابَ وَسَائلَ هَوازِنَ عنَّا إِذَا مَا

لَقينَاهُمُ كيفَ تَفريهِمُ بَوَاتِر يَفرِينَ بَيضًا وَهَامَا(1)

==

أبيات سيبويه-للسيرافي تـ٣٨٥هـ (٩/٢) تحقيق: محمد علي هاشم-راجعه: طه سعد-دار الفكر-١٣٩٤هـ، أو **لأنس بن العباس في** تخليص الشواهد-لابن هشام (٤٠٧) تحقيق:د/ عباس مصطفى-دار الكتاب العربي-ط١-١٤٠٦هـ، **ولأبي الربيس التغلبي** في لسان العرب(٢٨٠٠/٤)،وفيه الثاني: **سَيْفي وما كنا بنَجْدٍ وما قَرْقَرَ قُمْرُ الوادِ بالشاهق**

ودون عزو في أمالي ابن الشجري (٢٩٤/١)، تثقيف اللسان وتلقيح الجنان – لابن مكي الصقلي تـ٥٠١هـ (٢٩٣) تحقيق: د/ عبد العزيز مطر – لجنة إحياء التراث الإسلامي – القاهرة – ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م.

(١) شعر بشر بن أبي خازم دراسة أسلوبية ٢٠٩ -رسالة ماجستير للباحث:سامي حماد الهمص-إشراف:محمد صلاح زكي-١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، وينظر: أمالي ابن الشجري (٤٣٣/٢)، ومختارات شعراء العرب – لابن الشجري تـ ٥٤٢هـ (٢٣/٢) ضبطها وشرحها: محمود حسن زناتي – مطبعة الاعتماد – ط١ – ١٣٤٤هـ – ١٩٢٥م. وقال: الإفراء: القطع والشّقّ فى إفساد، والفرى في إصلاح، ==

وقول ابن معصوم : والإيداع عند البديعيين من المحاسن كما ستعرفه في بابه، وإنكار كون التضمين بمعنى الإيداع- بعد أن اصطلح على ذلك كثير من أرباب هذا الفن، بل هو أشهر من الإيداع في هذا المعنى- لا وجه له[1].

التعليق:

في بداية التعليق على هذا الاعتراض ، ينبغي أن نشير إلى أن الاعتراض يدور حول التفرقة بين

الإيداع والتضمين) وعدم التفرقة بينهما، وقد بني اعتراضه على ابن حجة من خلال الآتي:

أولا : عده التضمين عيب من العيوب التي ينبغي للأديب أن يتجنبه، وتنبيهه على أن ما عدوه من العيوب هو التضمين العروضي ، وليس التضمين البديعي.

ثانيا: فرق ابن معصوم بين التضمين في اصطلاح العروضيين والبديعيين ، ونبه على أنهم يسمونه بهذا المعنى"التتميم"، وهو مختلف عند البديعيين.

ثالثا: عده الإيداع من المحاسن ، ونهجه نهج من سبقه من العلماء في عدم التفرقة بينهما.

- وأما قوله: ومن قال: **إن التضمين معدود من العيوب**...**إلخ**، فهو هنا يعرض بابن أبي الإصبع المصري، حيث قال: "إن التضمين يقع في النظم

==

والموشح للمرزباني(١٩)، والحور العين (١٠٤)، وأنوار الربيع (٧٤/٦)، وفي بعضها: فكعبا ، أو وكعبا بدلا من فسعدا، ونعليهم بدلا من تفريهم،

(١) ينظر: أنوار الربيع ٧٣/٦.

والنثر، ولا يكون إلا بالنثر، ويكون من المحاسن ومن العيوب، ولكنه لا يكون من العيوب إلا إذا وقع في النظم بالنظم، والإيداع والاستعانة[١] وإن وقعا معاً في النظم والنثر فلا يكونان إلا بالنظم والنثر، وأما العنوان ،فإنه يقع في النظم والنثر ولا يقع بالنثر،وهو بخلاف التضمين لا يكون إلا من المحاسن دون العيوب، والتضمين منهما معا[٢].

رابعا: **إنه أنكر على البلاغيين تسمية الإيداع – وكذلك الاستعانة – تضميناً، عندما قرر أن الإيداع " يسميه من لا يعرف اصطلاح أهل هذه الصناعة تضميناً ، ولم يكتف بذلك بل أخذ يفرِّع من الإيداع أنواعا أخرى كالتفصيل والتمليط والتوطيد؛ انظر إليه يقول: "وأما الناثر فإن أتى في نثره بنصف بيت لغيره سمى إيداعًا، وإن كان لنفسه سمّى تفصيلاً "، وقال: إن الشاعر " إن أخذ نصف بيتٍ لغيره، فابتدأ به وثنى عليه تتمة البيت لا غير فذلك (تمليط)، وإن بني عليه كلّ ما يَخْطر له من أبيات لتمام غرضه، فذلك توطيد[٣]**

خامسا: **وقوله: فقد أخطأ كابن حجة...إلخ، فهو ينوه بكلامه في الخزانة ، وهو: "...هذا النوع أعني الإيداع، يغلب عليه التضمين، والتضمين غيره، فإنه**

---

(١) هي أن يأتي القائل بِبَيْتِ غيره ليستعين به على إتمام مراده، أو أن يستعين الشاعر في أثناء نظمه , أو الناثر في أثناء نثره ببيت تام لغيره , خلافًا لـ" الإيداع " والتضمين " السابق ذكرهما فى شرح بيت " الإيداع " بعد أن يوطىء له توطئة تربط لفظ البيت بما قبله.ينظر : شرح الكافية (٢٧١) وتحرير التحبير(٣٨٣) ، وشرح عقود الجمان(١٧٠).

(٢) ينظر: تحرير التحبير (١٤٢)

(٣) ينظر: تحرير التحبير (٣٨٠، ٣٨٢).

معدود من العيوب، والعيب المسمى بالتضمين هو: أن يكون البيت متوقفًا في معناه على البيت الذي بعده، كقول النابغة: [الوافر]

وَهُمْ رَدُّوا الْجِفَارَ عَلَى تَمِيْمٍ وَهُمْ أَصْحَابُ يَوْمِ عُكَاظَ إِنِّي

شَهِدتُ لَهُمْ مَوَاطِنَ صَادِقَاتٍ أَتَيْتُهُمُ لِوِرْدِ الصَدْرِ مِنِّي(١)

والإيداع الذي نحن بصدده: هو أن يودع الناظم شعره بيتًا من شعر غيره، أو نصف بيت أو ربع بيت، بعد أن يوطئ له توطئة تناسبه بروابط متلائمة، بحيث يظن السامع أن البيت بأجمعه له، وأحسن الإيداع ما صرف عن معنى غرض الناظم الأول، ويجوز عكس البيت المضمن، بأن يجعل عجزه صدرًا ، أو صدره عجزًا، وقد تحذف صدور قصيدة بكمالها ، وينظم لها المودع صدورًا؛ لغرض اختاره وبالعكس، وقد تقدم وتقرر أن الأحسن في هذا الباب، أن يصرف الشاعر ما أودعه في شعره عن معناه الذي قصده صاحبه الأول، ويجوز تضمين البيتين بشرط أن ينقلهما من معناهما الأول إلى صيغة أخرى...إلخ.(٢).

سادسا: أن لعائشة الباعونية موقفًا من هذه التفرقة ، أعربت فيه عن عدم موافقتها لمن فرق بينهما، حيث قالت: وانطلق البلاغيون وشغلوا أنفسهم كثيراً بالتفرقة بين هذه الأنواع؛ بما لا طائل من ورائه، ولا أدل على ذلك من تفرقة

---

(١) البيتان للنابغة الذبيانى فى ديوانه (١٢٧، وما بعدها) ، والجفار : موضع أو ماء لبنى تميم ، وتدعيه ضبة .

[معجم البلدان : ١٤٤/٢] .

(٢) ينظر: خزانة الأدب(٣١١/٢).

ابن أبى الإصبع المصري بين التضمين والإيداع والعنوان، وكذلك الاستعانة ، وقال في ذلك كلاماً لا يخفى ما فيه من اضطراب في المعنى...إلخ[1].

سابعا: خلاصة القول: وعليه فابن معصوم حالفه الصواب في رده واعتراضه ؛ لأنه يقصد التضمين البديعي ، وهو إدراج كلام الغير في أثناء الكلام ؛ لقصد تأكيد المعنى أو ترتيب النظم ، وهذا هو النوع البديعي ، أو ما يطلق عليه " الإيداع " .

ثامنا: أما بالنسبة لاعتراضه على من عده من العيوب، وهما(ابن أبي الإصبع، وابن حجة) فلهما مندوحة في التفريق بين: الإيداع ، والتضمين؛ لأن محل التفريق كان بخصوص "التضمين العروضي"، وهو تعلق ما بعد الفاصلة بها ، أو تعلق البيت بما بعده، وهو ظاهر في البيتين ؛ لأن قوله:"سيفي" معمول لقوله:"حملت"، وهذا ما عده البلغاء من العيوب، وقد سماه قدامه "المبتور"، وهو عنده أحد عيوب ائتلاف المعنى والوزن[2].، وسماه غيره "التضمين المعيب.

(١) ينظر: الفتح المبين=شرح الباعونية (٣٤٢/١).

(٢) ينظر: نقد الشعر – لقدامة بن جعفر تـ٣٣٧هـ(٨٧) تحقيق: كمال مصطفى- الخانجي -١٩٧٩م.

المطلب السادس: :(موقفه من الشيخ علاء القضامي، وابن حجة في باب الجناس المعنوي[١]

أشار ابن معصوم المدني إلى هذا الاعتراض في أثناء حديثه عن الجناس المعنوي ، وأنه ينقسم إلى قسمين ، تجنيس إضمار ، وتجنيس إشارة[٢] ، ثم قال: فتجنيس الإضمار هو أن يضمر المتكلم ركني الجناس ، ويظهر في اللفظ ما يرادف أحد الركنين، ليدل على ما أضمره، فإن تعذر المرادف، أتى بلفظ فيه

---

(١) ينظر"الجناس المعنوي بقسميه (تجنيس الإشارة) " في : مواد البيان (٢٣٧) ، والمنزع البديع (٤٩٦) تحت اسم " تجنيس الكناية " ، ونهاية الأرب (٨٢/٧) ، والطراز(٢/ ٣٧٢) ، وجنان الجناس في علم البديع – لصلاح الدين الصفدي ت ٧٦٤هـ (٧٨) تحقيق: سمير حسين حلبي– بيروت – دار الكتب العلمية – ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، والخزانة (١/ ٩٥) ، وشرح البديعية الكبرى – للباعونية (٧٧) , ومعاهد التنصيص(٢٤١/٣) ، ومعجم مطلوب (٥٩/٢) ، وأنوار الربيع (١/ ٢٠٩).

وينظر : تجنيس الإضمار، وهو القسم الثاني من الجناس المعنوي في : شرح الكافية البديعية (٦٨) ، وخزانة = =الأدب (٩٥/١) , وجنى الجناس (٢٧٧) ، وشرح عقود الجمان (١٤٧) ، وشرح البديعية الكبرى – للباعونية (٧٧) ، وأنوار الربيع (٢٠٩/١) ، ومعجم مطلوب (٦٢/٢).

(٢) وهو: أن يُذكر أحدُ المتجانسين، ويشارَ إلى الآخر بلفظ يدل عليه سواء كان رديفَه، أو كناية لطيفة، أو غير ذلك. النص – مع بعض التغيير– في: الخزانة (١/ ٩٦) , وشرح البديعية الكبرى – للباعونية (٧٦)، وأنوار الربيع (١/ ٢١٧).

إشارة لطيفة تدل على ذلك المضمر، كقول أبي بكر بن عبدون[1] وقد اصـــطبح بخمرة ، وترك بعضها إلى الليل ، فصار خلا: [الطويل]

أَلَا فِي سَبِيْلِ اللهِ كَـاسُ مَدَامَـةٍ أَتَتْنَا بِطَعْمٍ عَهْـدُهُ غَيْـرُ ثَـابِتِ

حَكَتْ بِنْتُ بَسْطَامَ بنِ قَيْسٍ صَبِيْحَةً وَأَضْحَتْ كَجِسْمِ الشَّنْفَرَى بَعْدَ ثَابِتِ)![2]

---

(1) عبد المجيد بن عبدون ، أبو بكر , أو أبو محمد اليابري الفهري الأندلسي ت ٥٢٠هـــ ، أو ٥٢٩هـــ عمل كاتبًا للمتوكل بن الأفطس في" بطليوس"، ثم كاتبًا لأمير عسكر البربر بعد مقتل ابن الأفطس على أيدي المرابطين سنة٤٨٥هـــ ، ثم دعاه ابن يوسف بن تاشفين ليكون كاتبًا له في " المغرب " ، توفي بـــ " يابرة " .

ينظر: الذخيرة (٢/ ٦٦٨)، فوات الوفيات (٢/ ٣٨٨) ، وتاريخ الأدب العربي – لبروكلمان (٥/ ١٢٥).

(2) البيتان لم أقف عليهما في : ديوان ابن عبدون – تحقيق : سليم التسنير– دمشق– دار الكتاب العربي– ١٤٠٨هـــ–١٩٨٨م ، وينظر : شرح الكافية (٦٨) ، وجنى الجناس (٢٧٧) ، وشرح عقود الجمان (١٤٧) ، وشرح البديعية الكبرى – للباعونية (٧٨) , ولمحمد بن عبدون في : الغيث المسجم في شرح لامية العجم– للصفدي ت ٧٦٤هـــ (٣٢٨/٢)، وفي بعضها : " أتت " محل " حكت " ،" وأصبحت " محل " أضحت " ، " وأمست " محل " أضحت ". ومحمد بن عبدون الوراق ، السوسي ، كان من أكابر " القيروان" ، لكن أباه سكن " سوسة " ، وهو شاعر متكلف في اللفظ والمعنى مدح ثقة الدولة يوسف ، فأكرمه ووصله .

ينظر : الوافي بالوفيات(٣/ ١٦٨) .

بنت بسطام بن قيس اسمها الصهباء[١]، وقوله: كجسم الشنفرى بعد ثابت، أشار به إلى قول ا

لشنفرى يرثي خاله تأبط شراً[٢] ، واسمه ثابت[٣]: [المديد]

فَاسْقِنِيهَا أيَا سَوَادُ بْنُ عَمْرِو إِنَّ جِسْمِي مِنْ بَعْدِ خَالِي لَخَلُّ[٤]

---

(١) بسطام بن قيس بن مسعود، أو الصهباء الشيباني ت نحو١٠ ق هـ، من أشهر فرسان العرب في الجاهلية، أدرك الإسلام لكنه لم يسلم، قتله عاصم بن خليفة بعد البعثة النبوية. الأعلام – للزركلي (٢/ ٥١).

(٢) تأبط شرا، هو الشاعر الجاهلي المشهور، وهو ثابت بن جابر "عمسل" الفهمي ت نحو ٥٠ ق هـ، من أشهر الصعاليك في الجاهلية، كان ابن أمة سوداء اسمها أميمة الفهمية , وهو خال الشنفرى.

ينظر: سمط اللآلي (١/ ١٥٨)، وتاريخ الأدب العربي – لبروكلمان (١/ ١٠٤).

(٣) الشنفرا، هو الشاعر الجاهلي المشهور صاحب لامية العرب، وهو عمرو بن مالك، الأزدي اليماني ت نحو ٧٠ ق هـ، من صعاليك العرب في الجاهلية، وكان رفيقًا لتأبط شرًا في كثير من غزواته، وتوفي قبله.ينظر: سمط اللآلي (١/ ٤١٤)، وتاريخ الأدب العربي – لبروكلمان (١/ ١٠٥).

(٤) هو من قصيدة مطلعها: **إِنَّ بِالشِّعْبِ الَّذِي دُوْنَ سَلْعٍ ∴ لَقَتِيْلًا دَمَهُ ما يُطَــلُّ** وينسب هذا البيت **للشنفرى** ، **ولتأبط شرًا** , **ولخفاف بن ندبة** " **نضلة** " , **ولخلف الأحمر** ، قال البكري في سمط اللآلي (١٩٩/٢) : **اختلف في هذا الشعر** ، فقيل : إنه لابن أخت تأبط شرًا خفاف بن نضلة يرثي خاله ، وكانت هذيل قتلته، وقيل : إنه للشنفرى ، وقيل : إنه لخلف الأحمر ، وقد نسب إلى تأبط شرًا ، وفي العقد الفريد– لابن عبد ربه الأندلسي أحمد بن محمد ت ٣٢٨هـ (٢٤٤/٣ ، ١٥٧/٦) تحقيق : محمد سعيد العريان– مصر– المكتبة التجارية الكبرى– ١٣٥٩هـ– ١٩٤٠م , لابن أخت تأبط شر، وفي سمط اللآلي (١/ ٣٩) لخفاف بن نضلة ، وخريدة القصر (قسم ==

والخَل: النحيف المهزول[1] ، فصح معه جناسان مضمران في صدر البيت وعجزه.

فالأول: (صهباء ، وصهباء) والثاني: في (خلّ ، وخلَ) ، ولم يسمع في هذه الصناعة أحسن من هذين البيتين، وقل من ذكر هذا النوع، وهو عزيز الوجود جدًا، وأكثر من ألف في المعاني والبيان أغفل ذكره، فلم يذكره السكاكي في مفتاحه، ولا القزويني في تلخيصه ، ولا إيضاحه، ولا ابن رشيق في العمدة، ولا ابن أبي الأصبع في تحريره، على تبحره، ولا ابن منقذ في كتابه، وإنما نظمه الشيخ صفي الدين في بديعيته؛ لأنها نتيجة سبعين كتابًا في هذا الفن[2]، كما ذكره في شرحها، واقتصر عليه ، فلم ينظم تجنيس الإشارة ؛لأنها بالنسبة إلى هذا القسم كلا شيء، فهي كما قيل: في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل[3].

ثم قال ابن حجة: كان شيخنا علاء الدين القضامي يقول: ما أعلم لبيت أبي بكر بن عبدون في إضمار الركنين ثانيًا، غير بيت الشيخ صفي الدين ، ولو

==

الشام ١٠٣/٢) للشنفرى ، وهو للشنفرى في : حسن التوسل (٣٣٠) ، وشرح الكافية (٦٩ ، وما بعدها) ، وجنى الجناس (٢٧٧، وما بعدها) ، وشرح عقود الجمان (١٤٧) ، وفي بعضها: " اسقينها " محل " فاسقنيها " , و"خلي" محل " خالي" ، والخل: الخليل ، أي : الصديق. [لسان العرب : ١٢٥١/٢–خل] , وسواد بن عمر بن مالك الأزدي، ورد ذكره في : الأغاني(٢١/ ١٥٣) مع أخبار تأبط شرًا ، وذكر الأصفهاني : إنه قتل على يدي تأبط شرًا.

(1) الخل : المهزول ضده السمين. [لسان العرب : ٢/ ١٢٥٣– خل].

(2) ينظر: خزانة الأدب(٩٦/١).

(3) ينظر: أنوار الربيع(٢١٠/١).

لم يفتح ابن عبدون هذا الباب في بيته، ما حصل للشيخ صفي الدين دخول إلى نظم هذا النوع.انتهى[١].

ثم اعترض عليه ابن معصوم المدني مفندا كلامه بقوله: هذا عدم اطلاع من شيخ ابن حجة المذكور، وليس ابن عبدون أول من اخترع ، هذا النوع حتى يكون هو الفاتح لهذا الباب، فقد وقع في شعر أبي العلاء أحمد بن سليمان المعري هذا الجناس بعينه، وصح معه في بيت واحد جناسان مضمران، كما صحا مع ابن عبدون في بيته المتقدم ذكره ، والمعري أقدم من ابن عبدون بأكثر من مائة عام.

وبيت المعري هو قوله:

نَهَارُهُم ابن يَعفر فِي ضُحَاهُ وَلَيلَةُ جَارِهِم بِنتُ المُحَلّق

فابن يعفر هو الأسود، وبنت المحلق اسمها ليلى، أي: ليلة جارهم مظلمة، يقال: ليلاء وليلى، أي: طويلة شديدة الظلام، فتم معه الجناسان المضمران، وله أيضًا.

هزت إليك من القد ابن ذي يزن ولاحظتك بهاروت على عجلِ

أرتك عمَّ رسول الله منتقباً=أبا حذيفة يحكي ، أو أبا جملِ ابن ذي يزن هو سف الملك المشهور، وعمُّ رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- : العباس[٢]، وحذيفة وجمل ابنا بدر، ففي كل ذلك جناس معنوي،

---

(١) ينظر: خزانة الأدب(٩٦/١).

(٢) هو سيف بن ذى يزن، أبو مرة (١١٠ - ٥٠ ق هـ) سليل ملوك حمير، ملك اليمن سنة ٥٠٧م، كان مع أمِّه فى حجر أبرهة، وقدم على كسرى وقيصر، وقتل ==

ومن العجب أن الشيخ صلاح الدين الصفدي ، قال في شرح لامية العجم ، وفي كتابه المسمى بجنان الجناس لما اعترضه الجناس المعنوي: هذا النوع باطل، وأورد منه في تذكرته أبياتًا جارية على ما شرطه أرباب هذا الفن فيه، ومما أورد بيت المعري المذكور(١).

التعليق:

أولا: في بداية الحديث عن هذا الاعتراض ، ينبغي أن نشير إلى أن ما يدعيه ابن حجة في متابعته لشيخه ، وهو قوله: ما أعلم لبيت أبي بكر بن عبدون في إضمار الركنين ثانيًا، غير بيت الشيخ صفي الدين...إلخ، **لم يلق قبولا من العلماء** ، فقد اعترض على دعواه ابن معصوم المدني ، وأيد كلامه بالأدلة التي تعضده، حيث قال: هذا عدم إطلاع من شيخ ابن حجة المذكور، وليس ابن عبدون أول من اخترع هذا النوع حتى يكون هو الفاتح لهذا الباب...إلخ(٢).

ثانيا: مخالفة أصحاب البديعيات لما ذهب إليه ابن حجة ، فقد قال صاحب العقد البديع: وقيل: إن ابن عبدون لم يسبق إلى نظم هذا النوع، بل بقي بيته فذا في بابه...ثم أتي الشيخ الحموي، فعززهما بثالث، كما قال...ثم قال: –

==

مسروق بن أبرهة،وطرد الأحباش من اليمن،قتله عبيد الأحباش بعد ملك دام ١٥ سنة. ينظر: السيرة النبوية – لابن هشام ت٢١٣هـ (٦٤/١) تحقيق: مصطفى السقا, وإبراهيم الأبياري, وعبد الحفيظ الشلبي– البابي الحلبي – ط٢ – ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م، والمعارف(٦٣٨) .

(١) ينظر: أنوار الربيع(٢١٠/١، وما بعدها).

(٢) ينظر: أنوار الربيع(٢١٠/١، وما بعدها).

وكأنه يعترض على كلام ابن حجة-وقد وقفت في ذلك على بيتين لم أعرف قائلهما، وهو لم يقصر فيهما عمن ذكروهما[١]...إلخ[٢].

كذلك ما ذكره الشيخ النابلسي بقوله: ومن هذا القبيل قول الخوارزمي[٣] في غلام يعرف بابن برغوث[٤] : [الوافر]

بُلِيْتُ وَلَا أَقُولُ بِمَنْ ؛ لِأَنِّي إِذَا مَا قُلْتُ مَنْ هُوَ يَعْشَقُوهُ

حَبِيْبٌ قَدْ نَفَى عَنِّي رُقَادِي وَإِنْ أَغْمَضْتُ أَيْقَظَنِي أَبُوهُ[٥]

---

(١) وهما : **بأبي قدار منك وابن زرارة أدنيت حتف المستهام العاني**

فلو أن كان أبا معاذ قلبه ما كان في البلوى أبا حسان

فإن أبا قدار اسمه: سالف، وابن زرارة اسمه: حاجب، وأبا معاذ اسمه: جبل، وأبا حسان اسمه: ثابت، فحصل له من ذلك أربعة جناسات.

(٢) ينظر: العقد البديع (١٩).

(٣) أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي ، كان من أئمة الأدب وأحد الشعراء العلماء، نشأ في " خوارزم" ، ورحل في صباه إلى كثير من البلدان ، توفي في " نيسابور" سنة ٣٨٣هـ ، وقيل : ٣٦٣هـ . من آثاره : " مجموعة رسائله , ورسم المعمور من البلاد , وديوان شعره". ينظر:وفيات الأعيان(٤/ ٤٠٠) ،والوافي بالوفيات(٣/ ١٥٧) .

(٤) ابن برغوث تلميذ أبي مسلم بن خلدون ، وهذا ما ورد له في ترجمة أبي مسلم بن خلدون .

ينظر : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب – لأحمد بن محمد التلمساني (٣/ ٣٧٦) تحقيق: د/ إحسان عباس – دار صادر – بيروت – لا ط – ١٣٨٨هـ.

(٥) البيتان لأبي بكر الخوارزمي في : يتيمة الدهر (٣/ ١٠) , وفيها : " متى" محل " إذا " ، والرقاد : النوم بالليل.[معجم العين : ٥/١١٥- رقد].

فقد أضمر ركني الجناس ، وأظهر ما يرادف أحدَهما ؛ وذلك لفظ " أبــوه" , فحصل الجناس المعنوي بين : " برغوث " أبو هذا الغلام " ، وبرغوث" اسم هذا الحيوان المعروف[1]. والخوارزمي متوفى سنة ٣٨٣هـ.

ثالثا: إن كان ابن معصوم ، قد رد على ابن حجة بأن ابن عبدون مسبوق بالمعري، فإن ابن طباطبا العلوي أسبق من المعري في ذلك، فقد أشار د/ على الجندي في تمثيله وشرحه للجناس المضمر بقول ابن طباطبا العلوي: [البسيط]

ومنعم الجسم تحكي الماء رقته وقلبه قسوة يحكي أبا أوس[2]

فلفظ "أبي أوس" أحضر في الذهن هذا الاسم"حجر"، وهو لـيس بمقصـود، ولكن المقصود الحجر الحقيقي الذي شبه به قلب المحبوب في القسوة ، وهـو ما يعنيه سياق الكلام، ففي لفظ "أبي أوس" الظاهر، ركنا جناس مضمران بين: حجر اسم أبي الشاعر، وحجر الذي هو المادة الصخرية[3].

رابعا: ما أشار إليه أبي بكر العلوي ببطلان ما ادعاه ابـن حجـة بقولـه: والكلام هنا في مقامين، **الأول:** إن الناظم كان الله له، ذكر في بيته أنـه كـان جبلا وصخرا للعذال ....ومن سعد حظ الشيخ علاء الدين الذي تمنـى النـاظم البقاء ؛ ليسمع بيت جناسه هذا، أنه مات قبل بروز هذه الصخور إلـى عـالم الظهور، ومع هذا فقـد زعـم أنـه عـزز بيتـه[4] ببيـت ابـن عبـدون ،

---

(1) ينظر: نفحات الأزهار على نسمات الأسحار–للشيخ النابلسي(٣٣٤/١)

(2) ينظر: كتاب الصناعتين(٣٧٠)، وفن الجناس(١٤٨).

(3) ينظر: كتاب الصناعتين(٣٧٠).

(4) وهو : **أَبَا مُعَاذٍ أَخَا الخَنْسَاءَ كُنْتَ لَهُمْ يَامَعْنَوِيّ فَهَدُّونِي بِجَوْرِهِمِ**

==

والصفي...إلخ[١]، وهذا ما وضحه د/ علي الجندي: بأن شيخ ابن حجة لو كان حيا ، وسمع بيته هذا لقال له:"لقد حكيت ، ولكن فاتك الشنب"، ويكفي أن تبرز الجناس المضمر في بيت ابن عبدون ، والصفي الحلي؛ لتعرف كيف قصر ابن حجة عن سابقيه[٢].

والثاني: هو أن هذا النوع لم يذكره متقدموا أئمة البديع ، كالشيخ جلال الدين القزويني لا في تلخيصه، ولا في إيضاحه، ولا ابن رشيق في عمدته...وإنما الذي سماه على ما في الشرح ، وعده في أنواع الجناس الصفي الحلي...والذي عندي أن ابن عبدون ليس هو الفاتح لبابه ، كما زعموا ، وأن سكوت أئمة البديع عن ذكره ، ليس عن عدم اطلاع ، ولا جهلا بحقيقته، بل قلة مبالاة به...إلخ[٣]

خلاصة القول: **وعليه فابن معصوم مصيب في جانب ، وجانبه الصواب في جانب آخر، أما الجانب المصيب فيه ، هو أنه حالفه الصواب في رده واعتراضه على ابن حجة ، وأثبت بالدليل أن هناك شعراء كثر قبل ابن عبدون فتقوا هذا الباب ، وقد سبقت الإشارة إليهم، لكن تعصب ابن حجة لرأيه جعله يدعي ذلك.**

==

" وأبو معاذ " – اسمه – " جبل"، " وأخو الخنساء" – اسمه – " صخر "، فظهر الجناس بين: " جبل" و" جبل"، و" صخر" و" صخر"، ينظر: الخزانة (١/ ٩٥، وما بعدها)، وشرح البديعية الكبرى – للباعونية (٨٣)، وأنوار الربيع (١/ ٢١٦).

(١) ينظر: إقامة الحجة(٩)

(٢) ينظر: فن الجناس (١٥٠).

(٣) ينظر: إقامة الحجة(٩)

ومن الممكن أن نجعل لابن حجة مندوحة في ادعائه ، وهي أن بيت ابن عبدون في هذا الباب من أحسن ما سمع ، أو من أشهر ما ذكر ؛ ولذا فقد خصصه بالثناء والانفراد، وهذا ما ذكره النابلسي بقوله: وأحسنُ ما سمعت في هذا النوع قولُ أبي بكر بن عبدون[1].

- **وأما الجانب الذي لم يجالفه الصواب فيه** ، وهو اعتراضه على الشيخ الصفدي بقوله: ومن **العجب** أن الشيخ صلاح الدين الصفدي ، قال في شرح لامية العجم ، وفي كتابه المسمى بجنان الجناس لما اعترضه الجناس المعنوي: **هذا النوع باطل**...إلخ [2]. فابن معصوم في هذا الجانب قد وافق ابن حجة لما قال:... ومن غريب ما يحكى: أن الشيخ صلاح الدين الصفدي ... قال: هذا النوع عندي باطل، ولم يتيسر له منه نظم بيت واحد، مع كثرة تهافته على الجناس وأنواعه، والذي يظهر لي أنه عجز عن نظمه[3] .

- وكلاهما مخطئ في تعليقه واتهامه للصفدي ، وقد أجاب مدافعا عن ذلك أبي بكر العلوي:والحق أن هذا النوع ملحق بالأحاجي ، وهي عند المتقدمين غير محسوبة من المحسنات ، فلهذا لم يتعرضوا له، وتعريفه السابق... صادق على ما سأذكره من شواهد الأحاجي الآتية ، وهي باب واسع ، ومجال فسيح، ذكر الحريري منها: **[مجزوء الكامل]**

يا مَنْ نتائجُ فكرِهِ مثلُ النّقودِ الجائزَهْ

---

(1) ينظر: نفحات الأزهار (٣٣٢/١).

(2) ينظر: أنوار الربيع(٢١٠/١، وما بعدها).

(3) ينظر: خزانة الأدب(٩٧/١).

ما مثلُ قولِكَ للّذي حاجَيْتَ صادَفَ جائِزَهْ[1]

وتطبيقه على مقتضى التعريف السابق أنه أضمر الركنين ، وهما : "الفاصلة، والفى صلة"، وأتى في الظاهر بمرادف المضمر للدلالة عليه، وهو قوله:"صادف جائزة"...إلخ.

– وعليه فلا عبرة بتعجب ابن معصوم ، ولا بغرابة ابن حجة بعد هذا الجواب.

(1) ينظر:مقامات الحريري–لأبي القاسم تـ٥١٦هـ (٣٧٩) المقامة الملطية–مطبعة المعارف–بيروت–١٨٧٣هـ.

المبحث الثالث: اعتراضات تتعلق بالتقعيد البلاغي، ويشتمل على عدة مطالب:

المطلب الأول : (بين ابن معصوم وابن حجة في باب الطباق[1]

أشار ابن معصوم إلى هذا الاعتراض في أثناء ذكره لأمثلة إيهام الطباق[2]، قال ابن حجة في أثناء حديثه ، وذكره لأقوال العلماء في فن الطباق:"ولقد شفى زكي الدين بن أبي الأصبع القلوب في ما قرره ، فإنه قال المطابقة ضربان: ضرب يأتي بألفاظ الحقيقة ، وضرب يأتي بألفاظ المجاز ، فما كان بلفظ الحقيقة سمي طباقا ، وما كان بلفظ المجاز سمي تكافؤا...ومن أمثلة التكافؤ قول ابن

---

(١) ويقال له: "المطابقة"، "والتطبيق ", والتضاد , والتكافؤ، وهو الجمع بين المعنيين المتقابلين في الجملة سواء كان التقابلُ حقيقيًا، أو اعتباريًا ، وسواء كان تقابل التضادِّ, أو تقابل السلب والإيجاب ، أو تقابل العدم والملكة ، أو تقابل التضايف ، أو ما يشبه شيئًا من ذلك. ينظر: بديع ابن المعتز (٣٦)، وكتاب الصناعتين (٣٣٩)، وإعجاز القرآن – للباقلاني محمد بن الطيب ت ٤٠٣هـ (٨٠، ٩٧) تحقيق: السيد أحمد صقر– القاهرة – دار المعارف – ط:٥ – ١٩٨١م، ومواد البيان (٢٣٩، ٣٠٦)، والعمدة (٢/ ٥)، وأسرار البلاغة (٢٠)، والبديع في نقد الشعر (٣٦) وسماه " التطبيق"، ومفتاح العلوم (٥٣٣) وسماه " المطابقة "، والمثل السائر (٣/ ١٤٣) تحت اسم التناسب بين المعاني "، وتحرير التحبير (١١١)، والمصباح (١٩١)، والإيضاح (٦/ ٦)، وعروس الأفراح (٢/ ٣٢٩)، والمطول (٦٤١)، وشرح عقود الجمان (١٠٥)، وشرح البديعية الكبرى – للباعونية (١٤٣)، وأنوار الربيع (٢/ ٣١)، ومواهب الفتاح (٢/ ٤٨٧) وسماه "المطابقة ".

(٢) وهو الجمع بين معنيين غير متقابلين، عبر عنهما بلفظين يتقابل معناهما الحقيقيان، وقد جعلوه نوعا أخر غير المجازي. ينظر: أنوار الربيع(٣٧/٢).

رشيق[١]،وهو حسن[٢]: [الطويل]

وَقَد أطفَئُوا شَمسَ النَّهَارِ وَأوقَدُوا نُجُوم العَوالِي فِي سَمَاءِ عجاج [٣]

لكن ابن معصوم المدني عز عليه ما قاله ابن حجة ، فرد عليه بقوله: وغلط ابن حجة في عده هذا البيت من التكافؤ، ثم وضح الطباق في البيت بقوله: فإن التقابل إنما هو في معنيي: الإطفاء والإيقاد الحقيقيين، وأما المجازيان ، فلا؛ لأن إطفاء الشمس عبارة عن إثارة العجاج حتى غطى على

(١) أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، شاعر، نحوي، أديب، مؤرخ، لغوي، عروضي، ولد بـ" المهدية"، وقيل: بـ " المسيلة " سنة ٣٧٠هـ، وقيل: ٣٩٠هـ، رحل إلى " القيروان", ثم سكن " مازر" في صقلية، وتوفي بها سنة ٤٥٦هـ , وقيل: ٤٥٠هـ، له مصنفات كثيرة منها: " العمدة، والشذوذ في اللغة، وقراضة الذهب في نقد أشعار العرب". ينظر: وإنباه الرواة على أنباه النحاة – للقفطي علي بن يوسف ت٦٤٦هـ (١/ ٢٩٨) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم – القاهرة – دار الكتب المصرية – ١٣٧٤هـ– ١٩٥٥م , ووفيات الأعيان (٢/ ٨٥)

(٢) ينظر: خزانة الأدب – لابن حجة(١/١٥٧).

(٣) ديوان ابن رشيق القيرواني (٥٥) شرح: د/ صلاح الدين الهواري، وهدى عودة – دار الجيل– بيروت– ط:١ – ١٤١٦هـ– ١٩٩٦م، وينظر: الإيضاح (٦/ ١٠)، ونهاية الأرب (٧/ ٨٥)، والطراز (٢/ ٣٧٢)، وشرح البديعية الكبرى – للباعونية (١٤٥)، والعوالي: جمع عالية، وهي أعلى الرمح أو النصف الذي يلي السنان. [لسان العرب: ٤/ ٣٠٩٠ – علا]، والعجاج: الغبار. [لسان العرب:٤/ ٢٨١٣ – عج]، والشاهد: " أطفأوا، وأوقدوا".

الشمس، وإيقاد نجوم العوالي عبارة عن تشريع أسنة رماحهم، ولا مضادة بين هذين المعنيين[١].

التعليق:

أولا: **من خلال البحث والاستقراء في كتب البلاغة اتضح أن ابن حجة وافق ابن أبي الإصبع المصري[٢]، والشهاب محمود[٣]، في عد البيت من التكافؤ، ولم يعللوا لذلك بشيء، بل اقتصروا على قولهم: ومن أمثلة التكافؤ قول ابن رشيق.**

ثانيا: **أما ابن معصوم المدني ، فقد وافق الخطيب[٤]، في عد البيت من الطباق، ثم أبان ابن معصوم عن سبب اعتراضه لابن حجة.**

ثالثا: **أما المتأخرون من البلاغيين ، فقد صاروا على نهج الخطيب ، وابن معصوم، في أن البيت من الطباق (إيهام التضاد)[٥]، وليس من التكافؤ[٦].**

---

(١) ينظر: أنوار الربيع(٢/٣٩).

(٢) ينظر: تحرير التحبير(١١٢).

(٣) ينظر: حسن التوسل(٤٩).

(٤) ينظر: الإيضاح ضمن البغية(٤/٥٧٤).

(٥) وهو: أن يجمع بين معنيين غير متقابلين عبر عنهما بلفظين يتقابل معناهما الحقيقيان.

ينظر: الإيضاح ضمن البغية(٤/٥٧٩).

(٦) ينظر: علم البديع– د/ بسيوني فيود(١٥٠)، ووشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية–د/ عائشة فريد(٢٢) دار قباء، والبديع في ضوء أساليب القرآن–د/ عبدالفتاح لاشين(٣١).

رابعا: **الناظر يدرك أن ابن معصوم وافق الخطيب في عده البيت من الطباق، وعلل لذلك بأن التقابل يكون بين المعنيين الحقيقيين ، أما المجازيان فلا، وخطأ ابن حجة في ذلك، وما ذهب إليه ابن معصوم بأن الطباق بين:(الإطفاء، والإيقاد) قريب من الصواب؛ وذلك بالنظر إلى ظاهر اللفظ، إلا أنه تسرع في الحكم على ابن حجة بقوله: وغلط ابن حجة.**

خامسا: **من يتأمل في هذا البيت ، يجد لابن حجة مخرجًا قويًا، وحجة ناصعة في أنه وافق ابن أبي الإصبع في عده البيت من التكافؤ (أي: المجاز)، وهو أنه قابل بين صورتين، الأولى: هي صورة الشمس الساطعة الوهاجة اللامعة، وقد شكل الغبار المثار من كثرة الخيول في أرض المعركة طبقة كثيفة في السماء أطفأت شمس النهار المضيئة، وحولت هذا الضوء الساطع الوهاج إلى ما يشبه الليل البهيم(١)، فشمس النهار في الحقيقة لا تنطفئ؛ بسبب هذا الغبار المثار من سنابك هذه الخيول، ولكنه استعار الإطفاء للحجب عن ضوء النهار.**

والثانية : تكمن في هذه اللفتة الرائعة التي تتمثل في صورة أسنة الرماح الوضاءة المتلألئة ، فالشاعر يقول: "نجوم العوالي" فأتي بكلمة العوالي، أي: أن هذه العوالي في وهجها وأشعتها وسناها تشبه النجوم المتوهجة، كما قال:"سماء عجاج" أي: أن العجاج الكثيف المتناثر شكل طبقة تعلو الجيش كأنه سماء، وهذا من إضافة المشبه به للمشبه، وهذا كله يؤيد جانب المجاز، ومن هنا فلا شك أن بين الصورتين القائمتين على الاستعارة والتشبيه مجاز.

---

(١) ولنا في الرياح الخماسينية في فصول الربيع أكبر دليل ؛ لأنها تحول السماء الصافية، والنهار الوضاء إلى ما يشبه الليل بسبب هذا الغبار.

خلاصة القول: **أن فما ذهب إليه ابن معصوم المدني لا يؤيده السياق، ولكن يتأتى إذا نظرنا إلى المعنى الحقيقي لـ(الإطفاء ، والإيقاد) أي: بالنظر إلى الظاهر، لكن السياق الوارد فيه هذا البيت يؤكد أنهما من المجاز قولًا واحدًا، وفات ابن معصوم التضاد الكائن بين المعنيين المجازيين, ومن هنا فقد جانبه الصواب في تخطئته لابن حجة.**

المطلب الثاني: (موقف ابن معصوم من ابن أبي الحديد في باب الاستطراد [1].

أشار ابن معصوم المدني إلى هذا الاعتراض في أثناء شرحه للاستطراد ، وتعليقه على كلام ابن حجة وغيره ....، حيث قال: قال ابن أبي الحديد[2] في الفلك الدائر على المثل السائر: ومما زعم صاحب كتاب المثل السائر أنه استطراد قول بعض شعراء الموصل[3] يمدح الأمير قرواش

---

(١) ينظر تخريجه في : كتاب الصناعتين (٤١٤)، وإعجاز القرآن (١٠٣) ، والعمدة (٢٣٦/١، ٣٩/٢)، وتحرير التحبير(١٣٠)، وبديع القرآن (٤٩) ، والمصباح (٢٣٤) ، والمنزع البديع(٤٥٧) ، ونهاية الأرب (١١٩/٧) والإيضاح (٢٠/٤) ، والطراز (١١/٣) ، وشرح الكافية (٧٣) ،وشرح عقود الجمان(١٣٥) وشرح البديعية الصغرى (١٤٩) ومعاهد التنصيص(٣٨٤/١).

(٢) عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين، عالم بالأدب، من أعيان المعتزلة، له شعر جيد واطلاع واسع على التاريخ ، ولد سنة ٥٨٦هـ، وتوفى سنة ٦٥٦هـ. الأعلام (٢٨٩/٣).

(٣) سداد (شداد) بن إبراهيم، أبو النجيب، الطاهر أو الظاهر الجزرى البصرى (ت٤٠١ هـ)، شاعر مدح المهلَّبى -وزير معز الدولة – وعضد الدولة ابنى بويه.
==

ابن المقلد[١] ، وقد أمره أن يعبث بهجو وزيره سليمان بن فهد[٢] وحاجبه أبي جابر، ومغنيه البرقعيدي، في ليلة من ليالي الشتاء، وأراد بذلك الدعابة والولع بهم وهم في مجلس الشراب:[الطويل]

وَلَيْلٍ كَوَجْهِ البَرقَعِيْدِي ظَلْمَةً وَبَرْدٍ أغَانِيْهِ وَطُوْلِ ثُرُوْنِهِ

سَرِيْتُ وَنَوْمِي فِيْهِ نَوْمٌ مُشَرَّدٌ كَعَقْلِ ابن هَارُوْنٍ وَرِقَّةِ دِيْنِهِ

عَلَى أوْلَقٍ فِيْهِ الْتِفَاتٌ كَأَنَّهُ أبُو جَابِرٍ فِي خَبْطِهِ وَجُنُوْنِهِ

إِلَى أنْ بَدَا وَجْهُ الصَّبَاحِ كَأَنَّهُ سَنَا وَجْهِ وَاشٍ وَضوْءُ جَبِيْنِهِ[٣]

==

ينظر: وفيات الأعيان(٥/ ٢٦٥، ٢٦٦، ٧/ ٣٤١).

(١) قرواش بن المقلد بن المسيب العقيلي، من هوازن، أبو المنيع، معتمد الدولة: صاحب الموصل والكوفة والمدائن، وليها بعد مقتل أبيه (سنة ٣٩١ هـ وكان أديبًا شاعرًا، أحسن تدبير ملكه وسياسته، ودامت إمارته خمسين سنة، حبسه أخيه في إحدى قلاع الموصل. ثم نقله ابن أخيه إلى قلعة الجراحية، من أعمال الموصل، فتوفي بها سنة ٤٤٤هـ. ينظر: وفيات الأعيان(٥/٢٦٥)، والأعلام(٥/١٩٤).

(٢) سُلَيْمَان بن فَهد أَبُو الْقَاسِم الْكَاتِب الْموصِلِي كَانَ كَاتبا أديبًا شَاعِرًا رثى الشريف الرضيّ بقصيدة رَوَاهَا عَنهُ أَبُو مَنْصُور العكبري. ينظر: الوافي بالوفيات (١٥/٢٥٥).

(٣)الأبيات مختلف في نسبتها فهي **لابن الزمكدم سليمان بن الفتح تـ٣٩٨هـ** في: ديوان المعاني (١/١٩٥)، ودمية القصر (١/١٥٦)، والمثل السائر تحقيق محي الدين(٢/٢٥٦)، والجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام (١/١٨٥)، ونهاية الأرب (٧/١٢٠)، وخزانة الأدب(١/١٠٤)، والصبح المنبي(٢/٢٢٤)، والدر الفريد وبيت القصيد–لمحمد المستعصمي تـ٧١٠هـ(١/١٩٩) تحقيق:د/ كامل سليمان–دار الكتب العلمية–بيروت–ط١–١٤٣٦هـ،**وللطاهر الجزري** في وفيات

==

وليس من الاستطراد في شيء، لأن الشاعر قصد هجاء كل واحد منهم ، ووضع الأبيات لذلك، ومضمون الأبيات كله مقصود له، فكيف يكون استطراد؟. انتهى.

ثم أراد ابن معصوم أن يقوي كلامه فقال : قلت: وقد أورد هذه الأبيات القاضي ابن خلكان في تاريخه في ترجمة المقلد بن المسيب، قال: ومن جملة شعراء دمية القصر، الطاهر الجزري ، وقد مدح قرواشا بقوله ، وهو في نهاية الحسن في باب الاستطراد، ثم أورد الأبيات [1].

واعترض على ابن أبي الحديد بقوله قلت: وفي قول ابن أبي الحديد: إن الأبيات المذكورة ليست من الاستطراد في شيء، **نظر**، فقد قال القزويني في الإيضاح: الاستطراد هو الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به، لم يقصد بذكر الأول التوصل إلى ذكر الثاني[2]، كقول الحماسي:

==

الأعيان(٢٦٥/٥)، وفوات الوفيات(١٩٩/٣)، والوافي بالوفيات(١٧٦/٢٤)، **وللخباز البلدي** في ذيل مرآة الجنان–لليونيني تـ٧٢٦هـ (٢٦٠/٢)دار الكتاب الإسلامي–ط٢–١٤١٣هـ، **ودون عزو** في البديع في البديع(٧٨)، والطراز (١٨١/٢).

(١) ينظر: وفيات الأعيان(٢٦٥/٥)، والكامل في التاريخ – لابن الأثير تـ٦٣٠هـ (٦٦٤/٧) تحقيق: عبد السلام تدميري – دار الكتاب العربي – بيروت – ط١ – ١٤٢٧هـ – ١٩٩٧م، وتاريخ ابن الوردي –لابن الوردي تـ٧٤٩هـ (٣٢٣/١) دار الكتب العلمية – بيروت – لا ط – ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م ، والكشكول (١١٧/٢).

(٢) ينظر: الإيضاح (٢٠/٤).

وَإِنَّا لَقَوم مَا نَرَى المَوتَ سُبَّة إِذَا مَا رَأته عَامِر وَسَلُول[١] **[الطويل]**

ثم قال: وقد يكون الثاني هو المقصود ، فيذكر الأول قبله ليتوصل إليه، كقول أبي إسحاق الصابي:

إِن كُنتُ خُنتُكَ فِي المَوَدَةِ سَاعَة فَذَممت سَيفَ الدَّولَة المَحمُودَا

وَزَعَمت أن لَه شَرِيكًا فِي العُلَى وَجَحدته فِي فَضلِه التوحِيدَا

قسمًا لَو أَن حَالف بغموسها لغريم دَين مَا أرَاد مَزيدَا[٢]

قال: ولا بأس أن يسمى هذا إيهام الاستطراد. انتهى، فالأبيات التي أنكر ابن أبي الحديد كونها من الاستطراد من هذا القبيل، فاعلم[٣]**.**

التعليق:

أولا: **في بداية الحديث عن هذا الاعتراض، ينبغي أن نشير إلى أن ابن معصوم المدني ، قد صار على نهج من قبله من العلماء في أن هذه الأبيات**

---

(١) ديوان السموءل بن عادياء(٩١) بيروت، دار صادر، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، من قصيدة متنازع عليها بينه وبين عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثى العباسى وينظر: ديوان الحماسة (٤٣/١) ، وكتاب الصناعتين(٤١٥)، وإعجاز القرآن (١٠٤)، والعمدة (٣٩/٢)، تحرير التحبير(١٣٢)، والمصباح (٢٣٤) ، والمنزع البديع (٤٥٨) ،ونهاية الأرب (١١٩/٧)، والطراز (١٧/٣)، وهو لعبد الملك بن عبد الرحيم فى شرح ديوان الحماسة للمرزوقى: ١١٤/١ "ويقال: إنه للسموءل"، وهو **ودون عزو** فى الإيضاح (٢٠/٤).

(٢) ينظر الأبيات في بغية الإيضاح (٥٩١/٤)، وأنوار الربيع(٢٤٠/١).

(٣) ينظر: أنوار الربيع (٢٣٧/١-٢٤٠).

فيها استطراد، فقد أشار ابن منقذ إلى أنها من باب الاستطراد[١]، وذكر النويري أنها من أحسن ما قيل في ذلك؛ لأنها اشتملت على أربعة استطرادات متوالية[٢]، وغيرهم كابن حجة، والعباسي، والبكره جي ، والنابلسي[٣].

ثانيا: خالف الإمام العلوي من سبق ، وقال: ومن أعجب ما يذكر في مثال التخلص ما حكاه ابن الأثير: أن قرواشا الملقب بشرف الدولة ملك العرب صاحب الموصل...**ثم ذكر الأبيات وقال في التعليق عليها:** فانظر إلى ما أودعه في هذه الأبيات من هجاء هؤلاء الثلاثة في أبيات ثلاثة وتخلص في البيت الرابع بأحسن الخلاص في مدح شرف الدولة، وهذه الأبيات أحسن ما يورد في أمثلة التخليص، فهذا ما أردنا ذكره في أمثلة التخليصات، فهو هنا يخالف من سبق ، ويوافق ابن أبي الحديد.

ثالثا: هناك من وقف من العلماء بين بين، أو موقفا وسطًا، وأراد أن يجمع بين حسن التخلص والاستطراد معًا، ووجه ذلك ، وهو الدمشقي، حيث قال:... فذكر هذه الأبيات ارتجالًا، وهي غريبة في بابها، لم يسمع بمثلها، ولم يرض قائلها بصناعة التخلص وحدها، حتى رقي في معانيه المقصودة إلى أعلى منزلة، فابتدأ البيت الأول بهجو البرقعيدي، فهجاه في ضمن مراده، وذكر أوصاف ليالي الشتاء جميعها، وهي الظلمة، والبرودة، والطول، وكذلك البيت الثاني والثالث، ثم خرج إلى المديح بألطف وجه، وأدق صنعة، وهذا يسمى

---

(١) ينظر: البديع في البديع –لابن منقذ(٧٨).

(٢) ينظر: نهاية الأرب –للنويري(١٢٠/٧).

(٣) ينظر: خزانة الأدب–لابن حجة(١٠٤/١)، ومعاهد التنصيص(٣٨٥/١)، وحلية العقد البديع(٣٠٥)، ونفحات الأزهار(١٥٠).

الاستطراد[١].

رابعا: نعود إلى مناقشة ابن معصوم لابن أبي الحديد ، وهل هو مصيب فيما قاله أم جانبه الصواب؟ فابن معصوم في اعتراضه عليه ، قال : **وفيه نظر**، ثم جعل كلام القزويني حجه له في رفض كلام ابن أبي الحديد، وأن هذه الأبيات من إيهام الاستطراد، وهذا ما يفهم من كلام الخطيب عندما قال: وقد يكون الثاني هو المقصود فيذكر الأول قبله ليتوصل إليه[٢].

وبالتأمل والنظر في تعريف الخطيب ، نجد أن فيه تناقضًا ، فهو يقول: ...متصل به، لم يقصد بذكر الأول التوصل إلى ذكر الثاني ، كيف ذلك؟ وأن الأول هو المعول عليه، أو السبب الذي يقصد به تسلسل المعاني للوصول إلى الثاني، أو الثالث...إلخ، **ثم قال ابن معصوم**: أن الثاني هو المقصود ، فيذكر الأول قبله ليتوصل إليه، وهذا ما يسمى إيهام الاستطراد، كيف ذلك؟ فإذا كان الثاني هو المقصود ، والأول ذكر قبله؛ليتوصل إليه، فهذا يعد توطئة وتمهيدا للمعنى الذي يحوم حوله الشاعر ، وهو الهجاء، وليس من الاستطراد في شيء، ويؤكد ذلك أن الخطيب لما قال: إيهام استطراد، قال الشيخ الصعيدي في تعليقه: هو حسن التخلص الآتي في الخاتمة[٣].

خامسا: عند إمعان النظر في الأبيات نجد أن الشاعر بالغ في هجاء المذكورين ، حيث إنه شبه الليل بوجهه في الظلام ، وخلع عليه صفات ليالي الشتاء (الظلمة، والبرودة، والطول)، والآخر شبهه بشرود العقل ، والثالث:

---

(١) ينظر: الصبح المنبي (٢/٢٢٤).

(٢) ينظر: الإيضاح (٤/٢٠).

(٣) ينظر: بغية الإيضاح(٥/٥٩١)

بالخبط والجنون ، وعندما جاء إلى قرواش كان أول صفة خلعها عليه مضادة لصفات المهجويين ، فهي وإن كانت مدح في ظاهرها ، إلا أنها تعريض يحمل في طياته هجاءًا له.

فالانتقال إذا كان محققًا للغرض الرئيس من القصيدة ، كان بمثابة معنى ثان لتحقيق هذا الغرض، وليس انتقالا افتراضيا، فما ذكر هنا في الأبيات تعدد معاني فقط ، الهدف منه خدمة الغرض الرئيس ، وهو الهجاء، وهذا ليس استطرادا.

خلاصة القول: أن ما ذهب إليه ابن معصوم كان مجانبًا للصواب ، وأن الرأي الراجح –على حد علمي– مع ابن أبي الحديد، وهو أن هذه الأبيات ليست فيها استطرادا ، وأن المدح هنا إسقاط على الهجاء، فمعالجة المدح تخدم الغرض الرئيس وهو الهجاء ، وتعدد الأغراض في الظاهر فقط، لكنها في حقيقتها غرض واحد ممحض له ، وأن كل ما عداه تحقيق وتقرير له، كما أن الأمر يتوقف على عبقرية الشاعر في اختيار ألفاظ المدح وصفاته ، وكيف يكون بالصفات المقابلة للهجاء، وأن هذه الصفات التي خلعها على الممدوح تخدم الهجاء، وهو الغرض الرئيس الذي من أجله قيلت هذه الأبيات، ولعل ابن معصوم تأثر برأيه لاختلاف فهم المصطلح عنده ، ومتابعته للسابقين في ذلك.

المطلب الثالث: موقفه من ابن حجة تابع الاستطراد.

وقد نبه ابن معصوم إلى هذا الاعتراض في أثناء ذكره لشواهد الاستطراد، حيث قال عارضا رأي ابن حجة، وأورد ابن حجة من شواهد الاستطراد قول حسان بن ثابت:[البسيط]

إنْ كُنْتِ كاذِبةَ الّذي حَدَّثْتِني فَنَجَوْتِ مَنْجى الحارِثِ بنِ هِشامِ

تَرَكَ الأحِبَّةَ أنْ يُقاتِلَ دونَهم ونَجا بِرأسِ طِمِرَّةٍ ولِجامِ[١]

قال: فانظر كيف خرج من الغزل إلى هجو الحارث بن هشام؟ والحارث هذا هو أخو أبي جهل، أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه، ومات يوم اليرموك بالشام. انتهى[٢].

ثم اعترض عليه بقوله: **وأنا أقول**: **ليس هذا من الاستطراد في شيء، بل هو تخلص البتة، لأن الاستطراد يشترط فيه العود إلى الكلام الأولى كما تقدم، وحسان لم يعد إلى ما كان عليه من ذكر العاذلة، بل أتم القصيدة مستمرًا على ذكر هزيمة الحارث بن هشام ، والإيقاع بقومه في يوم بدر، ولم يكتف بالاعتراض عليه ،بل فند كلامه ، ودلل على عدم صحته بقوله: ولنذكر ما قبل البيتين مما يتعلق بهما، وما بعدهما إلى آخر القصيدة حتى يعلم صحة ما ذكرناه، قال حسان:**

يَا مَن لِعَاذِلَةٍ تَلُومُ سَفَاهَةً وَلَقَد عَصَيتُ إِلَى الهَوَى لُوَّامِي

بَكَرَت إِلَيَّ بِسُحرَةٍ بَعدَ الكَرَى وَتَقَارُبَ مِن حَادِثِ الأَيَامِ

---

(١) ديوان حسان بن ثابت (٢١٣، ٢١٤) شرحه وكتب هوامشه : الأستاذ: عبدأ. مهنا- دار الكتب العلمية- بيروت-ط٢-١٤١٤هـ- ١٩٩٤م، وينظر: البرصان والعرجان(٣٩)، وقواعد الشعر (٣٤، ٥٧)، وكتاب الصناعتين (٣٩٨)، ومحاضرات الأدباء(٢٠٤/٢)، وربيع الأبرار ونصوص الأخيار – لجار الله الزمخشري ت٥٣٨هـ (١٣٥/٤)، مؤسسة الأعلمي – بيروت – ط١ – ١٤١٢هـ.

(٢) ينظر: شرح ديوان الحماسة –للتبريزي(٥٦/١).

زَعَمَت بِأنَّ المَرءَ يُكرِبُ عُمرَهُ عُدمٌ لِمُعتَكِرٍ مِنَ الأصرَامِ[1]

يقول: زعمت أن الرجل يقرب أجله الفقر، فأمرتني بالإمساك، والمعتكر: المال الكثير، والأصرام جمع صرمة -بكسر الصاد المهملة- وهي القطعة من الإبل، ما بين العشرين إلى الثلاثين، وقيل غير ذلك... واستمر في سرد أبيات القصيدة ليبرهن على صحة كلامه إلى أن جاء إلى آخرها، وهو:

من صلب خِندِفَ مَاجِدٍ أعرَاقُهُ بَخَلَت بِهِ بَيضَاءُ ذَاتَ تَمَامِ[2]

ثم قال: هذا آخر القصيدة ، فأين الاستطراد الذي ذكره ابن حجة؟ وقد قال هو: الاستطراد يشترط فيه الرجوع إلى الكلام الأول، وقطع الكلام بعد المستطرد به[3].

التعليق:

أولا: من خلال التتبع والاستقراء في كتب العلماء ، تبين أن ابن حجة قد صار على نهج بعض من سبقه من العلماء، فقد أشار أبو هلال العسكري إلى أن البيتين من الاستطراد، حيث قال: ومثاله من المنظوم ، وذكر البيتين[4]**، وهذا ما فعله ابن منقذ في أثناء استدلاله على شواهد الاستطراد، وعدهما منه**[5]**، وكذلك ابن أبي الإصبع ، حيث قال: فهذا ما وقع من الاستطراد في**

---

(١) ينظر: أنوار الربيع (٢٤٣/١-٢٣٧).

(٢) ينظر: ديوان حسان (٢١٥).

(٣) ينظر: السابق(٢١٦).

(٤) ينظر: كتاب الصناعتين (٣٩٨)،

(٥) ينظر: البديع في نقد الشعر (٧٦).

الهجاء[١]، والوطواط ، حيث قال: فصنع حسان قصيدة استطرد به فيها، وذكر البيتين[٢].

ثانيا: لم يقتصر الأمر على الموافقة ، بل هناك من خالف هؤلاء، وقال : إن البيتين لس فيهما استطرادا ، بل حسن تخلص، ومنهم : ثعلب ، حيث قال: وقال حسان، وقد تقدم في باب الهجاء، وأعدناه هاهنا؛ لأنه خروج على هذا السبيل من نسيب إلى هجاء[٣]، وابن وكيع، حيث قال: حسن الخروج المليح إلى الهجاء والمديح ، وهو في شعر المحدثين أكثر ، فمن ذلك في الهجاء قول حسّان، وذكر البيتين[٤]، والحاتمي، حيث قال: ومن التخلص اللطيف إلى الخروج، قول حسان بن ثابت ، ثم عقب على البيتين بقوله: ويروى "والرماح تنوشهم"، فهذا تخلص إلى الهجاء لطيف[٥]، والزوزني حيث قال: وممَّن تخلّص إلى الهجاء حسَّان بن ثابت[٦].

ثالثا: أما بالنسبة لمناقشة ابن معصوم لابن حجة في قوله: إن هذا استطرادا، فينبغي أن ندرك أن ابن معصوم وإن وافق البعض ، إلا أنه أعمل فكره وعقله في مناقشته وتفنيده، فهو لم يكتف في مناقشته لابن حجة بأن هذين البيتين فيهما حسن تخلص وليس استطرادا، بل خرج الدليل عليه من كلامه(ابن حجة)، حيث قال: فإن الاستطراد يشترط فيه الرجوع إلى الكلام

---

(١) ينظر: تحرير التحبير (١٣١).

(٢) ينظر: غرر الخصائص الواضحة (٤٦٥).

(٣) ينظر: قواعد الشعر –لثعلب(٣٤، ٥٧).

(٤) ينظر: المنصف للسارق والمسروق منه(١٩١).

(٥) ينظر: حلية المحاضرة (١٢٠/٢).

(٦) ينظر: حماسة الظرفاء (٧٨).

الأول، وقطع الكلام بعد المستطرد به...إلخ، فضلا عن أنه عرض القصيدة على مائدة الدرس الأدبي والبلاغي ؛ ليوضح فيها أن الشاعر بدأ قصيدته بالغزل في محبوبته، وتعدد أوصافها ، حيث قال:

تَبلَتْ فؤادَكَ في المنامِ خَريدةٌ ، تسقي الضجيعَ ببارِدٍ بسامِ

كالمسكِ تخلطهُ بماءِ سحابةٍ ، أوْ عاتقٍ كدمِ الذبيحِ مُدامِ

نُفُجُ الحقيبةِ بَوْصُها مُتَنَضِّدٌ، بلهاءُ، غيرُ وشيكةِ الأقْسامِ

ثم قال: يا من لعاذلة تلوم سفاحة ولقد عصيت على الهوى لوامي

بكرت علي بسحرة بعد الكرى وتقارب من حادث الأيام

ثم تخلص تخلصًا لطيفًا في الهجاء بقوله:

تَرَكَ الأحِبّةَ أنْ يقاتلَ دونَهمْ، وَنجا برَأس طِمِرَّةٍ وَلِجامِ

جرواءَ، تمزعُ في الغبارِ كأنها سرحانُ غابٍ في ظلالِ غمامِ[1]

واستمر في هجائه ومعايرته للحارث بن هشام إلى أن انتهى من قصيدته، ولم يرجع مرة أخرى إلى ما ابتدأ به قصيدته.

خلاصة القول: إن ابن معصوم أصاب في اعتراضه على ابن حجة؛ وذلك بناء على شرط العود في الاستطراد إلى الحديث الأول، وهو هنا لم يعد إلى كر الصاحبة، بل انتقل إلى الغرض الرئيس، والهدف المنشود له، فليس هذا استطرادا، بل حسن تخلص، لكن ابن حجة لما أدخله في باب الاستطراد، كانت له مندوحة ، وهي أن مفهومه للاستطراد يدخل الأبيات فيه .

(١) ديوان حسان بن ثابت (٢١٣، ٢١٤) .

المطلب الرابع: :(موقف ابن معصوم من ابن حجة في باب الإبهام[١].

أشار ابن معصوم المدني إلى هذا الاعتراض في أثناء شرحه لشواهد الإبهام حيث قال: وغلط ابن حجة، فعد من هذا النوع قصة سليمان بن كثير[٢] مع أبي مسلم الخراساني[٣] ، وقال: إنها من أغرب ما نقل من شواهد الإبهام[٤]التي ما يليق بغيره وهي: أن أبا مسلم قال لسليمان: بلغني أنك كنت

---

(١) ينظر الإبهام في : نهاية الإيجاز (٢٠٥)، وتحرير التحبير (٥٩٦)، وبديع القرآن (٣٠٦)، وحسن التوسل (٣١١)،ونهاية الأرب (٧/ ١٤٣)، وشرح الكافية (٨٩)، والخزانة (١/ ١٧٨)، وشرح البديعية الكبرى – للباعونية (٢٠٠)، وشرح البديعية الصغرى – للباعونية (٥٥)، وأنوار الربيع (٢/ ٥).

وينظر باسم " **التوجيه** " فى المفتاح(٢٣٣)، والإيضاح (٥٤/٤)، والطراز (١٣٦/٣) ، وشرح عقود الجمان(١٢٧) ، **وباسم** " **المحتمل للضدّين** " في نهاية الإيجاز(٢٠٦).

(٢) سليمان بن كثير الحراني ، ورد اسمه هكذا في ترجمة أبي مسلم الخرساني . ينظر: وفيات الأعيان(١٤٧/٣)

(٣) عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ مُسْلِمٍ وَيُقَالُ: عَبْدُ الرحمن بن عثمان بن يسار الخرساني, الأَمِيْرُ, صَاحِبُ الدَّعوَةِ, وَهَازِمُ جُيُوْشِ الدَّولَةِ الأُمَوِيَّةِ, وَالقَائِمُ بِإِنشَاءِ الدَّولَةِ العَبَّاسِيَّةِ، كَانَ مِنْ أَكْبَرِ المُلُوْكِ فِي الإِسْلاَمِ, كَانَ ذَا شَأْنٍ عَجِيْبٍ, وَنَبَأٍ غَرِيْبٍ، ذَكَرَهُ القَاضِي شَمْسُ الدِّيْنِ بنِ خَلِّكَانَ فَقَالَ: كَانَ قَصِيْراً, أَسْمَرَ, جَمِيْلاً, حُلْواً, نَقِيَّ البَشْرَةِ, أَحوَرَ العَيْنِ, عَرِيْضَ الجَبهَةِ, قيل مولده سنة مائة . ينظر: وفيات الأعيان (١٤٧/٣)، والوافي بالوفيات(١٠٧/٦).

(٤) قال ابن معصوم : الإبهام– بالباء الموحدة، وسماه بعضهم: التوجيه، ومحتمل الضدين ، وهو عبارة عن أن يقول المتكلم كلاما محتملا لمعنيين متضادين، لا يتميز ==

في مجلس وقد جرى ذكري فقلت: اللهم سود وجهه، واقطع رأسه، واسقني من دمه، فقال: نعم، قلت ذلك: ونحن جلوس تحت كرم وحصرم، فاستحسن أبو مسلم ذلك منه(١).

ثم اعترض عليه مفندا كلامه بقوله: وهذا مما أخطأ فيه ابن حجة الصواب، بل هذا المثال،كما قاله بعض الفضلاء المتأخرين ممن تقدم عصرنا بقليل: من نوع المواربة- براء مهملة فباء موحدة- وحقيقتها ، كما سيأتي، أن يقول المتكلم قولا يتضمن الإنكار عليه، ثم يستحضر بحذقه وجها من الوجوه التي يمكن التخلص بها من تلك المؤاخذة، إما بتحريف كلمة ، أو بتصحيفها ، أو بزيادة ، أو نقص ، أو غير ذلك(٢).

واشتقاقها من وَرِب العرق إذ فسد(٣)، فكأن المتكلم قد أفسد ظاهر كلامه بما أبداه من تأويل باطنه(٤)، وبه ظهر أن القصة المذكورة لا يصح أن يمثل بها

==

أحدهما عن الآخر، كالمديح والهجاء وغيرهما، ولا يأتي بعده ما يميز المراد منها، قصد للإبهام، **وزاد بعضهم:** وينبغي أن يكون المراد، أنه إذا جرد عن القرائن، ولم ينظر إلى القائل والمقول فيه، **كان احتماله للمعنيين على السوية.** ينظر: أنوار الربيع(٢/٥).

(١) ينظر: خاص الخاص(٦٠)، ومفاتيح الغيب-للرازي(٢/٤١٤) والقصة فيه للحجاج مع القبعثرى.

(٢) ينظر: أنوار الربيع(٢/٥، ٢٩٩).

(٣) قال ابن معصوم : وظاهر أنه لا يتعين نقلها إلى الاصطلاح من الورب بمعنى الفساد ، بل يجوز أن يكون من المداهات والمخاتلة ، كما في القاموس، بل هو أنسب بالمعنى الاصطلاحي ، كما لا يخفى. ينظر: أنوار الربيع(٢/٢٩٩)

(٤) ينظر: القاموس المحيط :٢٤٩-ورب، وبديع القرآن(٣٠٦) .

لغير المواربة، لما اشتملت عليه من إفساد سليمان بن كثير ظاهر كلامه بتأويله بما لا يخطر ببال، ولا يتبادر إلى ذهن، من إرجاع ضمائره إلى الحصـــرم، ولا يعد إبهامًا لاشتراطنا في حده استواء معنييه في احتمال أن يكون كـــل منهمـــا مقصودًا فاعلم(١).

التعليق:

أولا: **مما سبق يتضح أن ابن حجة وافق من قبله ، كالسيوطي ، والبكـــره جي الحلبي(٢)، في عد هذا المثال من الإبهام، لكن ابن معصوم المدني اعترض عليه ، وجعله من المواربة، وعلل لذلك بقوله: إن القصة فيها اعتراض أبـــي مسلم على سليمان ، وتحويل سليمان ظاهر كلامـــه بإرجـــاع ضـــمائره علـــى الحصرم، وعلى هذا فإن الكلام جاء بعده ما يميزه، بخلاف حد الإبهام ؛ لأنـــه يشترط فيه ألا يتميز أحد المعنيين المتضادين في الكلام.**

ثانيا: **يرجح قول ابن معصوم أن المساق الذي سيق فيه هـــذا الحـــوار-لا يؤيد ما ذهب إليه ابن حجة- كان مساق هجاء؛ بسبب الخلاف الذي دب بـــين سليمان بن كثير، وأبي مسلم(٣) ، لكن لما اشتد الأمر على سليمان بقتل ابنـــه**

---

(١) ينظر: أنوار الربيع(٢/٥، ٣٠٣).

(٢) ينظر: شرح عقود الجمان(١٢٨)، وحلية العقد البديع(٨٤).

(٣) وخلاصته: أن سليمان بن كثير كان نقيبًا مواليًا لبني العباس في خراسان، وكانت منزلته تواصل انهيارها أمام نفوذ أبي مسلم وسلطانه، فهو الذي قام بأمر الدعوة حال الخوف والكرب والضيق، وعانى في سبيل نشرها، حتى جاء أبو مسلم، وهو العبد الذي اشتراه سليمان وأعتقه ، لما أحس منه الخير، فقوي نفوذه؛ لما أعطاه إلى إبراهيم الإمام تـــ١٣١هـــ زعيم الدعوة العباسية، الذي جعله واليا على دعاته، ==

محمد على يد أبي مسلم[1]، فصار يتألم لذلك، ويصدر عنه كلامًا في حق أبي مسلم، كقوله: اللهم سود وجهه...فلما علم أبو مسلم ، استدعاه، لكن سليمان بشدة ذكائه وفطنته أدرك خطورة الأمر، فاستطاع أن يقنع أبا مسلم بهذا التفسير الألمعي، عندما قال: نعم قلت ذلك تحت كرم حصرم، أي: ما قصدتك، وإنما قصدت الحصرم، أي: الثمر قبل النضج[2]، فاستحسنه وعفا عنه.

فأبو مسلم كان يعلم أن سليمان كان يهجوه، ولكن سليمان لما قدم مندوحة له قبلها منه على مضض، خشية أن يستمر في هجاءه ، أو يثير الناس في الانقلاب عليه.

***خلاصة القول*: ما أشرنا إليه هو ما كان يريد ابن معصوم المدني أن يقوله، ولكننا استنطقناه من عبارته، وعليه فابن حجة جانبه الصواب فيما ذهب إليه، والحق ما ذكره ابن معصوم بأن هذه القصة من المواربة ، وليست من الإبهام.**

==

فصار يتحكم في مصير سليمان، وانتهي الأمر بقتل ابنه،ثم قتله.ينظر: تاريخ دمشق – لابن عساكر تـ٥٧١هـ (٣٥٧/٢٢) تحقيق: عمرو بن غرامة – دار الفكر – لا ط – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م. والأعلام(٥٩/١).

(١) ينظر:أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين– لعبدالسلام الترمانيتي–الجزء الأول من سنة ١إلى ٢٥٠هـ، والمجلد الثاني من ١٣٢هـ– ٢٥٠ه– دار طلاس – دمشق

(٢) ينظر:[القاموس المحيط: ١٠٩٤– حصرم].

المطلب الخامس: :(موقفه من ابن حجة في باب الجناس المركب[١].

أشار ابن معصوم المدني إلى هذا الاعتراض بعد الانتهاء من حديثه عن الجناس المركب وأقسامه ناقلا عبارة ابن حجة في الخزانة ،وهي: "انتهي الكلام عن الجناس المركب وأقسامه"[٢] ، ثم بدأ في عرض القضية التي يريد أن يناقشها بقوله: قال ابن الحجة: وهنا بحث لطيف ، وهو أنه قد تقرر أن ركني الجناس يتفقان في اللفظ، ويختلفان في المعنى، لأنه نوع لفظي لا

---

(١) وهو: ما كان ركنه الأولُ مفردًا، والآخرُ مركبًا، أو بالعكس، إما أن يتشابه ركناه لفظًا لا خطًا ، أو لفظًا وخطًا ينظر: التعريف وتخريج الفن في: مواد البيان (٣٣٢)، والعمدة(١/ ٣٢٨) تحت اسم "التجانس المنفصل"، وأسرار البلاغة – لعبد القاهر الجرجاني ت ٤٧١هـ (١٧) تحقيق: محمود محمد شاكر– جده– دار المدني– ١٤١٢هـ– ١٩٩١م، تحدث عن " المرفو" , والبديع في نقد الشعر (٣٣)، وحدائق السحر في دقائق الشعر – رشيد الدين محمد العمري الوطواط ت ٥٧٣هـ (٩٧) نقله إلى العربية: د/ إبراهيم الشواربي– القاهرة – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر– ١٣٦٤هـ– ١٩٤٥م، وتحرير التحبير (١٠٩)، ، والمصباح (١٨٤)، والمنزع البديع (٤٩) ،والإيضاح (٦/ ٩٢) ,والطراز (٢/ ٣٦٠) وهو من " التجنيس الناقص، أو المُشَبَّه بالتجنيس"، وجنان الجناس (٥٣٠) ، وعروس الأفراح (٤/ ٣٧٩)، والمطول (٦٨٣)، والخزانة (١/ ٥٤) تحت اسم " الجناس المركب والمطلق", وشرح البديعية الصغرى – للباعونية (٢٢) , وشرح البديعية الكبرى – للباعونية (٣٦) , ومعاهد التنصيص (٣/ ٢١٠)، وأنوار الربيع (١/ ٩٧)، ومواهب الفتاح (٢/ ٦٠٣)، ومعجم مطلوب (٢/ ٨٨).

(٢) ينظر: خزانة الأدب (٦١/١).

معنوي، وهو نوع متوسط بالنسبة إلى ما فوقه من أنواع البديع، والتورية من أعز أنواعه وأعلاها رتبة، فإذا جعلت الجناس تورية ، انحصر المعنيان في ركن واحد، وخلصت من عقادة الجناس. وأنا أذكر المثالين، قال صاحب الجناس المركب: [الكامل]

أعَنِ العَقِيقِ سَألتَ بَرقًا أومَضَا ... أأقَامَ حَادٍ بِالرّكَائِب أومَضَا[1]

وقال صاحب التورية[2]:

وَإِذَا تَبَسَّم ضَاحِكًا لَم ألتَفِت إِن عَادَ بَرقٌ فِى الدَّيَاجِى أومَضَا[3]

---

(١) البيت للأسعد بن مماتى (ت ٦٠٦ هـ) في جنان الجناس_٤٥، وما بعدها) **ودون عزو** في شرح عقود الجمان(١٤٨) ،وجنى الجناس(١٣٦) ، وأنوار الربيع (١١٣/١) " أومض " الأولى كلمة واحدة، أى: لمع لمعا خفيفا [اللسان: ومض]. والثانية مركبة من " أو " و " مضى "، أي: ذهب.

(٢) وهي: أن يذكر المتكلم لفظًا مفردًا له معنيان حقيقيان، أو حقيقة ومجاز، أحدهما قريب ، ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد ، ودلالة اللفظ عليه خفية، فيريد المتكلم المعنى البعيد ويورِّى عنه بالمعنى القريب، فيتوهّم السامع أول وهلة أنه يريد القريب، وليس كذلك، ينظر التعريف وتخريج الفن في: العمدة(٣١١/١)، وحدائق السحر(١٣٥) ،ومفتاح(٢٣٣)، والمثل السائر(٧٦/٣)، وتحرير التحبير(٢٦٨)، وبديع القرآن(١٠٢)، والمصباح(٢٦٠) ،وللصفدى كتاب بعنوان: (فض الختام عن التورية والاستخدام)، والخزانة: (٣٩/٢) ولابن حجة – أيضًا – كتاب بعنوان: (كشف اللثام عن التورية والاستخدام).

(٣) البيت للأسعد بن مماتى. ومصادر تخريجه هى مصادر تخريج البيت السابق نفسها. و " أومض " هنا قد يظن أنها كلمة واحدة بمعنى لمع، وقد يظن أنها كلمتان هما: " أو " و " مضى ".

وقال في الجناس التام[١]: وإذا راجعت النظر في كلامهم ، وجدت غالب ما نظموه من التورية جناسا تامًا، فمن ذلك قول الشيخ صدر الدين الوكيل[٢] في الدوبيت[٣]:

---

(١) وهو أن يتفق اللفظان في أنواع الحروف , وأعدادها , وهيئاتها, وترتيبها، فإن كانا من نوع واحدٍ كاسمين, أو فعلين , أو حرفين، سمي" مماثلًا "، وإن كانا من نوعين كاسم وفعل، أو اسم وحرف، أو فعل وحرف، سمي "مستوفى".ينظر التعريف وتخريج الفن في: نقد الشعر – لقدامة بن جعفر (٢٦٢) وسماه " المطابق"، وأسرار البلاغة (١٧)، وحدائق السحر (٩٤)، والبديع في نقد الشعر (١٢) تحت اسم " التجنيس المغاير (١٤) تحت اسم " التجنيس المماثل" , ومفتاح العلوم (٥٣٩) , والمثل السائر (١/ ٢٦٣) وسماه " التجنيس الحقيقي"، والمصباح (١٨٣) تحت اسم " التجنيس المماثل" , والمنزع البديع (٤٨٢) تحت اسم " تجنيس المماثلة , أو المستوفى" ، ونهاية الأرب (٧/ ٧٥)، والطراز (٢/ ٣٥٦، ٣/ ٣٥١), وأنوار الربيع (١/ ١٣٨)، ومواهب الفتاح (٢/ ٥٩٨)، ومعجم مطلوب (٢/ ٦٤).

(٢) محمد بن عمر بن على بن عطية الأموى، صدر الدين بن الوكيل (٦٦٥ – ٧١٦هـ) المعروف بابن المرحّل وبابن الخطيب، أديب وشاعر مصرى كبير، تفقه على والده وعلى شرف الدين المقدسى، وأخذ عن بدر الدين بن مالك. ينظر: النجوم الزاهرة(٩/ ٢٣٣)، البدر الطالع –لمحمد بن علي الشوكاني اليمني تـ١٢٥٠هـ (٢/ ٢٣٤) دار المعرفة – بيروت – لا ط – من دون.

(٣) والدوبيت هو: أحد فنون الموليات، وأحد فنون الشعر الملحونة مع الموشح , والزجل، والمواليا، والكان كان , والحماق , وينقسم الدوبيت إلى: الرباعي المعرج , والرباعي الخاص , والرباعي المردوف , له وزنان؛ الأول:= =فعلن متفاعلن فعولن فعلن، والتفعيلة الأخير قد تكون " فعو , أو " فعولن" , أو" فعلن", والثاني: " فعلن فعلن مستفعلن مستفعلن" في كل شطره.ينظر: العاطل الحالي والرخص الغالي– لصفي الدين الحلي ت ٧٥٢هـ (١ – ٣) تحقيق: د/حسين نصار– القاهرة– الهيئة العامة المصرية للكتاب– ١٩٨١م،وشرح البديعية الكبرى– للباعونية (١٩)

كَم قَالَ معَاطِفي حَكتهَا الأسل وَالبِيض سَرقنَ مَا حَكتهَا المُقَل

وَالآنَ أوَامِري عَلَيهِم حَكَمَت البيض تحد وَالقَنا تعتقل[1]

ففي "تحد وتعتقل" جناسان تامان، إذا أبطلت الاشتراك وأبرزت كلا من الركنين في موضعه على طريق من له رغبة في الجناس. انتهى[2]، يقصد تحد، أي: يقام عليها حد السرقة، أو تحد: ترهف وترقق، وتعتقل من الاعتقال ، وهو الحبس، أو الاعتقال، وهو جعل الرمح بين الركاب والساق[3].

ثم اعترض عليه ابن معصوم المدني مفنداً كلامه بقوله: وأنا أقول: إن هذا الكلام الذي قرره لا يختص بالتورية، بل يجير في الاستخدام على طريقة ابن مالك[4]-أيضًا- كقول المعري:[الخفيف]

تِلْكَ ماذية وَمَا لذبابِ السيفِ والصيفِ عِنْدهَا من نَصيبِ[5]

---

(١) ديوان الدوبيت فى الشعر العربى فى عشرة قرون: مصطفى كامل الشيبى(٣٦٢) بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٢م، والوافى بالوفيات(٤/ ٢٧٥)، وكشف اللثام(١٥٣)، والدر المكنون: ٢٧٩، وفى جميعها: " حكتها " محل " حكاها "، وفى بعضها: " الآن " محل "والآن". والمعاطف: مفردها العطاف؛ وهو السيف. [اللسان: عطف].

(٢) ينظر: خزانة الأدب (١/٨٠).

(٣) ينظر: فن الجناس بلاغة ، أدب، نقد-لعلي الجندي (١٦٤) دار الفكر العربي.

(٤) وهو إطلاق لفظ مشترك بين معنيين مطلقًا , فيريد بذلك اللفظ أحد المعنيين , ثم يعيد عليه ضميرًا يريد به المعنى الآخر , أو يعيد عليه ضميرين يريد بأحدهما أحد المعنيين , وبالآخر المعنى الآخر بعد استعماله في معناه الثالث، وهلم جرا , وهذا هو المذهب المشهور. ينظر: الخزانة (١/ ١١٩).

(٥) البيت لأبي العلاء المعري في معاهد التنصيص(٢/٢٧١)، فاستخدم لفظ الذُّبَاب فِي معنييه الأول: طرف السَّيْف، وَالثَّانِي: الطَّائِر الْمَعْرُوف.

وهذا خروج من الاصطلاح، وقول بالاقتراح؛ لأن الجناس ينبغي أن يكون ركناه المتفقان في **اللفظ**، **المختلفان في المعنى**، **موجودين في اللفظ**، وإلا لم يسم جناسًا عندهم ،كما هو صريح حدهم له، **وكلام ابن حجة ليس بحجة**، **فإن هذا الذي ذكره شيء لا يعرفه أرباب البديع** ،**ولا نص عليه أحد منهم**، **فلا يلتفت إليه**[١].

التعليق:

أولا: من خلال التأمل في هذا الاعتراض، والنظر في كتاب الخزانة لابن حجة، نجد أنه قد عد عدته، وشد همته في الهجوم على لون من الألوان البلاغية، وهو الجناس عامة ، والتام منه بخاصة، فهو لا يكاد يرى له أفضلية، وهذا ما صرح به فى أكثر من موضع في كتابه، منها: ما أشار إليه ابن معصوم في اعتراضه، **وقال في موضع آخر** : أما الجناس، فإنه غير مذهبي ومذهب من نسجت على منواله من أهل الأدب[٢]، **وقال أيضا**: إن الفرقة الناجية من التعسف والتكلف، في النظم، لم ترض بالجناس إذا أمكنت التورية[٣]، **وقال في موضع آخر**: إن جميع من نهلت من شرابهم الصافي لم يرضوا بالجناس التام، إذا أمكن استدراك التورية من ركنيه، لعلمهم بعلو رتبتها عنه والتفات الأذواق الصحيحة السليمة إلى حسن موقعها، وإذا راجعت النظر في كلامهم وجدت غالب ما نظموه من التورية جناسًا تامًا[٤]، إلى غير ذلك من

---

(١) ينظر: أنوار الربيع (١/١١٤).

(٢) ينظر: خزانة الأدب (١/٥٤).

(٣) ينظر: السابق (١/٦٩).

(٤) ينظر: نفسه (١/٧٩).

الأقوال التي تدل على ذمه ورفضه للجناس.

ثانيا: **بالتتبع والاستقراء في كلام العلماء ، نجد أن الإمام السيوطي قد وافق ابن حجة فيما ذهب إليه ، حيث قال: إن الجناس نوع متوسط في البديع ليس كالتورية والاستخدام والطباق ونحوها،واتفقوا على أنه إنما يحسن إذا قل، فإن جعل الجناس تورية ، وانحصر المعنيان في ركن واحد ، فقد علت رتبته وارتفعت، وصارت تسمى بالتورية التامة(١)،وهذا هو خلاصة كلام ابن حجة(٢).**

ثالثا: **أما بالنسبة لأقوال بعض العلماء ممن اعتمد عليهم ابن حجة في رفضه ، وتأييد دعوته ، فهؤلاء العلماء لم ينكروا الجناس لأجل الجناس ، بل أنكروا التكلف منه ، والإكثار الذي لا فائدة فيه ، فهي دعوى بلا بينة ، لأن كلامهم ينبغي أن يفهم جيدا ، ونص كلامه في الخزانة: وحكي عن ابن جني: أن الأصمعي كان يدفع قول العامة إذا قالوا هذا يجانس هذا إذا كان من شكله، ويقول ليس بعربي خالص، وقال ابن رشيق صاحب العمدة: هو من أنواع الفراغ، وقلة الفائدة، وهو مما لا شك في تكلفه، وقد أكثر منه هؤلاء الساقة المتعقبون في نثرهم ونظمهم ،حتى برد ورك "انتهى كلامه"(٣).**

رابعا: **إن ابن حجة وإن وافق البعض فيما ذهب إليه ، إلا أنه كان شديد التعصب على لون من الألوان البديعية ، وهو الجناس، فهو لا يرى للجناس**

---

(١) ينظر: شرح عقود الجمان في علمي المعاني والبيان(١٤٨).

(٢) ينظر: خزانة الأدب (٥٥/١). فإنه نوع متوسط، بالنسبة إلى ما فوقه من أنواع البديع، كما قرره مشايخه، كالتورية والاستخدام والاستعارة والتشبيه، وما قارب ذلك من أنواع البديع.

(٣) ينظر: العمدة –لابن رشيق(٣٢٩/١)، وخزانة الأدب (٥٥/١).

مزية أو أفضلية إلا إذا جعلناه تورية، فهو أثار قضية خالف فيها جل العلماء، وبدأ يستشهد بشواهد الهدف منها تدعيم رأيه ، وتقوية مذهبه، ولا يهمه لي عنق الأمثلة التي أتى بها لكي يبرهن على صحة كلامه، فقد قال: وأنا أذكر المثالين هنا ؛ ليتضح في الأذهان الصحيحة، أن النهار لم يحتج إلى إقامة دليل، ثم قال بعد تدليله لمذهبه ، وهنا يحسن أن يمثل بقول القائل: وَمَن يَقُل لِلمِسكِ أَين الشّ!ذا؟ كذبه في الحال من شما[١].

خامسا: إن ما ذكره ابن حجة قد قابله العلماء بالرفض ، **منهم ابن معصوم** ، حيث قال: وأنا أقول: إن هذا الكلام الذي قرره لا يختص بالتورية، بل يجيز في الاستخدام على طريقة ابن مالك...إلخ، فقد فند كلام ابن حجة ، وبين أن الجهة منفكة ، ولا عبرة بقول ابن حجة[٢].

-**وكذلك الأستاذ عبدالله كنون** في أثناء شرحه لمنظومة ابن طاهر الهواري قاضي فاس المسماة "بتحفة الجلاس"، أشار إلى أن ابن طاهر تعرض فيها لذم ابن حجة الحموي، وغض ابن رشيق القيرواني منه، ورجح عليهما مذهب الصفدي في استحسانه واستبداعه ، ثم عقب ابن طاهر برأيه المتلخص في أنه على حسنه لا ينبغي الإكثار منه ، كما شبهه بالخال يكون في الخد الجميل ، فيزيده جمالا، لكن الخيلان إذا كثرت في الوجه كان شيناً وعيبًا[٣]، وغيرهما ممن اعترض عليه.

---

(١) ينظر: خزانة الأدب (٦١/١).

(٢) ينظر: أنوار الربيع (١١٤/١).

(٣) ينظر: مجلة مجمع اللغة العربية العدد ٣٨(١٧) ذو القعدة ١٣٩٦هـ، ونوفمبر ١٩٧٦م.

سادسا: موقف الشيخ على الجندي من كلام ابن حجة ، وتفنيده للأمثلة التي أتى به، فقد قال: وأقل تأمل في المثالين اللذين أوردهما يجعلنا نحكم عليهما جميعا بقبح الصياغة ، وتفاهة المعنى ، والمغالاة في التكلف والتلاعب بالألفاظ، فلا خير في التورية ، ولا مزية للجناس فيهما...وإن بدا لي أن الجناس في البيت الأول الذي لم يعجبه أقل ثقلا، وأدنى إلى القبول من التورية في البيت الثاني على فرط إعجابه به... واستمر في رده وتفنيد كلامه ، **ثم قال**: فلا معنى أن نحول الجناس تورية ليحسن الكلام ؛ لأن ذلك عمل مقصود ، ومتى وصل الأمر إلى هذا الحد ، فلا فائدة أن نبقي على الجناس أو نصيره تورية، فقد دخلنا في نطاق التكلف، وفسد الكلام من أساسه ، ونحن نعني بالجناس النوع المطبوع منه ، ومثله لا يحتاج إلى هذا الترقيع؛ لأن له حلاوة من ذاته كحلاوة التورية المطبوعة...إلخ[1].

سابعا: إن ابن حجة قد بنى دعواه على كلام الأصمعي ، وابن رشيق، وبيت ابن نباته الذي جعله أعدل شاهد في هذا الباب: [الكامل]

دَمعِي عَليكَ مُجَانِس قَلبِي فَانظُر عَلَى الحَالَينِ فِي الصَّبِّ[2]

فذكر التجانس هنا أحد لازمي التورية، والدمع هو اللازم الآخر، وقد نبهنا الشيخ جمال الدين على أنه لم يرض بالجناس، ويؤيد ذلك قوله على الحالين[3]، فضلا عن أن ذلك نابع عن حبه للتورية، وأن قوله: وإذا راجعت النظر في

---

(١) ينظر: فن الجناس (١٦٥).

(٢) ديوان ابن نباتة المصرى: نشر: محمد القلقيلى(٣٢) بيروت، دار إحياء التراث العربى، د. ت. ومعاهد التنصيص(٢٠٩/٣).

(٣) ينظر: خزانة الأدب (٨٢/١).

كلامهم ،وجدت غالب ما نظموه من التورية جناسًا تامًا ، هذا ينطبق على الشعراء المتأخرين الذين تكلفوا في هذا الفن ، حتى صار غير مقبول.

خلاصة القول: بعد توجيه رأي ابن حجة ، وتفنيد كلامه ، يتضح أن ابن معصوم المدني حالفه الصواب في كلامه ؛ وذلك لأن الجهة منفكة عند ابن حجة ، وقد بين ابن معصوم ذلك في رده، فضلا عن أن عدم التكلف في الجناس ، والإفراط فيه يعطي الكلام جمالا وبهاء ، والسبب في ذلك أن المعنى هو الذي طلبه واستدعاه، قال عبدالقاهر: إن ما يُعطي التجنيس من الفضيلة، أمرٌ لم يتمَّ إلا بنُصْرةِ المعنى؛ إذ لو كان باللفظ وَحْدَهُ ، لما كان فيه مستحسنٌ، ولما وُجد فيه معيبٌ مُسْتهجَن، ولذلك ذُمَّ الاستكثار منه والولُوعُ به، وذلك أن المعاني لا تَدِين في كل موضع لما يَجْذبها التجنيس إليه...إلخ(١).

ومما يدل على أن الجناس إذا جاء مطبوعا ، كان حسنًا رائقًا وروده في القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف، وهو فيهما في غاية البلاغة والحسن، كما أن الجناس الذي جاء في القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، كان في معظمه منفكًا عن التورية ، غير مرتبط بها ، ومع ذلك جاء في غاية الحسن .. مما يدل على ضعف كلام ابن حجة وعدم صحته .

وعليه فالجناس لون من الألوان البلاغية ، إذا جاء مطبوعا تطلبه المقام ، وإلا فلا ، شأنه في ذلك شأن كافة المحسنات البديعية؛ فإنها تحسن إذا جاءت عفو الخاطر لا تكلف فيها ؛لأن المقام هو الذي تطلبها واقتضاها.

---

(١) ينظر: أسرار البلاغة (٨/١).

المبحث الرابع: اعتراضات تتعلق بضابط المصطلح من حيث تقعيده وتطبيقه، ويشتمل على عدة مطالب:

المطلب الأول: :(موقف ابن معصوم من ابن أبي الإصبع المصري في باب التذييل[1].

أشار ابن معصوم إلي هذا الاعتراض في أثناء حديثه عن أضرب التـــذييل ،حيث قال: قال ابن نباته السعدي[2]: [البسيط]

لَم يُبقِ جُودُكَ لِي شَيئًا أُوَمِّلُه تَركتَنِي أصحَبُ الدُّنيَا بِلَا أمَلِ[3]

---

(١) وهو: تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد، ينظر تعريفه وتخريجه في كتاب الصناعتين(٣٨٧) وإعجاز القرآن(١٠٢)، وسر الفصاحة (٢٤٣ ، ٢٥٦) وهو عنده " التطويل "، وتحرير التحبير(٣٨٧ ، ٣٩١) وبديع القرآن (١٥٥)، والمصباح(٢١٧) ، والمنزع البديع (٣١١)، ونهاية الأرب (١٤٠/٧)،والإيضاح (١٣٩/٢) ، والطراز(١١/٣)، والخزانة (٢٤٢/١)، وشرح عقود الجمان (٧٤)،ومعاهد التنصيص(٣٥٨/١)، ومعجم مطلوب(٢٣٣/١) .

(٢) عبد العزيز بن عمر بن محمد بن نباتة التميمي السعدي، أبو نصر: من شعراء سَيْف الدَّوْلَة ابن حمدان. طاف البلاد، ومدح الملوك، واتصل بابن العميد (في الريّ) ومدحه، قال ابن خلكان: معظم شعره جيد، توفي ببغداد سنة ٤٠٥هـــ. له " ديوان شعر – ط ". ينظر: وفيات الأعيان(١٩٠/٣)، والأعلام(٢٣/٤).

(٣) ديوان ابن نباته السعدي(٢٠٨/١) دراسة وتحقيق: عبده الأمير مهدي حبيب الطائي–لا طبعة – من دون، وينظر: أمالي ابن الشجري(٦٩/٣)، ومحاضرات الأدباء(٦٧٣/١)، وربيع الأبرار(٢٧٨/٣)، وشرح ديوان المتنبي– للعكبري(٢٤٤/٣)، والمثل السائر(٣٩٠/٢).

قال الخطيب في الإيضاح: قيل: نظر فيه إلى بيت أبي الطيب[١]، وقد أربى عليه في المدح والأدب مع الممدوح، حيث لم يجعله في حيز من يتمنى شيئا. انتهى[٢].

ثم عرض ابن معصوم بمن خالفه بقوله: وغلط من قال: إن التذييل فيه أخرج مخرج المثل السائر، بل هو من الضرب الثاني لعدم استقلاله بإفادة المراد، لكون الخطاب في قوله: (تركتني) للسابق، والمثل لا يكون إلا مستقلا بمعناه، منفصلا عما قبله[٣].

التعليق:

أولا: **بالنظر والتأمل في كلام ابن معصوم نجد أنه يعرض بابن أبي الإصبع المصري،** حيث قال:" فإنه لما انقضى ما أراده من المدح بقوله:

لم يبق جودك لي شيئاً أؤمله

ثم احتاج إلى تتميم البيت وأراد إتمامه بتكرار المعنى المتقدم فيه استحساناً له وتوكيداً، وكره التكرير لا لمعنى زائد، وعلم أن لا مزيد على معناه في بابه، فأخرجه مخرج المثل حيث قال:

تركتني أصحب الدنيا بلا أمل

ليحصل ما أراده من التوكيد وزيادة المعنى؛ لأن المدح إذا خرج مخرج

---

(١) وهو : تمسي الأماني صرعى دون مبلغه فلا يقول لشيء ليت ذلك لي
ينظر: ديوان المتنبي-للبرقوقي(٣/٢٠٧).
(٢) الإيضاح في علوم البلاغة(٣/٢٠٧).
(٣) ينظر: أنوار الربيع(٣/٤٢).

المثل كان أسير في الأرض، وفي ضمن ذلك لهج الناس بالمدح الخارج مخرج المثل"[1].

ثانيا: **من خلال البحث والتتبع في كتب البلاغيين ، اتضح أن ابن معصوم المدني وافق الخطيب القزويني في عده هذا البيت من التذييل الذي لا يخرج مخرج المثل السائر ، وصار على نهجه المتأخرون من علماء البلاغة، فأغلبهم**

---

(١) تحرير التحبير(٣٩٠، وما بعدها)، ثم عقد ابن أبي الإصبع موازنة بين البيتين حيث قال: فبيت ابن نباته أفضل من بيت المتنبي، لأنه أحسن الأدب مع ممدوحه ، فلم يجعله في حيز من يتمنى شيئًا، وجعل قدرته وجوده أَصاراً مادحة قد بلغ كل أمنيته ، فلم يبق له أمل: وإن كان في بيت المتنبي زيادة من جهة المبالغة في قوله: (دون مبلغه) واستعارة في اللفظ لقوله: (تمسي الأماني صرعى) ففي بيت ابن نباته أن كل ما جعله المتنبي للممدوح، جعله ابن نباته لشاعر الممدوح من نعمته وزيادة المبالغة في المدح بكونه أخرج المدح مخرج المثل كما بينا، فهو أسير وأبقى، وإذا أنصف الناظر في البيتين وجد معنى بيت المتنبي بكماله في صدر بيت ابن نباته ؛لأن حاصل بيت المتنبي أن الممدوح قدر على كل الأماني، وهذا قد استقل به صدر بيت ابن نباته، والذي في صدر البيت هو الذي في عجزه ؛ لأنه ملزومه، أعني: بيت المتنبي، وكله في قول ابن نباته:**لم يبق جودك لي شيئاً أؤمله،** وعجز بيت ابن نباته ملزوم صدره؛ لأن من نال كل أمل صحب الدنيا بلا أمل، غير أن ابن نباته لكونه أخرج العجز مخرج المثل صار كأنه قد استأنف معنى آخر مستقلاً بجميع معنى بيت المتنبي، مع كونه زاد بأن جعل للممدوح، حسن أدب معه، وبالغ بإخراج المدح مخرج المثل، فقد ترجح بيت ابن نباته على بيت المتنبي من وجوه شتى، والله أعلم.

اتفقت كلمته على ذلك(١).

ثالثا: **وأما من اعترض عليه ابن معصوم وعرّض به ، فهو ابن أبي الإصبع المصري، فقد بين ووضح أن هذا التذييل في البيت أخرج مخرج المثل السائر، وتابعه في ذلك ابن حجة الحموي، فنقل كلامه ووافقه، والقاسم البكره جي، وغيرهما**(٢).

رابعا: **ينبغي أن نشير إلى أن علماء البلاغة اتفقوا على أن مقتضى الأصل في ضميري الخطاب والتكلم أن يكونا لمعين معلوم، لكن قد يخرج الضمير إلى غير معين، أي: كل من يتأتى منه الخطاب ؛ تنبيها على أن الأمر شائع معروف، أو يخرج إلى غير معين لكل من يتأتى منه التكلم ؛ تنبيهًا على أن الأمر بدهي من شأن الناس كلهم، وبناء على هذا العدول -أي: عن الأصل- في الضمير ليكون أبلغ في المدح بأن عطاء الممدوح يترك الناس بلا أمل ؛ لاستدامة غنائهم، وأنه ليس وحده الذي اختص بهذا، بل شاع فضله على الناس كلهم ، وأن ما ذكره عن نفسه للتجربة المعاشة فقط، وهذا غير محصور فيه، وعليه فالتذييل جاري مجرى المثل؛ بناء على هذا العموم المستفاد من الضمير ، وهذا وجه وجيه في حمل التذييل عليه، ويبقى وجه آخر في حمل التذييل في البيت على أنه جاري مجرى المثل من غير تأويل للضمير بالعموم ، وهو سريان المثل وزيوعه، وشهرته في الآفاق وربوعه، فصار غير خاص**

---

(١) ينظر: الإيضاح(٣/٢٠٧)، والطراز (٣/٦٢)، وجواهر البلاغة(٢٠٥)، وعلم المعاني-لعتيق(١٩٩)، والبلاغة العربية(٢/٨٦).

(٢) ينظر: تحرير التحبير(٣٩٠، وما بعدها)، وشرح شواهد الإيضاح - للخوارزمي(٥٩)، وخزانة الأدب(١/٢٤٣)، وحلية العقد البديع(١٠٠)، والعقد البديع(٤٢).

بالشاعر ، بل في كل ما يقابله من موقف صح فيه هذا ، **والتذييل في البيت جاري مجرى المثل على أحد الوجهين**.

خلاصة القول: أما ما ذهب إليه ابن معصوم في أنه تابع الخطيب ، وخطأ وغلّط من قال بأن التذييل في البيت جاري مجرى المثل ، فقد بنى كلامه واعتراضه على أصل القاعدة ، وهي أن الأصل في الضمير أن يكون لمعين ، وابن معصوم له مندوحة في ذلك أو له وجهه وعذره فيما ذهب إليه؛ لأن الكلام على أصل القاعدة – وهو أن الضمير لمعين معلوم، وهو الممدوح– يكون مرتبطًا بما قبله بالضمير في (تركتني)، كما يفهم منه أن جملة (أصحب الدنيا بلا أمل) لا تعطي دلالة المدح إلا إذا ربطت بعطاء الممدوح ، وأنه حقق له كل ما يتمناه...وأن الاقتصار على الشطر الأول فيه قصور ، وأنه لا دلالة فيه على المدح، وهذا كله يفهم من ظاهر البيت، ويبرر لابن معصوم ما ذهب إليه، ويجعل له العذر في ذلك، **كما أنه بني تخطئته لابن أبي الإصبع** على أنه لم يشتهر ويصير مثلا سائرًا.

المطلب الثاني: :(موقف ابن معصوم من الطيبي في التبيان) في باب التتميم[1].

ذكر ابن معصوم المدني في أثناء حديثه عن التتميم[2]، أنه قد يؤتى به

---

(١) ينظر التمام أو التتميم في: البديع لابن المعتز (٥٩) ،وكتاب الصناعتين(٤٠٤)،وإعجاز القرآن(١٠٧)، ومواد البيان(٢٩٣)، والعمدة(٢/ ٥٠)، وتحرير التحبير(١٢٧)، وبديع القرآن(٤٥)، ونهاية الأرب(٧/ ١١٨)،والإيضاح(٢/ ١٤٥)، وشرح الكافية(١١٩) وشرح عقود الجمان(٧٤).

(٢) وهو عبارة عن الإتيان في الكلام نظمًا كان أو نثرًا بكلمة أو جملة إذا طرحت منه نقص حسنه ومعناه، أو هو أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة، ==

لإقامة الوزن، بحيث لو طرحت الكلمة التي قصد بها التتميم، لم ينقص معنى البيت، بل استقل بدونها، ويسمى حشوا، وهو على ضربين: ضرب لا يفيد إلا إقامة الوزن فحسب وهو حشو قبيح معيب، وضرب يفيد مع ذلك نوعًا من المحاسن، فإن حذاق الشعراء إذا اضطروا إلى الكلمة لإقامة الوزن، أفادوا بها لطيفة زائدة تفاديًا من أن تكون لمجرد الوزن، فتعد حشوا قبيحا، وهذا الضرب يسميه بعضهم حشو اللوزينج(١).

فالأول كقول بعضهم: [مجزوء الوافر]

ذَكَرتُ أخِي فَعَاوَدَنِي صُدَاعُ الرَّأسِ وَالوَصَبِ(٢)

فذكر الرأس حشو قبيح ؛ لأن الصداع لا يكون إلا في الرأس.

وعد منه الطيبي في التبيان قول البحتري: **[البسيط]**

إِذَا نَضَونَ شُفُوفَ الرَّيطِ آونَةً قَشَرنَ عَن لُؤلُؤ البَحرَينِ أصدَافَا(٣)

==

مثل المفعول أو الحال أو الجار والمجرور، ونحو ذلك مما ليس بجملة مستقلة، ولا ركن من أركان الكلام، وذلك لإفادة نكتة بلاغية. ينظر: تحرير التحبير(١١٧)، والإيضاح(٢١٢/٣)، وعروس الأفراح(٦١٣/١)، وأنوار الربيع(٥٢/٣).

(١) ينظر: الفتح المبين= شرح البديعية الكبرى – للباعونية(٧٦/١)، وأنوار الربيع(٥٢/٣).

(٢) البيت لأبي العيال الهذلي في ديوان الهذليين(٢/ ٢٤٢)، وكتاب الصناعتين(٤١، ١١٣)، والعمدة (٢/ ٧٢)، والتبيان:(٢١٩)، ودون عزْوٍ في المصباح(٢١٢)، والإيضاح(٢/ ١١٥)، ومعاهد التنصيص(١/ ٣٢٦).

(٣) ديوان البحتري(٣/ ١٣٨٠)، وينظر: الموازنة بين أبي تمام والبحتري(١١٩/٢)، والمنصف للسارق والمسروق(١٠٨)، زهر الآداب وثمر الألباب – لإبراهيم بن علي

==

قال: شبه أجسادهن إذا خلعن ثيابهن بلؤلؤ قشر عنه الصدف، فتم معنى البيت ولم يتم وزنه، فجاء بذكر "البحرين" حشوًا مستهجنًا . انتهى كلامه(١).

واعترض ابن معصوم على الطيبي بقوله: وليس في محله، ثم علل لذلك فقال: بل في ذكر "البحرين" معنى زائد، فإنه أفاد به تشبيه أجسادهن بأعلى أنواع اللؤلؤ وأغلاها؛ لأن لؤلؤ البحرين لا يدانيه شيء من اللآلئ التي تستخرج من سائر البحور في حسنه وصفائه ورونقه، نعم لو كان اللؤلؤ منحصرًا في لؤلؤ البحرين لتوجه ما ذكره؛ وليس كذلك؛ بل اللؤلؤ يستخرج من بحر الهند، وبحر اليمن وغيرهما، لكن ليس شيء منه في الحسن كلؤلؤ البحرين، فذكر البحرين في البيت من التتميم الحسن البديع(٢).

التعليق:

أولا: **الواضح من اعتراض ابن معصوم على الشيخ الطيبي، أنه يمتلك حاسة بيانية وذوقية تمكنه من هذا النقد، وبالخصوص على أئمة لهم ثقلهم في هذا المجال، فالشيخ الطيبي يصور لنا جمال هذه المرأة في لين عودها ، ونضارة وجهها، وجمال قوامها باللؤلؤ الأبيض الناصع، لكنه في شرحه علق على بيت**

==

القيرواني تـــ٤٥٣هـــ (٧٨٤/٣) دار الجيل – بيروت– لاط– من دون، نضون : كشفن. الديوان(١١٨٠/٣)، والشفوف: جمع الشف ، وهو الثوب الرقيق[جمهرة اللغة: ١٣٨/١–شف]، والريط: الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ونسجًا واحدًا.[الصحاح:١١٢٨/٣–ريط]، والبحرين: اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان، والتي تعرف بإمارة البحرين.[معجم البلدان: ٣٤٧/١–البحرين].

(١) ينظر: التبيان– للطيبي(٢١٩).

(٢) ينظر: أنوار الربيع(٥٥/٣).

البحتري، وذكر أن لفظة(البحرين) حشو مستهجن، وهذا ما جعل ابن معصوم المدني يعترض عليه، ويبين أن كلمة (البحرين) ليست حشوا مستهجنا، بل هي من التتميم الحسن، وعلل لذلك،

ثانيا: **ثم وجه ابن معصوم اعتراض الطيبي بأنه يكون صوابًا لو كان اللؤلؤ منحصرًا في لؤلؤ البحرين، وهذا غير صحيح.**

ثالثا: خلاصة القول: **وعليه فالاعتراض على الطيبي اعتراض وجيه ؛ لأن هناك إجماعا على حسن لؤلؤ البحرين، ونفاسته وشفافيته دون غيره(١)، ومن هنا تستكمل هذه الصورة ، ويتكامل هذا الوجه بهذا التتميم الحسن البديع.**

رابعا: **أما ما ذهب إليه الطيبي ، فقد بنى رأيه في البيت على أن لؤلؤ البحرين كغيره ، وليس له ميزة تفضله ؛ ولذلك فهو يرى أنه لا فائدة من تخصيصه بهذا المكان، وهذا ما أخذ عليه.**

---

(١) ينظر ما يؤيد ذلك: رحلة السيرافي(٩٠)، وسفر نامة(١٤٤)، ومعجم ما استعجم(٣٢٣/١)، وتاريخ ابن خلدون(١٢٠/٤) ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس:أ/ خليل شحادة – مراجعة: د/ سهيل زكار– دار الفكر – بيروت – ط٢– ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م،وصبح الأعشى(١٠٦/٢)، والمفصل في تاريخ العرب(١٩٢/١، ٢١٥/٢، ٢٠٨/١٤).

المطلب الثالث: :(موقفه من أصحاب الشروح وغيرهم في باب التورية[1].

وقد استطاع ابن معصوم المدني أن يأخذنا بلبه في أثناء حديثه عن التورية المجردة إلى نقطة مهمة أثارت خلافًا بين العلماء، مما جعله يرجح ما يراه أقرب إلى الصواب من وجهة نظره، وهذا ما سنوضحه في أثناء مناقشة هذا الاعتراض، قال ابن معصوم:

وعد الصلاح الصفدي من هذا النوع _وتبعه ابن حجة_ قول القاضي عياض[2]:[البسيط]

كَأنَّ كَانُونَ أهدَى مِن مَلَابِسِهِ لِشَهر تَمُّوزَ أنوَاعًا مِنَ الحُلَلِ

---

(١) يسمى – أيضا – الإيهام والتخييل ، ينظر فى العمدة (٣١١/١) ، ومفتاح العلوم (٢٣٣)،والمثل السائر(٧٦/٣) المغالطات المعنوية " ، وتحرير التحبير(٢٦٨)، وبديع القرآن(١٠٢)، والمصباح(٢٦٠)، ونهاية الأرب (١٣١/٧)، والإيضاح(٢٤/٤)، وشرح الكافية(١٣٥)، وكشف اللثام عن التورية والاستخدام (١٥٥، وما بعدها) ، وشرح عقود الجمان(١١٢) وشرح البديعية الصغرى : ١٠٦ ، ومعجم مطلوب : ٣٨٣/٢ .

(٢) عياض بن موسى بن عياض بن عمرو، أبو الفضل اليحصبى السبتى الأندلسى (٤٧٦ – ٥٤٤ هـ) أديب لغوى نحوى شاعر، محدث نسابة، ولى قضاء سبتة مدة طويلة ثم قضاء غرناطة، مات مسموما بمراكش. وهو صاحب كتاب "الشفا بتعريف حقوق المصطفى ". ينظر: وفيات الأعيان: ٣/ ٤٨٣ ، والنجوم الزاهرة: ٥/ ٢٨٥

أو الغَزَالة مِن طُولِ المَدَى خَرَفَت فَمَا تَفرقَ بَينَ الجَدي وَالحَملِ[١]

يعني كأن الشمس من كبرها وطول مدتها صارت خرفة قليلة العقل فنزلت في برج الجدي في أوان الحلول ببرج الحمل، والشاهد في الغزالة, فإنه لم يذكر معها شيء من لوازم الغزالة الوحشية, وهو المورى به كطول العنق, وحسن الالتفات, وسرعة النفور, وسواد العين، ولا شيء من لوازم الغزالة الشمسية, كالإشراق؛ والطلوع, والأفول.

قال: وليس القائل أن يقول: إن الغزالة قد ترشحت بالجدي والحمل, وهي مرشحة لهما, لأنا نشترط في لوازم التورية أن لا يكون لفظا مشتركا, والغزالة هنا مشتركة, وكذا الجدي والحمل فإنهما يطلقان على الحيوان المعروف, وعلى بعض البروج. انتهى بالمعنى[٢]. والذي مشى عليه الخطيب في الإيضاح[٣], والعلامة التفتازاني في المطول أنها من المرشحة.

---

(١) البيتان فى تحرير التحبير(٢٦٩،وما بعدها)، والمصباح(٢٦٠) ، والإيضاح(٤/ ٢٦)، والمطول (٦٥٢)، وفض الختام(١٦٣) وكشف اللثام: ١٥٥ ، وفى بعضها: " أشهر " محل " كأن "، و " نيسان " محل " كانون "، و " خمائله " محل " ملابسه "، و " كانون " أو " تموز " محل " نيسان "، و " أم " محل " أو ".

(٢) ينظر: فض الختام عن التورية والاستخدام(١٦٣)، وكشف اللثام: (١٥٥، وما بعدها)، والمصباح(٢٦٠) .

(٣) ينظر: الإيضاح ضمن البغية(٥٩٦/٤).

قال في المطول: أراد بالغزالة معناها البعيد, أعني: الشمس, وقد قرن بها ما يلائم المعنى القريب الذي ليس بمراد, أعني: الرشأ, حيث ذكر الخرافة ، وكذا ذكر الجدي، والحمل. انتهى(١).

وقد يقال: إنه فسر الخرافة بقلة العقل وهي لا تناسب الرشأ؛ لأنه لا عقل له(٢), ويجاب بأن المراد به قلة الإدراك، لا يقال: الغزالة بالتاء مخصوصة بالشمس, ولا يقال لأنثى الغزال: غزالة, بل ظبية, كما نص عليه اللغويون(٣) فلا تصح التورية فيها؛ لأنا نقول: لم يثبت إجماع اللغويين على ذلك, بل حكى بعض الثقات منهم أنه يقال لأنثى الغزال: غزالة، قال أبو حاتم وهو أعلم اللغويين وأضبطهم بلا خلف: ولد الظبية أو ما يولد فهو طلا, ثم هو غزال والأنثى غزالة(٤)، وقال ابن السيد: الغزال: ابن الظبي إلى أن يقوى ويطلع قرناه, والجمع غزلة وغزلان, مثل غلمة وغلمان, والأنثى غزالة(٥).

تنبيه, قال بعض علماء هذا الفن: إذا أتيت في التورية بلازم لكل من المعنيين فتكافئا ولم يترجح أحدهما على الآخر ، فكأنك لم تذكر شيئًا من اللازمين, وصار المعنى القريب والمعنى البعيد بذلك في درجة واحدة ، فتلحق هذه التورية بالمجردة, وتعد منها قسمًا ثانيًا وتصير مجردة بهذا الاعتبار(٦).

---

(١) ينظر: المطول (٦٥٢).

(٢) ينظر: حاشية الدسوقي على المختصر(٥٢/٤).

(٣) ينظر: الكشكول(٢٤٧/١).

(٤) ينظر: المصباح المنير (٤٤٦/٢).

(٥)ينظر:الصحاح(١٧٨١/٥)،والمحكم والمحيط الأعظم(٤٤٥/٥)،والقاموس المحيط(١٠٣٨).

(٦) وذلك كقول ابن الوردي:**قالت إذا كنت تهوى ... وصلي وتخشى نفوري**

==

التعليق:

أولا: **اختلفت وجهة نظر العلماء في توجيه التورية في هذين البيتين، فذهب الخطيب[١] ، والسعد[٢]، والسبكي[٣]، والعصام[٤]، والدسوقي[٥]، إلى أن التورية في لفظ (الغزالة) مرشحة؛ لأنها قرنت بما يلائم المعنى القريب، وهو قوله:(خرفت، والجدي، والحمل).**

ثانيا: **ووافق الصفدي فيما ذهب إليه بأن التورية في البيتين في قوله:(الغزالة) مجردة؛ ابن مالك[٦]، والبكره جي[٧]، والخوري بولس[٨]، وغيرهم[٩]، والسبب في ذلك: عدم ذكر شيء قبلها ولا بعدها من لوازم الموري**

==

صف ورد خدي وإلا ... أجور ناديت جوري

فقوله: ورد خدي, يلائم أن يراد بقوله: جوري, اسم نوع من الورد, وهو المعنى الموري وهو المقصود، وقوله: وإلا أجور يلائم لأن يراد به فعل الأمر المستند إلى ضمير الواحدة, وهو المعنى القريب. ينظر: أنوار الربيع(٥/٦-٩).

(١) ينظر: الإيضاح ضمن البغية(٤/٥٩٦).

(٢) ينظر: المطول(٦٥٢).

(٣) ينظر: عروس الأفراح(٢/٢٤٤).

(٤) ينظر: الأطول(٢/٣٩٧)

(٥) ينظر: وحاشية الدسوقي على المختصر(٤/ ٥٢، وما بعدها).

(٦) ينظر: المصباح(٢٦٠)، وذكر أن (الجدي والحمل) تورية مرشحة، وعلل لذلك بقوله: إن بينهما من الملاءمة ما يرشحهما إلى التورية...إلخ.

(٧) ينظر: حلية العقد البديع(٢١٣).

(٨) ينظر: العقد البديع(٨٧).

(٩) ينظر: علم البديع- لمحمود المراغي(٧٨)، وعلم البديع-لعتيق(١٢٧)، ودراسات

==

به، وأما ابن معصوم ، فجعلها ملحقة بالمجردة[1].

ثالثا: منهم من خالف هذا وذاك، وذهب إلى أن التورية في البيت مبينة، وعلل لذلك[2].

رابعا: من خلال التأمل في اختلاف العلماء حول هذين البيتين ، وأنهما من التورية (المجردة، أو ما يلحق بها، أو المرشحة، أو المبينة) **تبين أن التورية في هذين البيتين أقرب إلى المبينة**؛ إذ المعنى القريب للغزالة: الظبية، وللجدي: ولد المعز، وللحمل: ولد الضأن، والمعنى البعيد للغزالة: الشمس، وللجدي: برج الجدي، وهو برج البرد، وللحمل: برج الحمل، وهو برج الدفء، وقد ذكر في البيت الأول ما يلائم هذه المعاني البعيدة المورى عنها، وهو إهداء كانون من ملابسه لتموز ألوانًا من الحلل، ومعنى البيتين: أن هذا صيف بارد، وكأن برودته ترجع إلى أن شهر كانون الواقع في زمن البَرْد قد أهدَى لشهر تموز الواقع في زمن الصيف ألوانًا من البرد والسقيع، أو أن الشمس قد خَرفت، فبَدل أن تنزل في برج الدفء وهو برج الحمل، نزلت في برج البرد وهو برج الجدي، وكأنها لم تستطع أن تفرق بين البرجين؛ لتخريفها.

خامسا: وأما ما ذهب إليه الصفدي ومن تبعه بأن التورية في لفظ (الغزالة) مجردة؛ لأنه لم يذكر معها شيء من لوازم الغزالة الوحشية...إلخ، **فمحل نظر**، وهو أن الخرف وما ينتج عنه من عدم التفريق بين شيء وآخر ليس خاصا بالإنسان ، بل يتعداه إلى كل ما يدرك من حيوان أو غيره ، ومن ثم

==

منهجية في علم البديع(١٣٠).

(١) ينظر: أنوار الربيع(٥/ ٨).

(٢) ينظر: علم البديع- بسيوني فيود(١٧٨، وما بعدها).

يكون قد ذكر ما يناسب الغزالة الوحشية من ذهاب العقل جعلها لا تفرق بين أنواع الحيوانات.

سادسا: وأما ما ذهب إليه الخطيب ، والسعد، وغيرهما من الشراح، بأن التورية في لفظ (الغزالة) مرشحة؛ فلأنه ذكر بعدها ما يلائم المعنى القريب، وهو(خرفت، والجدي والحمل)، **ففيه نظر**، وهو أن من شرط الترشيح أن تكون دلالته على المعنى القريب صريحة لا تحتمل الاشتراك، والجدي والحمل مشتركان بين الحيوانين المعروفين، والبرجين الفلكيين، فدلالتهما غير صريحة، وقد علق د/ بسيوني فيود على ذلك بقوله: إن هذا ليس برأي؛ لأن المعنى قائم على التصوير والتخييل ، فإسناد خرفت إلى الغزالة استعارة تخييلية...إلخ(١).

سابعا: وأما ما قاله العصام بأن كلا من التوريتين مرشحة للأخرى، فالأولى: ترشيحها واقع بعدها، والثانية: ترشيحها واقع قبلها، فهذا- أيضا- محل نظر؛ وذلك لأن ملائم المعنى ولوازم التورية يشترط فيها ألا تكون ألفاظًا مشتركة، و(الغزالة، والجدي، والحمل)ألفاظا مشتركة بين المعنيين المذكورين لكل منهما.

ثامنا: وأما ابن معصوم المدني ، فقد وسع الدائرة وجعلها قسما آخرا ملحقًا بالمجردة، وعلل لذلك بقوله: إذا أتيت في التورية بلازم لكل من المعنيين، فتكافئا ولم يترجح أحدهما على الآخر ، فكأنك لم تذكر شيئاً من اللازمين... فتلحق هذه التورية بالمجردة, وتعد منها قسمًا ثانيًا...، ومثل قوله هذا ينطبق على قول البحتري: **[الكامل]**

---

(١) ينظر: علم البديع- بسيوني فيود(١٧٨، وما بعدها)، ودراسات منهجية في علم البديع(١٣٠)..

وَوَرَاء تَسدِية الوشَاحِ مَليـة بِالحُسنِ تَملحُ فِي العُيـونِ وَتَعذُب[1]

فإن الملائمين في هذا البيت لمعنيي(تملح) هما: ملية الحسن، وهو ملائم للمعنى البعيد الذي هو الملاحة، و(تعذب) وهو ملائم للمعنى القريب الذي هو الملوحة، وكلاهما متعارضان متكافآن لا يرجح أحدهما على الآخر[2].

خلاصة القول: **وعليه فابن معصوم في عرضه لرأي الصفدي ، وذكره لرأي الخطيب والسعد، ومناقشته لهم، أعمل فكره في فهم البيتين ، وجعلهما قسما آخرا يلحق بالمجردة، ودلل على ما قاله بما ذكرناه سالفا، وهذا قريب من الصواب ، إلا أن كونها من المبينة أقرب وأرجح لما سبق.**

المطلب الرابع: :(موقفه من الصفي الحلي في باب الاستخدام[3].

(١) ديوانه : ٧٢/١ من قصيدة فى مدح إسحاق بن إبراهيم المصعبى، وفيه : " القلوب " محل " العيون " ، وخزانة الأدب: (٢٤٦/٢). وقد أراد " الملاحة " ولم يرد " الملوحة " ، وورى بـ " تعذب " عن ذلك .

(٢) ينظر: ينظر: العقد البديع(٨٧).

(٣) ينظر (الاستخدام) في: البديع في نقد الشعر (٨٢) , وتحرير التحبير (٢٧٥) , وبديع القرآن (١٠٤) , وحسن التوسل (٢٦٧) , ونهاية الأرب (٧/ ١٤٣) , والإيضاح (٦/ ٤١) , وشرح الكافية (٢٩٦) , وفض الختام عن التورية والاستخدام – للصفدي ت ٧٦٤هـ (١٧٩) دراسة وتحقيق: د / المحمدي عبد العزيز الحناوي – القاهرة – دار الطباعة المحمدية بالأزهر – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م , وعروس الأفراح (١/ ١١٥), والمطول (٦٥٣) , والخزانة (١/ ١١٩) , والإتقان في علوم القرآن (٣/ ٢١٥) , وشرح عقود الجمان (١١٦) , وشرح البديعية الكبرى – للباعونية (١٠١) .

أشار ابن معصوم إلى هذا الاعتراض في أثناء شرحه ذكره لكلام الصفي الحلي ، وهو: قال الشيخ صفي الدين في شرح بديعيته: وهذا – يعني الاستخدام – نوع عزيز الوقوع معتاص على الناظم شديد الالتباس بالتورية، قلما تكلفه بليغ وصح معه بشروطه لصعوبته وقلة انقياده وميله إلى جانب التورية؛ ولذلك لم يرد منه في أمثلة كتب المؤلفين سوى بيتين، وفي كل منهما نظر،أحدهما قول البحتري: [الكامل]

فسَقَى الغَضَا وَالسَّاكِنِيْهِ، وَإِنْ هُمُ شَبُّوْهُ بَيْنَ جَوَانِحِي وَضُلُوعِي[1]

والنظر في اشتراك لفظة الغضا، فإن علماء البديع اشترطوا أن يكون اشتراك لفظة الاستخدام اشتراكاً أصلياً، والاشتراك في لفظة الغضا ليس بأصلي، ولكن أحد المعنيين منقول من الآخر؛ لأن الغضا في الحقيقة هو الشجر، وسمي وادي الغضا لكثرة نبته فيه، وسمي جمر الغضا لقوة ناره [2]، فكلاهما منقول من أصل واحد، وأما البيت الآخر، فقول المعري: [الخفيف]

وفقيهًا أفكارهُ شِدْنَ للنّعما نِ مَا لَمْ يَشِدْهُ شِعْرُ زِيَادِ[3]

---

(١) ديوان البحتري (١/ ٢٤٦) من قصيدة في مدح إسحاق بن إسماعيل بن نونجت، وفيه: " والنازلية " محل " والساكنية "، " وسقى" محل " فسقى "، وينظر: الخزانة (١/ ١٢٠) , وشرح البديعية الكبرى – للباعونية (١٠٣) , وأنوار الربيع (١/ ٣٠٩)، وشبُّوه، أي: أوقدوه، أي: أوقدوا مثل ناره , وهي نار الحطب. [معجم العين: ٦/ ٢٢٣ – شب].

(٢) ينظر: [لسان العرب: ٥/ ٣٢٦٩ – غضا].

(٣) السقط وضوءه: ٣٣٩، والشروح(٣/ ٩٨٦) وينظر :شرح عقود الجمان(١١٧)، والبديعية الكبرى(١٠٤/٢).

وهذا بيت من مرثية له في فقيه حنفي والنعمان اسم أبي حنيفة، وزياد هو النابغة وكان يمدح النعمان بن المنذر، فالمراد بالبيت أن ألفاظ هذا الفقيه شادت لأبي حنيفة من حسن الذكر ما لم يشده شعر زياد للنعمان بن المنذر. والنظر الذي فيه من حيث أن من شروط الضمير في الاستخدام أن يكون عائداً إلى اللفظة المشتركة ليستخدم به معناها الآخر، كما قال البحتري: شبوه ، والضمير عائد إلى الغضا، وهذا جعل الضمير في يشده عائداً إلى لفظة ما، وهي نكرة موصوفة، فيبقى طيب الذكر الذي لم يشده شعر زياد لا يعلم لمن هو؛ لأن الضمير لا يعود إلى النعمان، ويمكن الاعتذار له على تأويل النجاة وهو بعيد. انتهى كلام الصفي(١).

ثم اعترض عليه ابن معصوم بقوله: وأراد بالتأويل أن يقال: إن التقدير، ما لم يشده له، فيعود الضمير على النعمان بهذا التقدير، ووجه بعده عدم وجود هذا الضمير في اللفظ ، **وفي كل من هذين النظرين اللذين أوردهما على البيتين بحث**.

أما نظره الأول في بيت البحتري، فإنما يتوجه أن لو أراد الناظم بالغضا وادي الغضا ، فحذف المضاف واكتفى بالمضاف إليه، وليس كذلك، بل لفظتا الغضا وحدهما اسم لمكانين، قال في القاموس: والغضا أرض لبني كلاب وواد بنجد(٢)، فيكون الغضا علمًا لكل من هذين المكانين، ولو كان الاسم وادي الغضا لقال: وادي الغضا بأرض بني كلاب وواد بنجد، فصح أن الغضا مشترك بين الشجر وبين كونه علمًا لكل واحد من هذين المكانين اشتراكًا أصليًا، لا يقال:

---

(١) ينظر: شرح الكافية (٢٩٧-٢٩٨).

(٢) ينظر: القاموس المحيط (١٣١٨/١)

لعله إنما سمي هذان المكانان بالغضا لكثرة نبت الغضا فيهما مبالغة؛ لأنا نقول: هذا يحتاج إلى إثبات أن الواضع إنما سمي هذين المكانين بهذا الاسم لهذا السبب ودون ذلك خرط القتاد، ولغة العرب وسيعة، والألفاظ المشتركة فيها كثيرة، فمن أين لنا القطع بذلك واللغة لا تثبت بالعقل؟ **وأما النظر الثاني الذي أورده على بيت المعري** ، فإنما يتوجه على كونه من الاستخدام الذي هو طريقة صاحب الإيضاح، وأما إذا جعلناه على طريقة صاحب المصباح ، فلا لأنه لم يشترط عود الضمير على لفظة الاستخدام، فيكون لفظة فقيه في البيت يخدم لفظة النعمان الذي هو أبو حنيفة، وشعر زياد يخدم النعمان الذي هو ممدوحه ، وهو النعمان بن المنذر، فصح كونه استخدامًا على هذه الطريقة دون الأولى ، فاعلم ذلك والله أعلم[١].

(١) ينظر: أنوار الربيع (١/٣٠٩-٣١١).

التعليق:

في بداية الحديث عن هذا الاعتراض ، نشير إلى أن هناك من وافق الصفي، وهناك من خالفه، ثم نعرج إلى شروح التلخيص في توضيح البيت، وهل كانت نظرتهم أوسع أم لا؟

أولا: **من وافق الصفي**، من خلال التتبع والاستقراء ، نجد أن ابن حجة الحموي وافق الصفي في البيت الأول بقوله: **والشيخ صفي الدين –رحمه الله- لم يستطرد، في شرح بديعيته، إلى غاية ذلك ولكن رأيته في شرحه، قد أورد على بيت البحتري نقدًا حسنًا ليس فيه تحمل ولا إشكال**[1].

وقال في كشف اللثام: وقد أورد بعض علماء هذا الفن على هذا الشاهد نقدا حسنا، وقال: المراد من اشتراك لفظة الاستخدام أن يكون أصليا...إلخ[2].

ثانيا: وقد صار على نهجه البكره جي ، حيث ذكر كلام ابن حجة بقوله: فائدة...وعلق على البيتين ناقلا كلامه، ثم ختم كلامه بقوله: لكن قد علمت مما نقلناه عن ابن حجة نقلا عن الصفي الحلي في شرحه، أنه لابد أن يكون اشتراك لفظة الاستخدام اشتراكا أصليًا ، وهذا ليس بأصلي فتدبر[3].

ثالثا: **من خالفه**: أما من وافق ابن معصوم ، وخالف الصفي ، فهو الخوري عواد، حيث قال معلقا على كلام الحموي: قلت لي في هذا النقد نظر، وهو أنه ليس أحد معنيي الغضا في البيت منقولا من الآخر، بل كلاهما منقول

---

(١) ينظر: خزانة الأدب (١/١٢٠، ١٢١).

(٢) ينظر: كشف اللثام (١٦٥).

(٣) ينظر: حلية العقد البديع (٥٧، ٥٨).

من أصل آخر ، وهو شجر الغضا، كما لا يخفى...إلخ[١].

***رابعا*: موقف أصحاب شروح التلخيص**:

-**قال السعد في تعليقه**:أراد بأحد الضميرين الراجع إلى (الغضا)، وهو المجرور في الساكنيه ، المكان الذي فيه شجر الغضا، وبالآخر: وهو المنصوب في شبوه، النار...إلخ[٢].

-**وقال السبكي بعد توضيحه للشاهد**: ولك أن تقول – أيضا -:الضمير الثاني لا يعود على الشجر الذي ادعيتم أنه أحد معنيي الغضا، مرادا به الحقيقة، بل يعود على الغضا مرادا به معناه المجازى، وهو نار الشوق؛ لأنه لا يقال: إن الشوق أحد معنيي الغضا، فليتأمل[٣].

-**وقال المغربي**: فقد صدق أنه أطلق (الغضا) على معنى هو الشجر، ثم أعاد عليه الضمير بمعنى: المكان مجازا، ثم أعاد عليه آخر بمعنى: النار مجازا-أيضا- لأنها يتعلق بها الشب، ويصح أن يعود عليه الضمير بمعنى: المكان، ويراد بنفس اللفظ المكان أيضا...إلخ[٤].

-**وقال الدسوقي**: والحاصل: أنه ذكر (الغضا)أولا بمعنى: الشجر، وأعاد عليه الضمير أولا بمعنى: المكان النابت فيه، وأعاد عليه الضمير ثانيا بمعنى:

---

(١) ينظر: العقد البديع (٢٤).

(٢) ينظر: المطول (٦٥٤)، والتجريد للبناني (٣٣١/٢).

(٣) ينظر: عروس الأفراح (٣٤٧/٢)

(٤) ينظر: مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص (٣٢٨/٤، ٣٢٩) دار البيان العربي -بيروت-ط٤- ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

النار الموقدة فيه، وإطلاق الغضا على كل من المكان النابت فيه، والنار الموقدة فيه مجاز(١).

خامسا: أما البيت الثاني ، وهو بيت المعري، فقد صار فيه ابن معصوم على نهج من سبقه ،

كابن حجة ، والسيوطي، وغيرهما، فقد قال ابن حجة: ...وهذا يصح على طريقة ابن مالك(٢)، فإن فقيها يخدم أبا حنيفة، وشعر زياد يخدم النعمان بن المنذر، ولا يصح على مذهب صاحب الإيضاح(٣)؛ فإن ضمير (يشده) لم يعد على واحد منهما، لأن شرط الضمير في الاستخدام أن يكون عائدًا على اللفظة المشتركة، ليستخدم بها معناها الآخر...إلخ(٤)، وهذا ما أشار إليه السيوطي في عقود الجمان(٥).

فوسع ابن مالك ما ضيقه الخطيب القزويني؛ وذلك لأنه لم يشترط عود الضمير على لفظة الاستخدام، فصح ما ذهب إليه، وسقط اعتراض الصفي.

---

(١) ينظر: حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص(٣٢٨/٤).

(٢) وهى: أن " الاستخدام مشترك بين معنيين، ثم يأتي بلفظين يفهم من أحدهما أحد المعنيين، ومن الآخر المعنى الآخر، ثم إن اللفظين قد يكونان متأخرين عن اللفظ المشترك، وقد يكونان متقدمين، وقد يكون اللفظ المشترك متوسطا بينهما. سقط باب الاستخدام بأكمله من كتاب " المصباح " المطبوع. وينظر شرح الكافية(٢٩٦) ، والتوصل بالبديع (٣٥٠) ، ونفحات الأزهار(٧٩)

(٣) وهو أن يراد بلفظ له معنيان أحدهما، ثم بضميره معناه الآخر، أو يراد بأحد ضميريه أحدهما، وبالآخر الآخر .**ينظر:** التلخيص (٣٦٠)، والإيضاح(٢٨/٤).

(٤) ينظر: خزانة الأدب(١٢١/١).

(٥) ينظر: عقود الجمان (١١٧).

خلاصة القول: مما سبق يتضح أن ابن معصوم ، وإن كان مصيبا في رده على الصفي ؛ وذلك لأنه وجه كلامه مدعما ما قاله بما يؤيده، حيث قال: والاشتراك في (الغضا) اشتراكا أصليا؛ لأنها اسم لمكانين ... فضلا عن أنه في توجيهه استخدم جانب الافتراض، حيث قال: لا يقال: لعله إنما سمي هذان المكانان بالغضا ؛ لكثرة نبت الغضا فيهما مبالغة، **لأنا نقول:** هذا يحتاج إلى إثبات أن الواضع إنما سمي هذين المكانين بهذا الاسم لهذا السبب، ودون ذلك خرط القتاد، ولغة العرب وسيعة...إلخ[١].

إلا أن ما ذهب إليه شراح التلخيص – وخلاصته هو : أن الكلام يتناول ما كان فيه المعنيان المرادان معا باعتبار اللفظين حقيقتين، وما كان فيه معا مجازين ، وما كان فيه أحدهما حقيقة ، والآخر مجازا، وكذا إذا كان له معان متعددة ، يجوز أن يطلق على أحدهما حقيقة ، أو مجازا، ويعود على اللفظ ضمائر بعدد معاني اللفظ حقيقة، أو مجازا، ويكون إعادة الضمائر كلها استخداما[٢]– **يخرجنا من دائرة الخلاف** ، ومن نظرة الخطيب الضيقة، وهذا ما جعل صاحب العقد البديع يقول: فالصحيح ما ذكره شارح التلخيص من أن المراد بالمعنيين في هذا الباب أعم من أن يكونا حقيقين أو مجازيين ، أو مختلفين؛ لأن غاية القصد فيه تغاير المعنيين ، وهو حاصل بين المجازيين ، وبين المجازي والحقيقي ، كما لا يخفى فتأمل[٣].

---

(١) ينظر: أنوار الربيع (٣١٠/١).

(٢) ينظر: مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص (٣٢٧/٤)، والأطول – للعصام(٤٠٠/٢)، وحاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص(٣٢٧/٤).

(٣) ينظر: العقد البديع (٢٥).

بالإضافة إلى التوسع الذي ذكره الشيخ عبدالحكيم ، وهو يتعقب السعد، وكأنه بهذا التعقيب يريد أن يفتح آفاقا أخرى في هذا الباب تجعله أكثر اتساعا مما ذكره أصحاب الشروح، فتراه يعقب على السعد بقوله: (قوله: أي: بالضمير الراجع...) فالضمير مستعمل في معنى آخر؛ لكونه عبارة عن المظهر، والضمير الغائب إنما يقتضي تقدم ذكر المرجع لا استعماله في معنى يراد بالمرجع، فلا يلزم استعمال اللفظ في المعنيين ، ولا الجمع بين الحقيقة والمجاز، إذا أريد بالضمير المعنى المجازي على ما وهم؛ قال الشربيني: وذلك لأن هذا المعنى الثاني لم يرد من الأول، بل من لفظ ثان هو عين الأول عبر عنه بالضمير، فتدبر فإنه قد خفي على بعض الناظرين[1].

وعليه فما ذهب إليه أصحاب شروح التلخيص، والشيخ عبدالحكيم ، هو الذي يجب أن نراعيه، ونسير عليه، حتى يتسع الباب، ونخرج من دائرة الخلاف.

المطلب الخامس: (موقفه من ابن حجة في باب المبالغة (الغلو).

أشار ابن معصوم إلى هذا الاعتراض في أثناء الحديث عن أنواع الغلو ، حيث قال: ومن الغلو المقبول, ما أخرج مخرج الهزل والخلاعة ، كقول أبي الشكر محمود بن سليمان بن سعيد الموصلي المعروف بابن المحتسب من قصيدة: [المنسرح]

أمُرُّ بِالكَرْمِ خَلْفَ حَائِطِهِ تَأخِذُنِي نَشْوَةٌ مِنَ الطَّرَبِ

(١) ينظر: حاشية عبدالحكيم ضمن فيض الفتاح(٢٧٧/٤).

أَسْكَرُ بالأَمْسِ إِنْ عَزَمْتُ عَلَى الشُّرْ ... بِ غَداً إِنَّ ذَا مِنَ الْعَجَبِ[١]

فإن السكر في الأمس للعزم على الشرب في الغد محال, لكنه مقبول لإخراجه مخرج الهزل والخلاعة, وذلك مما تميل إليه الطباع.

ثم اعترض على توجيه ابن حجة بقوله: وقول ابن الحجة : **إنه من الغلو الذي هو غير مقبول**, فقد نص على ما ذكرناه الخطيب في كتابه, وغيره من المحققين, فلا عبرة بقوله[٢].

التعليق:

أولا: **من يتأمل في هذا الاعتراض يجد أن جل البلاغيين- على حد علمي- اتفقت نظرتهم إلى هذا البيت بأنه من الغلو المقبول؛ لأنه أخرج مخرج الهزل والخلاعة ، كالخطيب[٣]،والسعد[٤]، والسبكي[٥]، والعصام[٦]، والشيخ عبدالحكيم**

---

(١) ينظر البيت في الإيضاح ضمن البغية(٦١٤/٤)، والدر الفريد وبيت القصيد (٣٦١/٣)ـ، وعروس الأفراح (٢٦٢/٢) الثاني فقط ، وخزانة الأدب(١٧/٢)، وأنوار الربيع(٢٤١/٤)

(٢) ينظر: أنوار الربيع(٢٤١/٤).

(٣) ينظر: الإيضاح ضمن البغية(٦١٤/٤).

(٤) ينظر: المطول(٦٦٧).

(٥) ينظر: عروس الأفراح(٢٦٢/٢).

(٦) ينظر: الأطول(٤٢٦/٢) وعلق العصام على البيت بقوله: أكد كونه من العجب مع أنه لا شبهة في كونه عجبا؛ لأنه حكم على الأمر المتحقق المشار إليه بقوله:(ذا) والحكم عليه بكونه من العجب مما ينكر لإنكار وجود ذلك الأمر، فافهم..

السيالكوتي[١] ، والمغربي[٢]، والدسوقي[٣]، والفسوي[٤]، وغيرهم[٥] .

ثانيا: **أما ما ذهب إليه ابن حجة في أن هذا البيت من الغلو غير المقبول ، فلم أقف على أحد- على حد علمي- وافقه في ذلك، فكلهم صاروا على نهج الخطيب ومن تبعه.**

ثالثا: **مما سبق يتبين أن ابن معصوم صار على نهج الخطيب ، وأصحاب شروح التلخيص في أن البيت خرج مخرج الخلاعة والهزل؛ لذا عد من الغلو المقبول؛ لاشتماله على معنى ممتنع عقلا وعادة ، وهو سكره بالأمس عند عزمه على الشرب في الغد؛ وذلك لما فيه من تقدم المعلول على علته، فإن الشرب علة في السكر، ومحال أن يحدث السكر قبل الشرب، فحق هذا المعنى أن يرفض، ولكنهم قبلوه لما فيه من قصد الهزل،أي: لمجرد تحسين المجالس والتضاحك على سبيل الخلاعة[٦]فزاد في الغلو مجرد العزم على الفعل.**

رابعا: **، إن ما يقال في لحظات السمر والمرح لا يقبل في لحظات أخرى، فهي لحظات النفس فيها تقبل غير المقبول، وتعقل غير المعقول، وبالتالي أتى**

---

(١) ينظر: حاشية عبدالحكيم ضمن فيض الفتاح للشربيني(٤/٢٩٠).

(٢) ينظر: مواهب الفتاح(٢/٥٥٥).

(٣) ينظر: حاشية الدسوقي على المختصر(٤/١٠٠).

(٤) ينظر: شرح شواهد المطول- للفسوي(١٦٣و)

(٥) ينظر: علم البديع- لفيود(٢٠٤)، وعلم البديع- لمحمود المراغي(٨٩).

(٦) أي: عدم مبالاته بقبيح ينهى عنه كان ذلك الغلو مقبولا؛ لأن ما يوجب التضاحك من المحال لا يعد صاحبه موصوفا بنقيصة الكذب عرفا...إلخ. حاشية الدسوقي(٤/١٠٠).

هذا البيت داخل هذا السياق (الهزل ، والخلاعة)، ولو خرج عن السياق هذا لقلنا: إنه مذموم غير مقبول.

خامسا: أيد ما سبق الشيخ عبدالحكيم السيالكوتي في تعليقه على كلام السعد بقوله: واعلم أن ما ذكره من المقبول والمردود بالنظر إلى البديع ، واعتبارات الشعراء، وأما بالنظر إلى البيان ، فالكل مقبول؛ لأنها ليست مجراة على معانيها الحقيقة ، بل كنايات أو مجازات مرسلة،_أو استعارة بالنظر إلى الموارد والأمثلة... وقوله: (أسكر بالأمس) لا امتناع من أن يقال: إنه مجاز عن سرعة سكره وولوعه وحرصه على الشرب، كذا أفاده بعض الناظرين ، **والأظهر أن يقال:** إن المقبول والمردود إنما هي بالنسبة إلى المعنى المطابقي لا بالنظر إلى ما هو المقصود، أعني: إدعاء كمال الوصف(١).

-**كما أيده المغربي بقوله:** والذي يظهر أن هذا تمثيل، فيكون كقولهم: زيد يقدم رجلا ويؤخر أخرى، إلا أن المشبه به هنا وهمي لا تحقيقي، فإن مدلول هذه الألفاظ ليس موجودا، بل متوهما، وليس من شرط التمثيل أن يكون المشبه به الذي استعير تحقيقا...وإذا تقرر ذلك اتجه لك منع كون هذا القسم غير مقبول ، فإن المبالغة كلما قويت ازداد القبول، كما أن الاستعارة كلما زيد فيها ازدادت حسنا(٢).

سادسا: أما بالنسبة لقول المصنف : أخرج مخرج الهزل مع أن الكلام نفس الهزل، فقد أجاب عن ذلك حفيد السعد بقوله: الهزل_أعم مما يكون من هذا الباب، وخروج الخاص مخرج العام بمعنى: مجيئه موصوفا بما في العام

---

(١) ينظر: حاشية عبدالحكيم ضمن فيض الفتاح للشربيني(٤/٢٩٠).

(٢) ينظر: مواهب الفتاح(٢/٥٥٥، وما بعدها).

لوجوده فيه صحيح[1].

سابعا: **أما ابن حجة في قوله: (إنه من الغلو الذي هو غير مقبول) ، فله مندوحة في ذلك** ، لعلها هي أن البيت خالف القانون الذي وضعه للغلو، وهو أنه يجب على ناظم الغلو أن يسبكه في قوالب التخيلات الحسنة، التي يدعو العقل إلى قبولها في أول وهلة، أو أن الهزل والخلاعة وغيرهما مما يوجب التضاحك، ويخل بالمروءات ، ليس وراءها نفع أو غرض صحيح، فعده من الغلو غير المقبول أجود،هذا من ناحية، **ومن ناحية أخرى وضحها المغربي** بقوله: ولك أن تقول : كون فعل الجواب ماضيا، وفعل الشرط مستقبلا أمر كما يمتنع عقلا يمتنع لغة، فينبغي أن يكون هذا التركيب حينئذ غير صحيح لغة، فلا يكون كلاما غريبا، فليس مما نحن فيه شيء، وليس هذا كقول القائل : سكرت أمس لشربي غدا، فإن هذا كلام عربي؛ إذ ليس فيه أمر لفظي مخالف للغة العرب فيه يحسن التمثيل لهذا[2].

خلاصة القول: وعليه فابن معصوم حالفه الصواب فيما ذهب إليه ، لكنه كعادته أغلظ القول في اعتراضه على ابن حجة مع أن له مندوحة في ذلك، وكان ينبغي على ابن معصوم أن يوجه كلامه ويضعفه ولا يغلظ عليه.

---

(١) ينظر: حاشية الحفيد على المختصر (٩٠و)، وتجريد البناني (٣٤٥/٢).

(٢) ينظر: مواهب الفتاح(٥٥٥/٢).

الخاتمة

تضمنت الصفحات السابقة من البحث رحلة طويلة وشاقة مع ابن معصوم في اعتراضاته البلاغية، ومناقشاته للسابقين في رؤيتهم البلاغية تنظيرا وتطبيقا ، قدمنا فيها العديد من النماذج البلاغية التي تكشف عن اعتراضات صاحبها في مجالات متعددة من الدرس البلاغي ، والبحث في علوم البلاغة الثلاثة بأبوابها المختلفة.

وفي سياق تلك الرحلة في صحبة علم من أعلام البلاغة الكبار ، وتحليل جانب مهم من جوانب فكره البلاغي ، أمكنني الوصول إلى عدة نتائج هامة، تجدر الإشارة إليها هنا ، ومنها:

- تنوع اعتراضات ابن معصوم على البلاغيين حيث تضمنت:

- دقة ابن معصوم في كثير من اعتراضاته ، حيث قامت على التحليل والاستنباط والتعليل ، مما جعلها أكثر وضوحا، وأكثر إقناعا للمتلقي.

- عدم دقة ابن معصوم في بعض اعتراضاته ، ومجانبته للصواب في بعض آرائه وأفكاره.

- حرص ابن معصوم على تقديم الأدلة والبراهين بين يدي اعتراضاته؛ للتأكيد على صواب رؤيته، وسلامة نظرته.

- وضوح الذوق الأدبي السليم لابن معصوم في اعتراضاته ، حيث لم يقم على الجانب التقعيدي فقط ، وإنما تضمنت تحليلات فنية بديعة تعكس ذوقه السليم في فهم الأشعار ، والشواهد المختلفة ، والوقوف على أسرارها.

- يعد ابن معصوم –باعتراضاته ومناقشاته وآرائه ونظراته وأفكاره ومصنفاته– واحدا من البلاغيين الكبار ، الذين أثروا الدرس البلاغي ، وأناروا

طريق البحث البلاغي ، أمام طلاب العربية بشكل عـــام، والمتخصصـــين فـــي البلاغة العربية بشكل خاص .

- الإشارة إلى أن اعتراضات ابن معصوم الغاية منها بيـــان وجـــه الحـــق والصواب.

- أفدت كثيرا من قراءتي لابن معصوم ، وتعلمت منه الكثير في مجـــالات عدة في البلاغة العربية ، وآمل أن يكون بحثي هذا دليلا على ذلك.

أسأل الله التوفيق والسداد ، وأدعو لابن معصوم بالرحمة والمغفرة ، بقدر ما أسدى من خدمات جليلة للقراء، وسداد فكره البلاغي، ونظراتـــه التحليليـــة الدقيقة.

الفهارس

١- فهرس الآيات القرآنية

اسم السورة	الآية
سورة المائدة	
﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾	٤٤
﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾	٥٤
سورة الإسراء	
﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾	٢٣
سورة الأحقاف	
:﴿قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾	٢٤

٢- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

نص الحديث
الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم

٣- فهرس الأشعار

مطلع البيت	قافيته	البحر	قائله
الباء			
الطاهر	النسب	المتنبي	البسيط
وسيرك فينا	عن كرب	ابن سناء الملك	الطويل
وما طربي	فأطرب	المتنبي	
فديناك	والغربا	المتنبي	الطويل
حليم إذا	مهيب	كعب بن سعدالغنوي	الطويل

تلك ماذية	نصيب	المعري	الخفيف
دمعي عليك	الصب	ابن نباتة	الكامل
ذكرت أخي	والوصب	دون عزو	مجزوء الوافر
ووراء	وتعذب	البحتري	الكامل
أمر بالكرم	الطرب	محمود بن سليمان	المنسرح
التاء			
ألا في سبيل	ثابت	ابن عبدون	الطويل
نفس عن	فتلت	ابن نباتة	البسيط
الجيم			
أغار	زجاج	كشاجم	الوافر
هضيم	ودملج	امرؤ القيس	الطويل
وقد أطفئوا	عجاج	ابن رشيق	الطويل
الدال			
رقم	مورده	ابن حجة	
لو كان	قعدوا	زهير	البسيط
إن كنت	المحمودا	أبو إسحاق الصابي	البسيط
وفقيها	زياد	المعري	الخفيف
الراء			
فلولا الريح	بالذكور	مهلهل بن ربيعة	الوافر
الزاي			
يامن	الجائزة	الحريري	مجزوء الكامل
السين			
منعم	أوس	ابن طباطبا	البسيط

الضاد			
أعن العقيق	أو مضا	أسعد بن مماتي	الكامل
العين			
فسقى الغضا	وضلوعي	البحتري	الكامل
تحية كسرى	أربع	المتنبي	الطويل
الفاء			
إذا نضون	أصدافا	البحتري	البسيط
القاف			
ويكاد	رفيق	ابن حمديس	الكامل
نهارهم	المحلق	المعري	
بليت	يعشقوه	ابن برغوث	الوافر
لا صلح	عاتقي	مختلف فيه	السريع
الميم			
أصح وأقوى	قديم	ابن رشيق	الطويل
فسعدا	ما	بشر بن أبي خازم	الرمل
أطلتها	يقم	الصفي	البسيط
قف بالديار	والديم	زهير	البسيط
فلا اعتراض	يعتصم	ابن حجة	البسيط
آدابه	العظم	ابن حجة	البسيط
إن كنت	هشام	حسان بن ثابت	البسيط
ومن يقل	ثما	دون عزو	
اللام			
ولقد رمت	كلا	المتنبي	الخفيف
لو لم	إقباله	المتنبي	الرجز

لا خيل	الحال	المتنبي	البسيط
هزت	عجل	المعري	
فاسقينها	لخل	تأبط شرا	المديد
وما بلغت	أطول	الخنساء	الطويل
وننكر	نقول	السموأل	الطويل
أليس قليلا	قليل	الحماسي	الطويل
وما مات	قتيل	السموأل	الطويل
وإنا لقوم	وسلول	الحماسي	الطويل
كم قال	المقل	صدر الدين بن الوكيل	الدوبيت
لم يبق	أمل	ابن نباتة	الكامل
كأن كانون	الحلل	القاضي عياض	البسيط
النون			
أغار	الحسين	المتنبي	الوافر
أيها المنكح	يلتقيان	عمر بن ربيعة	الخفيف
عقدت	لأمكنا	المتنبي	الكامل
فمالك تعني	سنان	المتنبي	الطويل
إن الثمانين	ترجمان	عوف الخزاعي	السريع
وليل كوجه	قرونه	مجهول	الطويل
وهو ردوا	إني	النابغة الذبياني	الوافر

٤- فهرس أنصاف الأبيات

أقبرونيا طلت ثراك يد الطل		الطويل
قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل	امرؤ القيس	الطويل

٥- ثبت المصادر والمراجع

- الإبانة عن سرقات المتنبي لفظًا ومعنى – لمحمد بن أحمد العميدي تـ٤٣٣هـ- تقديم وتحقيق وشرح: إبراهيم الدسوقي البساطي – دار المعارف – القاهرة – لا ط – ١٩٦١م.

- الإتقان في علوم القرآن-للسيوطي تـ٩١١هـ-تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم- الهيئة المصرية العامة للكتاب- لاط- ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

- أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين- لعبدالسلام الترمانيتي-الجزء الأول من سنة ١إلى ٢٥٠هـ، والمجلد الثاني من ١٣٢هـ- ٢٥٠ه- دار طلاس – دمشق.

- أسرار البلاغة – لعبد القاهر الجرجاني ت ٤٧١هـ – تحقيق: محمود محمد شاكر- جده- دار المدني- ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

- الأصمعيات- للأصمعي عبد الملك بن قريب – تحقيق: أحمد شاكر, وعبد السلام هارون- دار

المعارف بمصر- ط٥- من دون .

- الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم – لعصام الدين الإسفراييني ت٩٤٣هـ – حققه وعلق عليه: د/ عبد الحميد هنداوي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

- إعجاز القرآن – للباقلاني محمد بن الطيب ت ٤٠٣هـ – تحقيق: السيد أحمد صقر- القاهرة – دار المعارف – ط:٥ – ١٩٨١م.

- الأعلام – لخير الدين الزركلي تـ ١٣٩٦هـ- ط١٥ – دار العلم للملايين – ٢٠٠٢م.

- الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـــ نزهـــة الخـــواطر وبهجة المسامع والنواظر-لعبد الحي بن فخر الدين الطالبي – دار ابن حزم – بيروت، لبنان- ط١- ١٤٢٠هـــ- ١٩٩٩م

- الأغاني – لأبي الفرج الأصفهاني – تحقيق: سمير جـــابر – ط٢ – دار الفكر – بيروت

- إقامة الحجة على التقي ابن حجة- لأبي بكر بن عبدالرحمن الحضرمي- مطبعة نخبة الأخبار-١٣٠٥هـ.

- إنباه الرواة على أنباه النحاة – للقفطي علي بن يوسف ت٦٤٦هـــ – تحقيق: محمد أبو الفضـــل إبـــراهيم – القـــاهرة – دار الكتـــب المصـــرية – ١٣٧٤هـــ- ١٩٥٥م.

- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون- لإسماعيل بن محمد أمين البغدادي تـــ ١٣٩٩هـــ(٢٠/٤)عنى بتصحيحه وطبعه على نســـخة المؤلـــف: محمد شرف الدين -ورفعت الكليسى- دار إحياء التراث العربـــي، بيـــروت – لبنان.

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع – لمحمد بن علي بن محمـــد بن عبد الله الشوكاني اليمني تـــ١٢٥٠هـــ – دار المعرفة – بيروت – لا ط – من دون.

- بديع القرآن -لابن أبي الإصبع -تحقيق: د/ حفني شرف – القـــاهرة – نهضة مصر للطباعة – دار النشر- ١٣٧٧هـــ – ١٩٥٧م.

- البديع في نقد الشعر – لأسامة بن منقذ – تحقيق: د/ أحمد أحمد البدوي, د/ حامد عبدالمجيد , ومراجعة: إبراهيم مصطفى – طبعة البابي الحلبي وشركاه – مصر.

- بديعية "الفتح المبين في مدح الأمين" صلى الله عليه وسلم وشرحها للسيدة عائشة بنت يوسف بن أحمد، الباعونية – تحقيق ودراسة- رسالة ماجستير مقدمة من / عبد العزيز عبد السلام محمد مخلوف، القاهرة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر.

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة- لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي

تـ٩١١هـ- تحقيق: د/ محمد أبو الفضل إبراهيم – المكتبة العصرية – صيدا – لبنان- لا ط.

- البيان والتبيين- لعمرو بن بحر الجاحظ تـ ٢٥٥هـ-تحقيق / عبد السلام محمد هارون- بيروت- دار الجيل، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

- تاريخ ابن الوردي – لعمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي تـ٧٤٩هـ (٣٢٣/١) دار الكتب العلمية – بيروت – لا ط – ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

- تاريخ ابن خلدون= ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر- لعبدالرحمن بن محمد بن خلدون تـ٨٠٨هـ – ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس:أ/ خليل شحادة – مراجعة: د/ سهيل زكار- دار الفكر – بيروت – ط٢- ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

- تاريخ آداب اللغة العربية-لجرجي زيدان(٣/٣٠٦) راجعه وعلق عليه:د/ شوقي ضيف-دار الهلال.

- تاريخ دمشق - لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر تـ٥٧١هـ - تحقيق: عمرو بن غرامة - دار الفكر - لا ط - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

- التبيان في البيان - للطيبي تـ٧٤٣هـ - تحقيق ودراسة: د/ زموط- إشراف: كامل إمام الخولي- ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

- تثقيف اللسان وتلقيح الجنان - لابن مكي الصقلي تـ٥٠١هـ - تحقيق: د/ عبد العزيز مطر - لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة - ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن- لابن أبي الإصبع المصري تـ ٦٥٤هـ - تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي.

- تخليص الشواهد-لابن هشام - تحقيق:د/ عباس مصطفى-دار الكتاب العربي-ط١-١٤٠٦هـ.

- التذكرة الحمدونية- لمحمد البغدادي تـ٥٦٢هـ- دار صادر- بيروت- ط١-١٤١٧هـ.

- تهذيب اللغة - لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري تـ ٣٧٠هـ - تحقيق: د/محمد عوض مرعب - لا ط - دار إحياء التراث العربي - ٢٠٠١م.

- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري- لمحمد بن إسماعيل البخاري- تحقيق: محمد زهير بن ناصر- دار طوق النجاة-ط١-١٤٢٢هـ.

- جمهرة أشعار العرب- لأبي زيد القرشي تـ١٧٠هـ- حققه وضبطه: علي محمد البجاوي- نهضة مصر للطباعة .

- جنان الجناس في علم البديع - لصلاح الدين الصفدي ت ٧٦٤هـ - تحقيق: سمير حسين حلبي- بيروت - دار الكتب العلمية - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- حاشية الدسوقي على المختصر - لابن عرفة تـ١٢٣٢هـ- تحقيق: د/ عبدالحميد هنداوي- المكتبة العصرية- بيروت- ط١- ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

- حدائق السحر في دقائق الشعر - رشيد الدين محمد العمري الوطواط ت ٥٧٣هـ - نقله إلى العربية: د/ إبراهيم الشواربي- القاهرة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- ١٣٦٤هـ- ١٩٤٥م.

- حسن التوسل إلى صناعة الترسل- للشهاب محمود ت ٧٢٥هـ - تحقيق: د/ أكرم عثمان يوسف - بغداد- دار الحرية - ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

- حلية المحاضرة في صناعة الشعر- للحاتمي محمد بن الحسن ت ٣٨٨هـ - تحقيق: د/ جعفر الكناني - العراق- دار الرشيد - ١٩٧٩م.

- خاص الخاص - لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي تـ٤٢٩هـ - تحقيق: حسن الأمين - دار مكتبة الحياة - بيروت - لا ط - من دون.

- خزانة الأدب وغاية الأرَب - لابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي الحموي الأزراري تـ٨٣٧هـ شرح: عصام شعيتو - مكتبة الهلال- بيروت - ط١ -١٩٨٧م.

- الدر الفريد وبيت القصيد-لمحمد المستعصمي تـ٧١٠هـ- تحقيق:د/ كامل سليمان-دار الكتب العلمية-بيروت-ط١-١٤٣٦هـ.

- دراسات في علم البديع-د/ أحمد محمد علي- مطبعة الأمانة- ط١- ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

- دراسات منهجية في علم البديع-د/الشحات أبو ستيت(١٣٧)-كلية اللغة العربية بالقاهرة-ط١-١٤١٤هـ.

- دلائل الإعجاز-لعبدالقاهر الجرجاني-تحقيق: محمود شاكر- دار المدني-ط٣-١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

- ديوان ابن حمديس- صححه وقدم له: د/ إحسان عباس - دار صادر- بيروت.

- ديوان ابن رشيق القيرواني - شرح: د/ صلاح الدين الهواري، وهدى عودة - دار الجيل- بيروت- ط:١ - ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

- ديوان ابن رشيق- شرح د/ صلاح الدين الهوارى، وهدى عودة، بيروت، دار الجيل، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

- ديوان ابن عبدون - تحقيق : سليم التسنير- دمشق- دار الكتاب العربي- ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

- ديوان ابن نباتة المصرى: نشر: محمد القلقيلى- بيروت، دار إحياء التراث العربى، د. ت.

– ديوان ابن نباته السعدي– دراسة وتحقيق: عبده الأمير مهدي حبيب الطائي–لا طبعة .

– ديوان ابن نباته المصرى– الهيئة العامة المصرية للكتاب.

– ديوان الخنساء بشرح الثعلبى–تحقيق: د/أنور أبو سويلم، الأردن، عمَّان، دار عمّار،١٤٠٩هـ– ١٩٨٨م.

–ديوان الدوبيت فى الشعر العربى فى عشرة قرون: مصطفى كامل الشيبى– بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٢م.

– ديوان السموءل بن عادياء اليهودى – بيروت، دار صادر، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

– ديوان السموأل بن عادياء، وعروة بن الورد– دار صادر – بيروت – لا ط – من دون.

– ديوان الشماخ – حققه وشرحه: صلاح الدين الهادى، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧م.

– ديوان المعاني – لأبي هلال العسكري ت٣٩٥هـ – دار الجيل – بيروت – لا ط – من دون.

– ديوان المهلهل – شرح وتقديم : طلال حرب–الدار العالمية.

– ديوان امرئ القيس– تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم – القاهرة – دار المعارف – ط:٣ – ١٩٦٩م.

– ديوان حسان بن ثابت – شرحه وكتب هوامشه : الأستاذ: عبدأ. مهنا– دار الكتب العلمية– بيروت–ط٢–١٤١٤هـ– ١٩٩٤م.

- ديوان زهير بن أبي سلمى – اعتنى به وشرحه: أحمد طاوس – دار المعرفة – بيروت – لبنان – ط٢ – ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

- ديوان عمر بن أبي ربيعة – القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م.

- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة-لابن بسام تـ٥٤٢هـ- تحقيق:د/ إحسان عباس- الدار العربية للكتاب-ليبيا – تونس-ط١، ط٢- ١٩٨١م.

- ذيل مرآة الجنان-لليونيني تـ٧٢٦هـ -دار الكتاب الإسلامي-ط٢- ١٤١٣هـ.

- ربيع الأبرار ونصوص الأخيار – لجار الله الزمخشري تـ٥٣٨هـ ، مؤسسة الأعلمي – بيروت – ط١ – ١٤١٢هـ.

- رحلة ابن معصوم المدني أوسلوة الغريب- لابن معصوم – تحقيق: شاكر هادي شكر- الدار العربية للموسوعات-ط١- ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.

- روضة الفصاحة – للرازي زين الدين محمد أبي بكر ت ٦٦٦هـ – دراسة وتحقيق: د/ أحمد النادي – القاهرة – دار الطباعة المحمدية – ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

- زهر الآداب وثمر الألباب – لإبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني تـ٤٥٣هـ – دار الجيل – بيروت- لاط- من دون.

- سبحة المرجان في آثار هندوستان-لغلام علي آزاد(٨٦) طبعة حجرية.

- سر الفصاحة – لابن سنان الخفاجي عبد الله بن محمد تـ ٤٦٦هـ – صححه وعلق عليه: عبد المتعال الصعيدي – القاهرة – ١٣٧٢هـ – ١٩٥٣م.

- سمط اللآلي – لمحمد البكري تـ٥٩٩هـ – نسخه وصححه ونقحه وحقق ما فيه واستخرجه من بطون دواوين العلم: عبد العزيز اليمني – سلسلة الذخائر – دار الكتب المصرية – لا ط – من دون.

- السيرة النبوية – لابن هشام ت٢١٣هـ – تحقيق: مصطفى السقا, وإبراهيم الأبياري, وعبد الحفيظ الشلبي- البابي الحلبي – ط٢ – ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م.

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب- لابن العماد تـ١٠٨٩هـ تحقيق: محمود الأرناؤوط- خرج أحاديثه: عبدالقادر الأرناؤوط- دار ابن كثير- دمشق- ط١- ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

- شرح أبيات سيبويه-للسيرافي تـ٣٨٥هـ – تحقيق: محمد علي هاشم- راجعه: طه سعد-دار الفكر-١٣٩٤هـ.

- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري تـ ٣٢٨هـ،تحقيق / عبد السلام هارون، القاهرة، دار المعارف، طـ٥، ١٩٩٣م.

- شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة- للصفي الحلي تـ٧٥٠هـ- تحقيق: د/ نسيب نشاوي – دار صادر – بيروت – ط١ – ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

- شرح ديوان الحماسة لأبي تمام - لأبي علي المرزوقي تـ ٤٢١هـ - تحيقق:غريد الشيخ - وضع فهارسه: إبراهيم شمس الدين - ط١ - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

- شرح ديوان المتنبي- للعكبري- تحقيق: مصطفى السقا، وآخرون-دار المعرفة -بيروت.

- شرح شواهد الإيضاح- لفخر الدين بيكباركي الخوارزمي تـ٧٩٤هـ- نسخ/ يوسف بن شاه- كتابخانة مجلس شوراي- تاريخ النسخ:٨٩٠هـ.

- شرح شواهد المطول - لكمال الدين بن محمد الشهير : بمعين الدين الفارسي الفسوى- مخطوط بكتابخانة مجلس شوراي- إيران-تحت رقم: ١٣٢/٣٢٦٣.

- شرح شواهد المغني-للسيوطي تـ٩١١هـ- وقف على طبعه وعلق حواشيه: أحمد ظافر- لجنة التراث العربي-١٣٨٦هـ.

- شرح عائشة الباعونية على بديعيتها= الفتح المبين في مدح الأمين(٥٩٠/١) تحقيق / السيد حمدان السيد سعد، رسالة ماجستير بكلية الآداب، جامعة طنطا، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

- شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان - للسيوطي تـ٩١١هـ - البابي الحلبي - مصر- لا ط - ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م.

- شروح سِقْط الزَّند: أبو زكريا التبريزي، يحيي بن علي بن محمد تـ ٥٠٢ هـ، والبطليوسي. والخوارزمي قاسم بن حسين تـ ٦١٧ هـ- تحقيق أ/ مصطفى السقا، وآخرين وبإشراف د/ طه حسين. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

- شعر بشر بن أبي خازم دراسة أسلوبية -رسالة ماجستير للباحث:سامي حماد الهمص-إشراف:محمد صلاح زكي-١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م،

- شعر يزيد بن الطثرية -صنعة: حاتم صالح الضامن - مطبعة أسعد- بغداد -لاط- من دون،

- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز - للعلوي تـ٧٤٥هـ - المكتبة العنصرية -بيروت - ط١- ١٤٢٣هـ.

- العاطل الحالي والرخص الغالي-لصفي الدين الحلي ت ٧٥٢هـ - تحقيق: د/حسين نصار- القاهرة- الهيئة العامة المصرية للكتاب- ١٩٨١م.

- العربية والغموض دراسة في دلالة المبنى على المعنى- د /حلمي خليل- دار المعارف الجامعية -ط ١-١٩٨٨ م.

- عروس الأفراح - للسبكي تـ٧٧٣هـ - تحقيق: د/ خليل إبراهيم خليل - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

- العقد الفريد- لابن عبد ربه الأندلسي أحمد بن محمد ت ٣٢٨هـ (٢٤٤/٣ ، ١٥٧/٦) تحقيق : محمد سعيد العريان- مصر- المكتبة التجارية الكبرى- ١٣٥٩هـ- ١٩٤٠م.

- العقد الفريد- لابن عبد ربه تـ٣٢٨هـ- دار الكتب العلمية- بيروت- ط١- ١٤٠٤هـ.

- علم البديع دراسة تاريخية وفنية-لفيود- مؤسسة المختار-ط٢- ١٤١٨هـ.

- العمدة - لابن رشيق تـ٤٦٣هـ - تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد - ط٥- دار الجيل ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

- عيار الشعر – لمحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبـــراهيم طباطبـــا، الحسني العلوي، أبو الحسن تـــ٣٢٢هـــ- تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع – الخانجي – لا ط – من دون.

- الغدير في الكتاب والسنة والأدب-لعبدالحسين أحمد الأميني -دار الكتـــب الإسلامية-تهران-١٤٠٨هـــ.

- فض الختام عن التورية والاستخدام – للصفدي ت ٧٦٤هـــ - دراســـة وتحقيق: د / المحمدي عبد العزيز الحناوي – القاهرة – دار الطباعة المحمدية بالأزهر – ١٣٩٩هـــ - ١٩٧٩م.

- الفلك الدائر على المثل السائر- قدم له وحققـــه وعلـــق عليه:د/أحمـــد الحوفي، ود/ بدوي طبانه-دار الرفاعي-ط٢-١٤٠٤هـــ-١٩٨٤م.

- فن الجناس بلاغة ، أدب، نقد-لعلي الجندي -دار الفكر العربي.

- فوات الوفيات- لمحمد بن شاكر تـــ٧٦٤هـــ - تحقيق: إحسان عباس- دار صادر-بيروت-ط١-١٩٧٣م.

- فيض الفتاح على حواشـــي شـــرح تلخـــيص المفتـــاح- لعبـــدالرحمن الشربيني- ومعه حاشية عبدالحكيم السيالكوتي- مطبعة مدرسة والدة عبـــاس الأول- ط١- ١٣٢٤هـــ- ١٩٠٦م.

- قواعد الشعر – لأحمد بن يحيى المعروف بثعلب تـــ٢٩١هـــ - تحقيق: د/ رمضان عبد التواب – ط٢ – مكتبة الخانجي – القاهرة – ١٩٩٥م.

- الكامل في التاريخ – لابن الأثير تـــ٦٣٠هـــ - تحقيـــق: عبـــد الســـلام تدميري – دار الكتاب العربي – بيروت – ط١ – ١٤٢٧هـــ - ١٩٩٧م.

- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية- لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي تـ١٠٩٤هـ - تحقيق: عدنان درويش ، ومحمد المصري - مؤسسة الرسالة - بيروت - لاط - من دون.

- لسان العرب- لابن منظور تـ٧١١هـ- تحقيق: عبدالله علي الكبير وآخرون- دار المعارف- القاهرة.

- لمع صناعة الشعر- للأردستاني محمد بن أحمد ت ٤٢٤هـ - تحقيق: د/ حسن عباس - مصر - بسيون - البربري للطباعة والنشر- ١٩٩٨م .

- المآخذ على شراح ديوان المتنبي-أحمد بن علي المهلبي تـ٦٤٤هـ- تحقيق:عبدالعزيز بن ناصر- مركز الملك فيصل-ط٢-١٤٢٤هـ.

- المتنبي في مصر دراسة تؤرخ لنفس أبي الطيب في مصر-أ.د/ كمال لاشين-مطبعة الحسين الإسلامية-ط١-١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

- المثل السائر -لابن الأثير- تحقيق: محمد محي الدين-المكتبة العصرية- بيروت-١٤٢٠هـ.

- المثل السائر -لابن الأثير- قدمه وحققه وعلق عليه: د/ أحمد الحوفي، و د/ بدوي طبانة - القاهرة - دار نهضة مصر- ط:٢ - ١٩٧٣م.

- مجلة مجمع اللغة العربية العدد ٣٨- ذو القعدة ١٣٩٦هـ، ونوفمبر ١٩٧٦م.

- مختارات شعراء العرب - لابن الشجري تـ ٥٤٢هـ - ضبطها وشرحها: محمود حسن زناتي - مطبعة الاعتماد - ط١ - ١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م.

- المستطرف في كل فن مستظرف-للأبشيهي تـ٨٥٢هـ- عالم الكتب- بيروت-ط١-١٤١٩هـ،

- المصباح- لبدر الدين بن مالك -حققه ووضع فهارسه د/ حسني عبدالجليل يوسف- مكتبة بيروت - ط١- ١٤٢٣هـ.

- المطول شرح تلخيص المفتاح - لسعد الدين التفتازاني ت ٧٩٢هـ - تحقيق: د/ هنداوي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط:١.

- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص - للعباسي تـ٩٦٣هـ- تحقيق: د/ محي الدين - عالم الكتب - لا ط - ١٣٦٧هـ - ١٩٥٠م.

- معجم الشعراء - لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني تـ٣٨٤هـ - بتصحيح وتعليق: أ. د/ كرنكو. - مكتبة القدس - دار الكتب العلمية - بيروت - ط٢ - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها - لأحمد مطلوب - مطبعة المجمع العلمي العراقي - لا ط - ١٤٩٧هـ - ١٩٨٧م.

- معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة- دمشق، مطبعة الترقّى، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م.

- معيار النظار في علوم الأشعار: عبد الوهاب بن إبراهيم الزنجاني ت ٦٦٠ ه-تحقيق د/ محمد علي رزق الخفاجي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩١م.

- المعيار في نقد الأشعار- لأبي عبدالله الأندلسي- تقديم وتحقيق د/ عبدالله هنداوي-ط١-١٤٠٨-١٩٨٧م.

- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير- لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري تـ ٦٠٦هـ - دار إحياء التراث العربي – بيروت- ط٣- ١٤٢٠هـ.

- مفتاح المفتاح للعلامة الشيرازي تحقيقا ودراسة ونقدا- د/ نزيه عبدالحميد- إشراف أ.د/ كامل الخولي-رسالة دكتورة- اللغة العربية بالقاهرة- ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

- مفتاح تلخيص المفتاح – لشمس الدين محمد بن مظفر الخلخالي تـ ٧٤٥ هـ - تحقيق وتعليق : أ.د / هاشم محمد هاشم محمود – ط١ – المكتبة الأزهرية- ٢٠٠٧م.

- مقامات الحريري-لأبي القاسم تـ٥١٦هـ - المقامة الملطية – مطبعة المعارف-بيروت-١٨٧٣هـ.

- ملحق ديوان كشاجم محمود بن الحسين ت٣٦٠هـ -دراسة وشرح وتحقيق : د/ النبوي عبدالواحد شعلان – الخانجي – ط١ – ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

- مناقدة ابن سنان للمتنبي بين التحليل البياني والعمود الشعري- أ.د/علي عيسى -مطبعة العدوي-١٤١٨هـ.

- المنتخب من كنايات الأدباء وإرشادات البلغاء- لأبي العباس أحمد بن محمد الجرحاني الثقفي تـ٤٨٢هـ- مطبعة السعادة- مصر- ط١- ١٣٢٦هـ-١٩٠٨م.

- المنزع البديع- للسجلماسي تـ٧٠٤هـ- عده من الإغراق- تحقيق:علال الغازي- الرباط- مكتبة المعارف-١٤٠١هـ-١٩٨٠م.

- المنصف في إظهار سرقات أبي الطيب المتنبي - لابن وكيع ت٣٩٣هـ- تحقيق: د/ محمد يوسف نجم - بيروت - دار صادر - ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

- منهاج البلغاء وسراج الأدباء - لحازم القرطاجني ت ٦٨٤هـ - تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة - بيروت - دار المغرب الإسلامي - ط: ٣ - ١٩٨٦م.

- مواد البيان - لعلي بن خلف الكاتب ت٤٤٠هـ - تحقيق: د/ حسين عبد اللطيف - طرابلس - منشورات جامعة الفاتح - ١٩٨٢م .

- مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص -دار البيان العربي -بيروت-ط٤- ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

- مواهب الفتاح- لابن يعقوب المغربي ت١١٢٨هـ- تحقيق:د/ خليل إبراهيم خليل- دار الكتب العلمية - بيروت- ط١- ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - لابن تغري الأتابكي ت٨٥٢هـ -سلسلة الذخائر- دار الكتب المصرية- لاط- من دون.

- نشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان-للقنوجي ت١٣٠٧هـ- عني بنشره: محمد عطيه الكتبي- المطبعة الرحمانية-ط١-١٣٣٨هـ.

- نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب - لابن سعيد الأندلسي - تحقيق: نصرت عبدالرحمن - مكتبة الأقصى - عمان - الأردن - لا ط - من دون.

- النقد الأدبي الحديث- مطبعة العدوي-ط١-١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

- النقد الأدبي عند العرب- د/ إحسان عباس-دار الثقافة- ط٤- ١٩٨٣م.

- نقد الشعر – لقدامة بن جعفر تـ٣٣٧هـ- تحقيق: كمال مصطفى- الخانجي -١٩٧٩م.

- نهاية الأرب- للنويري تـ٧٣٣هـ -تحت اسم " التشابه "، دار الكتب- القاهرة ط١ – ١٤٢٣هـ.

- هدية العارفين. أسماء المؤلفين وآثار المصنّفين من كشف الظنون: إسماعيل باشا البغدادي -بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

- الهفوات النادرة من المغفلين الملحوظين والسقطات البادرة من المغفلين المحظوظين-لمحمد بن هلال بن إبراهيم الصابئ، أبو الحسن تـ ٤٨٠هـ- تحقيق:صالح الأشتر- منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق.

- الوافي في العروض والقوافي – للتبريزي – ت٥٠٢هـ – تحقيق: فخر الدين قباوة – دمشق – دار الفكر- ط:٤ – ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.

- الوساطة بين المتنبي وخصومه- للجرجاني- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلى البجاوي- المكتبة العصرية – صيدا – بيروت- ط١- ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- لابن خلكان البرمكي الإربلي تـ٦٨١هـ- تحقيق: إحسان عباس- دار صادر – بيروت- ط١- ١٩٠٠م.

٦- محتويات البحث

الموضوع

المقدمة

تمهيد البحث

المبحث الأول اعتراضات تتعلق بتحليل الشواهد، ويشتمل على عدة مطالب:

المطلب الأول: موقفه من ابن الأثير في باب التكرار

المطلب الثاني: موقفه من ابن حجة في تفضيل بيتيه على بيتي ابن رشيق في مراعاة النظير

المطلب الثالث: موقفه من ابن حجة، والكفوي في التورية المهيئة.

المطلب الرابع : *: موقفه من الخطيب وابن حجة في باب المبالغة(الغلو)*.

المطلب الخامس: *موقف ابن أبي الحديد، ومتابعة ابن معصوم له، من ابن الأثير في الإبهام.*

المطلب السادس: موقفه من صنيع الشيرازي،ومتابعة ابن حجة له في باب التلميح.

المطلب السابع: موقف ابن معصوم من صاحب الذخيرة في باب حسن الابتداء.

المطلب الثامن: موقف ابن معصوم ممن استحسن مطلع المتنبي في براعة الاستهلال.

المبحث الثاني، فهو بعنوان: اعتراضات تتعلق بمسمى المصطلح من حيث النشأة أو الخلط في دلالة المصطلح وفهمه، ويشتمل على عدة مطالب:

المطلب الأول: موقفه من ابن أبي الإصبع ، وابن حجة في باب التكميل.

المطلب الثاني: موقفه من ابن أبي الإصبع والصفي وابن حجة) تابع التكميل.

المطلب الثالث: موقف ابن معصوم من ابن حجة في باب الرجوع.

المطلب الرابع: :موقفه من ابن أبي الإصبع في باب السلب والإيجاب.

المطلب الخامس: موقفه من ابن حجة في باب الإيداع.

المطلب السادس : موقفه من الشيخ علاء القضامي، وابن حجة في باب الجناس المعنوي.

المبحث الثالث، فهو بعنوان: اعتراضات تتعلق بالتقعيد البلاغي، ويشتمل على عدة مطالب:

المطلب الأول : بين ابن معصوم وابن حجة في باب الطباق.

المطلب الثاني: موقفه من ابن أبي الحديد في باب الاستطراد.

المطلب الثالث: موقفه من ابن حجة تابع الاستطراد.

المطلب الرابع: موقف ابن معصوم من ابن حجة في باب الإبهام.

المطلب الخامس: موقفه من ابن حجة في باب الجناس المركب.

المبحث الرابع، فهو بعنوان :اعتراضات تتعلق بضابط المصطلح من حيث تقعيده وتطبيقه، ويشتمل على عدة مطالب:

المطلب الأول: موقفه من ابن أبي الإصبع المصري في باب التذييل.

المطلب الثاني: موقف ابن معصوم من الطيبي في التبيان) في باب التتميم.

المطلب الثالث: موقفه من أصحاب الشروح وغيرهم في باب التورية.

المطلب الرابع: موقفه من الصفي الحلي في باب الاستخدام.

المطلب الخامس: موقفه من ابن حجة في باب المبالغة(الغلو).

الخاتمة

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية
فهرس الأحاديث النبوية
فهرس الأشعار
فهرس أنصاف الأبيات
ثبت المصادر والمراجع
محتويات البحث